ميثاق طالب كاظم الظالمي

تعليم الحكمة

دار الولاء
لصناعة النشر

تعليم الحكمة

دار الولاء
لصناعة النشر
بيروت - لبنان

Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-832-8

تعليم الحكمة

المؤلف: ميثاق طالب كاظم الظّالميّ

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر

الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

إخراج فني وتنفيذ:

eight press & production

www.8eightproduction.com | 00961 3 017 565

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

ميثاق طالب كاظم الظّالميّ

تعليم الحكمة

دار الولاء
لصناعة النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

المُقدمة ٩

الأب ١٣

الامتحان ١٦

الجائزة ١٩

الضّعيف ٢٢

القُوَّة ٢٥

التّسهيل ٢٨

الانكشاف ٣١

تقديس الكلام ٣٤

النّظافة ٣٦

الغلّ ٣٩

الاتّزان ٤٢

الإنقاذ ٤٤

التّقلُّب ٤٧

الدّمار ٥٠
الهديَّة ٥٣
الطّريق ٥٦
الذَّمّ ٥٩
الولائم ٦١
الوقار ٦٣
الابتعاد ٦٥
الوفاء ٦٨
الماء ٧١
الوصايا ٧٤
المستشار ٧٧
الثّقل ٨٠
الانضباط ٨٣
الإلهام ٨٦
الوحدة ٨٩
جمال الوجه ٩٢
الواعظ ٩٦
الحابس ١٠٠

النّظر ١٠٣
الحاكم ١٠٧
النّوم ١١١
حديث النّفس ١١٤
التّغيير ١١٨
نقل الكلام ١٢١
إنفاق المال على العائلة ١٢٤
ذو الوجهين ١٢٨
نفع النّاس ١٣١
النّصيحة ١٣٥
النّصر ١٣٩
النّسيان ١٤٣
النّدم ١٤٧
المنَّة ١٥١
الحديث ١٥٥
معرفة قدر النّفس ١٥٩
المجنون ١٦٣
الاحترام ١٦٦

الأجير ١٧٠
الحاجة ١٧٣
الاستئثار ١٧٦
التّجربة ١٨٠
التّحقير ١٨٢
الإخلاص ١٨٤
الاستعلاء ١٨٦
الاستقامة ١٨٨
الاستغاثة ١٩٠
المقاصد ١٩١
الإسـراف ١٩٣
البصيرة ١٩٥
الاضّطرار ١٩٧
المنع ١٩٩
التّربية ٢٠١
الخاتمة ٢٠٥

المُقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والصّلاة والسّلام على أشرف خلقه أجمعين محمّد وآله الطاهرين.

بعيدًا عن المصطلحات الفلسفيّة ذات التّعقيد المفرط أحيانًا، وبعيدًا عن التّأسيسات النّظريّة التي تجعل القارئ لا يأخذ سوى قواعد ومفاهيم تجعله محتارًا كيف ومتى يُطبِّقُها، وبعيدًا عن لغة السّرد الزّائد، وبعيدًا عن جمود التّعبير، وبعيدًا عن لغة التّعليم الضّاغطة، بعيدًا عن كُلِّ هذا، تَمَّ التّوجُّهُ إلى صناعة محتوًى حكميّ يكون تعليمه مباشرًا وسريعًا ويدخل مع القارئ في المفيد في حياته بلا إطناب زائد ولا تنظير فارغ.

فقد تمَّ عرض مفاهيم حياتيّة عامَّة لم تُستَلَّ من بطون الكتب النظريّة، بل أُخِذَتْ من الحياة العمليّة للإنسان من أشياء يواجهها يوميًّا في حياته وبشكل دوريّ وروتينيّ، ولكنَّ بعض النّاس رغم مواجهته لهذه المفاهيم فإنَّه لا يمتلك نظرةً حكميَّةً للتّعامل معها، وهنا تظهر أهمِّيّة وجود كتاب وظيفته إرشاد أولئك النّاس إلى كيفيّة التّعاطي مع تلك المفاهيم وبشكل سلس، فيفهمونه بمجرَّد قراءتهم له؛ لأنَّه يبدأ بتعليمهم مباشرةً، وهذه كانت هي أهمَّ غاية للكتاب.

وعليه، فالكتاب الذي بين يديك -عزيزيَ القارئ- لم يستند في

تعليمه على أيِّ تأسيس فلسفيّ أو دينيّ يخصُّ دينًا أو عقيدةً محدَّدَةً، فقد اعتمد على لغة العقول وفلسفة الوجدان في تعليم القارئ الحكمة، وبالتالي فإنَّ الكتاب متاحٌ للجميع، يقرأه أيُّ إنسان بغضِّ النّظر عن التّوجّهات الفلسفيّة التي يأنس بها أو معتقداته الدّينيّة الخاصَّة به؛ لأنَّ الحكمة هي غايةُ كُلِّ إنسان سويّ، وهي منتهى كُلِّ عقل يسعى إلى الكمال.

ولا بُدَّ من تنبيه القارئ إلى بعض الأمور مع ذكر الغاية منها، وهي:

أوّلًا: أنَّ الكاتب اختار أهمَّ المفاهيم الحياتيّة لا جميعها؛ لذا فإنَّ هذا الكتاب يُعتبَرُ بدايةً، وهو يحتاج إلى أجزاء أخرى؛ ليُغطِّيَ الجزءَ الأعظمَ من المفاهيم أو يمكن أن يكون موسوعةً لو وسَّعْنا التّفكيرَ والنّظَرَ بعيدًا.

ثانيًا: أنَّه لم يتمَّ كتابة عناوين لتلك المفاهيم وتَمَّ الاكتفاء بكتابة المفهوم الحياتيّ مجرَّدًا عن أيِّ إضافة، وكان الغرض من الإعراض عن كتابة العناوين هو عدم حصر القارئ بأيِّ أفكار أو قولبة ذهنه ابتداءً قبل القراءة.

ثالثًا: أنَّه لم يتمَّ الاستدلالُ على المفاهيم باستدلالات نظريّة أو براهين؛ لأنَّ الكتاب اعتمد على نضج القارئ ووجدانه ومنطقه السّليم في صياغة الأفكار والوصول إلى نتائج، فهو تعليم بنمط خاصّ وبأفكار مباشرة دفعيّة في عمومها وتدريجيّة في لطائفها.

رابعًا: استعمال الكاتب اللّغة العربيّة ذات الطبيعة السّجعيّة، وكان لهذا الاستعمال مسوِّغات، منها أنَّها لغة كانت دارجةً في أزمنة

واستعملها أفضلُ العقول في تدوين أفكارها، وكانت الكتابة بها هي تحيّة لأولئك العظماء، ومنها أنَّها لغةٌ تُستعمَلُ لنوع معيَّن من الخطاب وهو الخطاب التّعليميّ المُبتني على ثقة القارئ بالكاتب، وكأنَّ الطبيعةَ السّجعيّةَ تُعطي هذه الموثوقيَّةَ قوَّةً وتزيدُها اطمئنانًا، ومنها أنَّها لغةٌ تأخذ روح الشّعر التّعليميّ الذي وظيفته الأساسيّة التّعليم، فيتوسَّل بأيِّ وسيلة لجعل القارئ يحتفظ بالمعلومات ولو من خلال كلام موزون ومقفى، وهذه الفلسفة كانت منظورةً أثناء الكتابة بهذا الأسلوب؛ لأنَّ غاية الكتاب تعليميّة، فكان أسلوب السّجع هو الأسلوب الذي وجدتُهُ أحفظَ للمعلومة.

لكن مع كلّ هذه المسوغات لاستعمال الأسلوب السّجعي، هو لا يخلو من نقاط ضعف قد تكون قاتلة، بعضها أخلاقيّ وبعضها فنِّيّ؛ فالأخلاقيُّ منها أنَّها تجعلُ القارئ يشعر بأنَّه (الكاتب) بمكان علويّ يُخاطب النّاس بلغة خاصّة، وهذا لو حصل فعلًا ففيه الفشل للكاتب والضّياع في متاهات، أمَّا الفنِّيّ فهو يُفقِدُ الكاتبَ المرونةَ والانسيابيَّةَ الفطريَّةَ في عرض الأفكار.

خامسًا: كنت متردِّدًا في اختيار عنوان الكتاب، بين (تفريد الحكمة) وبين (تعليم الحكمة)، وتَمَّ اختيارُ الثّاني، وإن كان الأوَّلُ فيه إشارات لا يُغطِّيها العنوان الثّاني، ثُمَّ فَكَّرْتُ بالجمع بينهما؛ فيكون عنوانه (تفريد الحكمة وتعليمها)، إلَّا أنِّي أعرضت عنه لطول العنوان وعدم جاذبيّته، واستقرَّ الحالُ على تسميته (تعليم الحكمة).

ميثاق طالب كاظم الظّالميّ

الأب

يجب على الإنسان أن يحفظَ حُبَّهُ لأبيه، ذلك الحبّ الذي لا يوجد في الولد ابتداءً ولا يتحقَّقُ في أعماقه وجودًا؛ لذا فعلى الإنسان إيجادُهُ بأيِّ كيفيّة وتكوينُهُ بأيِّ طريقة، وخيرُ أسلوب لتحقيق تلك المحبّة (غير الموهوبة له) يكون باستذكار الأساليب الحياتيّة التي زامنت طفولته مع أبيه؛ حيث كان الإنسان طفلًا لا يقوى على شيء وكان أبوه يجالسّه ويعلِّمُهُ ويتحمَّلُهُ ويرعاه مع كُلِّ نقصه وعيوبه، فإنَّ تذكُّرَ هذه المرحلة العمريّة مهمٌّ في حفظ زخم المودَّة ونافع في إبقاء شعلة المحبَّة، إذ إنَّ المراحل العمريّة التي تتبع تلك المرحلة من علاقة الإنسان الطفوليّة بأبيه هي مراحل لا يُعتمدُ عليها في حفظ المودَّة لما فيها من تجاذبات وتنافرات بين الابن وأبيه ناتجة من نضوج الشّباب واختلاف الرّؤى وتباين التّوجّهات بسبب التّباعدات العمريّة والتّطرّفات السّلوكيّة بين الأجيال.

وليحذر الإنسان من مغبَّةِ عدم حفظ ودِّ الأب والتّحامل عليه أو كراهيَّتِهِ، فإنَّ هذه الحالات خطرة على الابن نفسه، وهي سبب مهمّ في فقدانه الأشياء الثّمينة من حياته، أشياء قد لا يشعر بها الابن، ولكنَّها مفقودة، وأهمُّها فقدان مكانته بين النّاس واضطراب هيبته بين أبناء نوعه، فلا قيمة حقيقيَّة له مع كرهه لأبيه ولا مكانة مرموقة له مع تحامله عليه في أعماقه.

فليتذكَّر الابن أنَّهُ كُلَّهُ لأبيه، هو وشهادته وعمله وماله وقيمته الاجتماعيّة وحلاوة لسانه وعلاقاته وتأنّقه وجمال صورته، كُلّ هذا لأبيه وعمله المستقبليّ الذي يحصل عليه والمال الذي يكتسبه هو ابتداءً لأبيه ثُمَّ يكون له في المرتبة الثّانية. فعامل أباك أيُّها الإنسانُ كما تُعامل الأشياءَ المقدَّسَةَ في حياتك، احذر من مخالفته كما تحذر من تبعات مخالفتك لها، ولا تجعل أباك رخيصًا عندك ولا تصنع منه ألعوبة في فضلات لسانك، فإن فعلت خلاف ذلك فأنت تهدم بفعلك هذا مستقبلك الأُسريّ وتحطِّمُ كُلَّ أحلامك التي رسمتَها لأبنائك المستقبليّين.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك أمام قوة جبَّارة اسمها الأب، قوة خَفِيَّة قد تسحقُكَ من دون أن تشعرَ وقد ترفعُكَ من دون أن تشعرَ أيضًا، فإنَّ تلك القوَّةَ قادرةٌ على سلبِكَ كُلَّ شيء بلحظة ومنحِكَ كُلَّ شيءٍ بلحظة، فإنَّ وجودَكَ يتعامل مع قُوَّةِ أبيكَ تعاملًا خاصًّا، إذ إنَّ قُوَّةَ أبيكَ لها تأثير وجوديّ عميق من السّذاجة تجاهلُهُ ومن الغباء غضُّ النّظر عنه، إذ إنَّك بتجاهلِكَ إيَّاها وإهمالِكَ تأثيرها تحكُمُ على نفسك بالتّعاسة والألم وتحرمُ عقلَكَ من السّكون والرّاحة، فلا سكون إلَّا مع ابتسامة أبيك ولا راحةَ إلَّا مع فراغ أعماقه من تذكُّرِ أخطائِكَ ونسيانِها. واعلم، أنَّك حين تتجاوبُ معه تجعلُ الوجودَ يتجاوبُ معك، إذ إنَّك بتجاوبك معه تكون قد وضعت قدمك على نقاط الوجود الخفِيَّة، تلك النقاط التي يجهلها العقل الإنسانيّ ولا يستطيع تلمُّسَها في حركته؛ لأنَّها مجهولة له وهو عاجز عن كشفها فضلًا عن الإحاطة بها، وإنَّ أهمَّ وسائل كشفها هو التّجاوبَ مع الأب، فإنَّ ذلك التّجاوبَ يجعل من المواضيع غير المهمَّة وجوديًّا

مهمّة أو هو يكشف اللثامَ عمَّا خفي على العقل تلمُّسُهُ وغاب عن السّلوك لمسُهُ.

فافهم ذلك أيُّها الإنسان واعلم بأنَّك تستطيع الانتفاع من كنزٍ أُهدِيَ إليك بالمجّانّ، وهو كنز وجود أبيك في حياتك، تستطيع أن تنتفع منه في كشف ما خَفِيَ عنك في هذا الوجود وقبض ما عجزت يداك عن نيله وأرهق قدميك تتبُّعُهُ، فيا معاشر الآباء أعينوا أبناءكم؛ كي ينتفعوا من وجودكم ولا تصدّوهم عنكم بتعاليكم عليهم وتكبُّرِكُمْ على مكانتهم، فإنَّكم بفعلكم هذا قد جعلتم أبناءكم يتخبَّطون في مصاعب الحياة وسرَّحتموهم بين قوانين الوجود يتحيّرون، أعينوهم على الحياة بالتّواضع لهم والاستماع لكلامهم والإنصات لآرائهم، فإذا فعلتم ذلك فقد وثَّقتم عُرى الوجود وربطتم في ما بين الأشياء المنفصلة في حركاتها، فإذا علم الأبناء والآباء بذلك، فعندئذٍ يشعُّ الضّياءُ على الإنسان ويصيرُ مؤهَّلًا لاستهلال الحكمة.

الامتحان

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ كُنْتَ ولا تزالُ في امتحان عسير لن ينتهيَ إلَّا بزوال وجودك من هذه الحياة وفناء أثرك عن هذا العالم، وأنَّ كُلَّ لحظة تمرُّ عليك لا بُدَّ من أن تدخل فيها بامتحان، وأنَّ كُلَّ ساعةً تمرُّ بها لا بُدَّ من أن تتعرَّض فيها إلى محنة، والإنسان لا يرى تلك المحنة إلَّا إذا استحوذت عليه المصاعب وزادت عليه حِدَّةُ الامتحانات، عندها سيكتشف أنَّه كان معرَّضًا لِكُلِّ هذا دائمًا، كُلُّ ما في الأمر أنَّه لن يكتشف ذلك إلَّا بعد فوات الأوان واستحكام قبضة الصّعاب.

فإذا علمت هذا وأدركتَهُ جيّدًا، فعليك حينها أن تفهمَ أنَّ امتحانَكَ الحياتيَّ لا يُحرِّكُهُ إلَّا قُوَّةُ الحُبِّ في أعماقك، فلولا تلك القوَّة الهائلة التي تحملها في داخلك لن يُضيِّقَ الوجود قبضته عليك ولن يزيدَ في استحكام أصابعه الغليظة على عنقك، حيثُ تزداد تلك الضّغطة تبعًا لازدياد تلك القوّة وتنقص بنقصانها.

فأنتَ أيُّها الإنسان تدفع ثمن مشاعرك وتُسدِّدُ فاتورةَ خفاياك، حتّى إذا أطلقت مشاعرك إلى أوجِها وأرخيت حبالَ عواطفك عن محلِّ قيدها ستُفاجَأُ بأنَّك قد خسرت كُلَّ شيء وضاع منك كُلُّ أمل، فإذا حصل هذا ظهر عند الألم صوتك وانكشف عند موت أملك صراخك، فإذا صرخت من أعماق قلبك عندها ستعلم أنَّكَ

قد قدّمت ما عليك تقديمُهُ لنفسك، وأعطيت من وجودك ما كنت قد أخذتَهُ سلفًا من وقتك. إذ إنَّك أيُّها الإنسان مُنِحَتْ لك الفرصُ؛ لتنظر في عقلك وتتأمَّل في مَن حولك فتعكس حصيلة تعقّلك على مسامع أفكارك، ويتحرَّك سلوكك تبعًا لمنابع إدراكك ويتجسَّد عملك انطلاقًا من فهمِكَ قيمة الحياة، فإذا فعلت كُلَّ هذا كنت جاذبًا للسّعادة وقاصدًا لسكون الضّمير، وإذا نسيتَهُ وأهملتَهُ كنتَ مستوطنًا للتّعاسة ومسكنًا للهمِّ والحزن.

فافهم أيُّها الإنسان، أنَّ أشدَّ حالات امتحانك هو حينَ يكونُ عقلُك خاليًا من كلّ عمليّة تفكيريّة، معتمدًا في نشاطه على إنشاء الإلهامات والصُّوَر، فكلَّما كان عقلُكَ أيُّها الإنسان شديدًا صلبًا صارَ امتحانُكَ أخفى وأدقّ، وأضحى وجودُكَ يطلبُ النّقاءَ والصّفاء فلا يُبقيه إلَّا خفاء الامتحان، ولا يُصفّيه إلَّا فقدان الإنسان كُلَّ شيء إلى حدِّ التّضحية بكُلِّ شيء، فإذا حصل عنده هذا كُلُّهُ صار وجودُهُ كقطعة بيضاء لا تلوِّثُ شيئًا تمسُّهُ ولا تُثقلُ شيئًا تمشي عليه.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّك لن تحصل على الخير المكنون في هذا الوجود حتَّى تتذوَّقَ كُلَّ امتحان، فإنَّ الخيرَ قد خَفِيَ بين ثنايا الكون وأطبق عليه الوجود بكلتا يديه، فلن يُذلِّلَ قُوَّتَهُ إلَّا الامتحان ولن يَفُكَّ رموز قبضته إلَّا حصولُ الامتنان منك، وما المرضُ الذي تهرب منه إلَّا مصدرٌ لذلك الخير، فوسِّعْ فكرَك إلى كُلِّ ما يُنغِّصُ معيشتك، وارمِ ببصرك إلى كلّ ما يُضيِّقُ حياتك، فإنَّ الفرح كُلَّ الفرح حين يكونِ الغدُ حاضرًا بكلِّ جماله الذي لا نراه، لا نراه بسبب تضايقنا من الامتحان وهروبنا من المصاعب، وهذا بذاته هو سبب تدهور

الإنسان وهبوط النّوع البشريّ على طول حركة الأجيال، فإذا علم الإنسان ذلك تلمَّسَ عقلُهُ خيطَ الضّياء وصارَ وجوده مؤهَّلًا لاستهلال الحكمة.

الجائزة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لا بُدَّ من أن تُحرِّر عقلك من مكافأة عملك من قِبَل النّاس، فالنّاس لا ينفعونك بشيء ولا يُعتمدُ عليهم بشيء، اعمل للموتى أكثرَ من عملك للأحياء، فعملك للموتى يُنقِّي عقلك ويُحسِّنُ سلوكك ويُقوِّمُ وجهتك. اعمل للموتى، فمكافأتك ستنالُها إذا ما عاملت النّاس كأنّهُمْ موتى، وجائزتك ستستحقها إذا ما قدَّمت ميّتَهُمْ على حيِّهِمْ وودَّعت غائبهم بوجود حاضرهم، والأمر في نيل جائزتك لا يُحْصَرُ بالفاعل، بل يتجاوزه إلى مَن يجاوره كالسّامع الذي له جائزة سمعيّة، والمتعلّم الذي له جائزة تعليميّة والعالِم الذي له جائزة علميّة.

إنَّ على الإنسان أن يفهم أنَّ الأعمال كُلَّما كانت ذات سعة وجوديّة في العقل والخارج كانت أقوى في استجلاب جائزتها وكسب منافعها، وأنَّ هنالك ترابطًا بين سعة العقل وسعة الإنجازات، فالإنجازات الواسعة في الزّمان والمكان يختفي خلفَها عقلٌ تجاوزَ الزّمان والمكان في تفاصيل حياته، والإنجازات التي تضيّقت بالزّمان والمكان تضيّقَ العقل المختفي خلفها إلى حدود اللحظة الواحدة وسعة القدم الواحدة، فاطلب أيُّها الإنسان العلم، اطلبْهُ ولا تتهاون في طلبه، فلن تنال الجائزةَ العظمى إلّا به، ولن تبلغ غايتكَ إلّا باللّحاق بركبه، ولا تكن في صورتك طالبًا للعلم، وفي حقيقتك

طالبًا لغيره، فالعلمُ الذي تطلبه سيطلبُكَ، والإلهام الذي ترومه سيرومُكَ، وإلَّا فلن تنال إلَّا التّخلّفَ ولن تكسب إلَّا الضّياعَ، وما حلمُكَ في طلب العلم إلَّا بجائزة متألّقة يرسمها عقلك فيك وقلادة متنوّرة يطرِّزُها سلوكك لك، وإذا ما غاب عنك العلم فلا تتلمَّسُ جائزتك فيه وتتلمَّسُها بتقلّب الأحوال واضطراب المقال، فإنَّ فيهما ما لا تستطيع بالعلم نيلَهُ أو بالتأمّل تحصيلَهُ، فإذا كنت محبًّا للعلم فلن تُحرمَ منه وسيكون قرينَكَ حيثما ذهبت ورفيقَكَ أينما حلَلْتَ، وإن كنت متحمِّلًا صبورًا فسيغادر العلم فكرَكَ ليحلَّ في عقلك، ولن يجعله حالًّا إلّا صبرُك ولن يُبقِيَهُ مستقرًّا إلَّا حُبُّك.

فأنت إنسان تحملُ في أعماقك علمًا لا يفتحُهُ إلَّا الاستفهام، ولا يفجِّرُ عيونَهُ إلَّا السّؤال، فإنَّكَ لن تنال تلك الجائزةَ المخفيَّةَ إلَّا بالسّؤال، وسكوتُكَ عن السّؤال قتل لجائزتك؛ لذا خفِّفْ ما استطعتَ من حملك على النّاس وثقِّل من حملك على نفسك، فجائزتُكَ تثقل مع ثقلك على نفسك وتخفُّ بثقلها على النّاس، وكذلك: فإنَّ السّؤالَ سيفتح بثقلك على نفسك وخفَّتِكَ على غيرك، فإنَّ كبرَ الجائزة وثقلَها هو أنت (من يعرفُهُ، وأنت من تضعه في محلِّه)، فكُلُّ ما تسهر عليه فهو جائزة لا محالةَ وكُلُّ غُصَّةٍ فهي جائزة وكُلُّ جرعةِ صبر هي جائزة. فإذا علمت هذا، فاعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّ جائزتك لن تنقطعَ بحصولها، فحصولُها هو بداية كُلِّ شيء بعدها، فهي تستمرُّ وتستمرُّ إلى ما بعد حصولها، فحصولُها لن يوقفَها؛ لأنَّها تمتلك قُوَّةَ جهة عقلك، وهي تتضمَّنُ مقصد وجهتك، فتعقُّلُكَ باقٍ بعد موتك؛ لأنَّ موتك يعجز عن إفناء عقلك، ولأنَّ عقلك ينطوي على هذه القوَّة البقائيّة ويمسك في داخله بمكنونات الاستمرار

وأسرار الاختيار، فلا بُدَّ من أن يؤثِّرَ في أيّ موجود متأثرٍ بدائرته متّصلٍ ببقايا فعله، فإذا اتَّصل به متوسِّلًا بالحياة والأعضاء انتقل إلى ذلك الوجود بعد زوالهما وانعدامهما، وإن لم يتَّصل في ظرفهما لم تسنح له فرصة الاتّصال بهما لاحقًا، فلا اتّصالَ إلَّا بالحياة ولا بقاء للعقل إلَّا بعد الممات.

واعْلَمْ، أنَّ الأعظم من جائزة العناء والأقوى من مكافأة البقاء هو تجسّد لحقيقة الوجود في أعماق النفس، ففي تجسُّدِها نيلٌ لجائزة خاصَّة وتقلُّدٌ لوسام شرف، ولن يحصلَ هذا إلَّا بانتهاء الفكر عن العيش وموت الحبِّ بعد التعلُّق، فإذا فعلت نلت شرفًا فوق كُلِّ شرف، شرفًا لن تعرفَهُ حتَّى ينقضيَ نهارُك وينجليَ ليلُكَ، عندها ستعلم أيَّ حكمة تذوّقت وأيَّ معرفة تدفّقت عيونها في أعماقِك.

الضّعيف

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الضَّعيفَ إنسان تجبُ مراعاةُ حَقِّهِ مراعاةً تامَّةً، إذ إنَّ الحقَّ شيءٌ متجذِّرٌ في وجوده، فما دام هو ضعيف ومسلوب الإرادة، فهو إذًا يحمل في داخله حقًّا مخفيًّا ويكتم في أعماقه وجودًا حقيقيًّا.

والضّعيفُ كُلُّ من انعدمت قوَّتُهُ وزالت إرادتُه، فالطّفل الذي فَقَدَ أحدَ أبويهِ أو كليهما هو ضعيف، والمريض ضعيف، والمرأة ضعيفة دائمًا وإن بَدَا أنَّها ذات سلطة وقوَّة، فهي ضعيفة، والخاسر ضعيف والمتَّهم ضعيف والمظلوم ضعيف وغيرهم، وكُلُّ إنسان في حقيقته يحمل ضعفًا فهو ضعيف وجودًا وطبيعةً وضعيف تفكيرًا وسلوكًا؛ وبما أنَّهُ هكذا فهو يحمل في داخله حقًّا خاصًّا بضعفه، وذلك الحقُّ غير منظور وغير مرئيّ للإنسان نفسه، لكنَّه حقٌّ عظيم واستحقاق كبير.

فافهم أيُّها الإنسان الضّعيف، أنَّ بيتَكَ فرصةٌ لإيواء الضّعفاء، فعائلتك ضعيفة وزوجتك ضعيفة وأولادك ضعفاء، وأخوك وأختك ضعيفان، وأولادهما ضعفاء ووالدك ضعيف ووالدتك ضعيفة، فإذا احترمت ضعفهم فقد أدَّيت جزءًا من حقِّهم، وإذا آويتهم في بيتك فقد جعلته مأوى للضعفاء، وإذا صار البيتُ هكذا فقد غَرَسْتَ فيه

غرسةَ الحُبِّ وسقيتَهُ بماءِ الحنان وسيكون بيتًا ذا شأن، فإنَّ البيوت لا يعلو شأنُها إلَّا بإيواء الضّعفاء، وكُلُّ صاحبِ بيتٍ لا يُؤوي ضعيفًا أو يُهانُ فيه الضّعيف فقد دقَّ ناقوس الخطر على كيانه ونسفَ من الجذور حدودَ أساسه، فإذا أردت بيتك أيُّها الإنسان أن يكون مدرسةً للعظماء فاحترم ضعفاءه وعظِّم مساكينه ومحتاجيه، عندها لا تحتاج إلى تربية مطوَّلة لصغارك ولا إلى قائمة تعاليم لأطفالك. والأمر لا يتوقَّفُ على البيتِ؛ بل إنَّه سينتقل إلى عواطفك ومشاعرك، فإنَّ مشاعرك ستكون ألين انفعالًا وعواطفك ستصيرُ أرَقَّ تَقَبُّلًا، فأعطِ ضعفاءَكَ الحُبَّ، وسترى كيف يتبدَّل العالَم من حولك، وكيف سيتغيَّرُ كُلُّ شيءٍ تتواصلُ معه.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لن تصل إلى غايتك التي تخفيها بين طيّات نفسك، ولن تنال مقصدَك الذي أتعبت لأجله سعيك إلَّا بجعل الضّعفاء يستولون على ما تشتهيه نفسُكَ ويُشاركونك في حياتك، فإنَّ الشّرَّ لا يمكن أن يولَدَ إلَّا من تحت أنقاض الضّعيف بعد سحقه، وكُلُّ شَرٍّ موجودٍ في هذا العالم فمصدره الضّعيف بعد تحطيم كيانه، والخيرُ في هذا العالم إنَّما يظهر بعد رفع الضّعيف وتكريمه، فإنَّ الخير كُلَّهُ منبعه الضّعيف بعد تكريمه، والشّرّ كُلَّهُ منبعه الضّعيف بعد توهينه وتحقيره، وما المشكلات التي تئنُّ منها البشريّة اليومَ إلَّا ومدارها الضّعيفُ تكريمًا وتحقيرًا.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ العناء الذي تبذله في رفع الضّعيف وتكريمه لا يقلُّ عن العناء الذي يبذله الإنسان في أشقِّ الأعمال وأشدِّها، فإنَّ رفع الضّعيف اجتماعيًّا لا يعني سوى المواجهة

الكبرى مع المجتمع، ولا يدلُّ إلَّا على تحطيم كُلِّ القيود المضروبة عليه. فإذا أرَدْتَ أيُّها الإنسان أن تتنفَّسَ راحة الوجود، وإذا أحببتَ أن يسكن وجـودُكَ مع وجود كُلِّ شيء فما عليك سوى حماية الضّعيف، ولا يكون ذلك إلَّا بقراءة عقله وحُبِّ شخصيَّته وغضِّ النظر عن أخطائه وتجاهل المرفوض من آرائه والنظر له على أنَّه مجرَّد إنسان يمتلك هذا الضّعف وهو بحاجة إلى إعانة، فإذا فعلت ذلك فعندها تكون قد أعنته بكل طاقتك وسدَّدْتَهُ بِكُلِّ دِقَّتِكَ.

القُوَّة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ قويٌّ بعقلك، عظيم بتخلُّصِكَ من عدميَّتك التي لم ترها وإن كنت تشعر بوجودها، وقُوّتُكَ هذه عظيمة فلا تُحطِّمها بالاستعطاء ولا تُخمد نيرانها بتعويد رأسك على الانحناء أو خوفك ممَّن حولك أو تودُّدِكَ لمن أخطأ وأساء، فإنَّ مَن حولك إمَّا عظيمٌ بحقيقته وهو بذلك يستعطي؛ لأنَّ ما يملكه منحصر به ولا يملكه أحد سواه، وإمَّا شخصٌ يُكْمُل عقلَكَ استعطاؤك منه أو أنَّه يكمل عقلَهُ بذلك الاستعطاء. وأمَّا إذا كان لم يكن شيئًا ثمّ صار شيئًا، فاحذر أيُّها الإنسان من أن تقترب من هذا الموجود، فلن تجد فيه غير الضّعف لك زادًا، ولن ترتديَ غير العدم منه سترًا، فيكونَ هوانك الحقيقيُّ باستعطائك منه وفشلُكَ التّامُّ بإحناء رأسك إليه، فاجعل قُوَّتَكَ في أعماقِكَ وألمَكَ في جسدِكَ ولا تجعل راحةَ جسدك وتحصيلَ قصيرَ غايتك على حساب موت قُوَّتِكَ بتجرُّعِ هوان حاجتك.

واعلَمْ، أنَّك إذا أردت أن تجعل الوجود يتحرَّكُ في غايات سامية تحملُها في أعماقك، فيها الخير لك وللناس، فاترك كُلَّ من كان له قوة ظاهرة، ولا تبهر عينك بمن كان يُمنِّي النّاسَ بالعطاء ويستجدي منهم الانحناء، فإذا فعلت لن ينقطعَ فعلُكَ ولن يخيبَ سعيُكَ. فيا أيُّها الإنسان، اعرف كيف تستنطقُ قوَّتَكَ بدعوتك إلى السّلام، فإذا

كففت يدك فقد نشرت السّلام، وإذا ألجمت لسانك فقد عَمَّقْتَهُ في العقول، فإنَّ يدَكَ لن تطالَ إلَّا من أحسنت إليه وستقصُرُ عن كُلِّ من أخذت منه ولم تعطِهِ، فلا تتعجَّل في توقُّع القبول ممَّن لم تُرْضِهِ وممَّن لم تعطِهِ مسبقًا.

واعْلَمْ، أنَّ خير العطاء ما كان مجملًا للإنسان ومُظهِرًا لخفايا محاسنه ومخلِّصًا له من قبائح شكله، فاحذر من أن تُقذرَ بيدِكَ ما لا تملكُهُ ويملكُهُ غيرُكَ، وإيَّاك أن تُغشّي بقبائحك على محاسن غيرك، فإنَّ حياء الإنسان هو سِرُّ نجاته من قبائح نفسه، وما قذارة يده إلَّا بسبب خفوت حيائه، فإذا زاد حياؤك تنظَّفتْ يدك وتسامى عقلك، وعندها سترى كم طالت يَدُكَ وكم زادت قوَّتك وكم سهلت حياتُكَ، فإنَّ الحركة بين الإنسان والوجود لا يُسيِّرُها إلَّا تواضع العقل بالحياء ولا يُحرِّكُها إلا خفوت السّلوك بتهذيب القوَّة وإخفائها.

وحاول أن تجعَلَ قوَّتَكَ مستمدَّةً من ضعفك، وإيَّاكَ وأن تجعل قوتك مستمدَّةً من قوَّتِكَ، فإنَّ القوة كُلَّها بإظهار ضعفك أمام وجودك، والضّعف كُلّه بإظهار قوّتك أمام عدمك، وإذا كنت تريد أن تجعل قوَّتَكَ سببًا لرفعِ الكراهية من داخلك أو إذا أردتها أن تكون سببًا لتخليصك من قيودك اتّجاه النّاس، فاجعل مواطن قوّتِكَ تلتقي مع مواطن ضعف الآخرين، واجعل حركتك نحوهم مبادرةً منك وتوجُّهَكَ إليهم تودُّدًا لَهُمْ، فإنَّ القوَّةَ خيرٌ من الضّعف والعُلُوّ في التأثير خير من الهبوط فيه، ولن تنالَ أيُّها الإنسان تلك القوَّةَ ولن تَصِلَ إلى ذلك العُلُوِّ إلَّا بجعل قوَّتك تنحني لضعف الآخرين ولا يكفي أن تلاقِيَهُمْ في ضعفهم. واعلم، أنَّ الضّعفَ متبدِّلٌ متغيِّرٌ،

فالقوَّةُ الحقيقيَّةُ تابعةٌ له منقادةٌ إليه، والقوة المزعومة لا تحصل إلَّا بسحق الضّعف وزواله.

فاختر أيُّها الإنسان قُوَّتَكَ وانتخب ضعفك في ما لو خُيِّرْتَ بينَهُ وبينَ قدرتك، فإنَّ اختيارك له إنقاذ لك من قوَّتِكَ الموهومة ونجاةٌ لك من ضعفك المختفي، فإذا علمت بالحقيقة هذه فقد شعَّ خيطُ الضّياءِ وأشرقَ في عقلك، وعندها تهيَّأَ وجودُكَ لاستهلال الحكمة.

التّسهيل

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ هنالك موجوداتٍ خفيَّةً في هذا الوجود لا يعلمُها الإنسان إلَّا بجوهر عقله ولا يلتقطُها إلَّا بالغوص فيها بلُبِّهِ، وتلك الموجودات وإن اختفت في خارجها عن التّحقّق والثّبات، فهي موجودة بين أفعالنا ومتجسِّدَةٌ في مقاصدنا، لا نراها إلَّا بعد انكشاف بعضها ببعض وانتقال أوّلها إلى آخرها بعد زمن من وقوعها وبعدَ مُدَّةٍ من تبدُّلِها، فإذا علمت بالحقيقة هذه فافهم أنَّك يجب ألَّا تبحث عن تحقيق أشيائك كما يرسمها عقلُكَ، ولا تطلب أمنيّاتك كما تهواها نفسك، بل يجب عليك أن تفهمَ قانون التّسهيل في الوجود، فتدركَ أنَّ الأمور لا تجري بالطّريقة المتعارفة غالبًا ولا تجري بالأسلوب المتَّبع بين النّاس، ولكنَّها تسير مع إدراك أنَّ الإنسان ليس عليه سوى إتقان الحصول على بعض الموجودات ليحصل على غيرها، فهي مترابطة في ما بينَها ارتباطًا وثيقًا، وهي غير موجودة في هذا العالم بمفردها، بل هي موجودة بالاتّصال بغيرِها ومزدوجة بوجودها مع نفسها.

فاعلم بأنَّك حين تطلب النّصر فلن تنالَهُ بطلبك هذا، وأنت حين تنتظر حصول الهزيمة لأحد خصومك أو أعدائك فإنَّك تسيرُ بسير خاطئ، فالنّصرُ حقيقةً يرتبطُ بصبرك ابتداءً ولا يوجَدُ شيءٌ آخَرُ غيرَ الصّبر، وهذا هو التّسهيل في الوجود، فالوجودُ يُسَهِّلُ

لنا الارتباطَ بين معقولين متباعدين ظاهرًا ويقرِّبُ بين موجودين متنافيين تخطيطًا، والصّعوبات في الحياة ليست بمنأى عن ذلك، فهي مرتبطة بموجودات أخرى غير الصّعوبات، وأهمُّها أنَّه لا توجد صعوبة مطلقة لا يمكن تجاوزها ولا يوجد تعسّر شديد لا يمكن التغلّب عليه، فإنَّ كُلَّ شيءٍ عسير يستبطنُ وراءه سهولةً تتجسَّدُ في حقيقتها الدّائمة في الوجود، فهي تستوعبُ كُلَّ مكان وتستغرقُ كُلَّ منفذ لتجدَ وجودَها باستمرار، فالتّسهيل موجود في كُلِّ شيء ومتحقِّقٌ في كُلِّ مكان ومتجسِّدٌ في كُلِّ آن، لكنَّهُ يزدادُ حجمًا ويعظمُ شأنًا بعد حصول الاضطراب وينمو سرعةً بعد الحزن والاكتئاب، فكُلَّما زادت الأمور تعقيدًا زادت فرصة ظهور قوّة أخرى في الوجود تخالفُ في حقيقتها الصّعوبات وتُعارض في كيانها الاضطرابات، ومهما كانت صورة تلك القوّة ومهما كان شكلها هي -لا محالةَ- ستكون ذات تغيير عكسيّ يخفِّفُ من حدَّةِ الأشياء ويقوِّضُ من ثقلها النّفسيّ.

فإذا علمت أيُّها الإنسان بحقيقة هذه الحكمة وإذا تأمَّلت في هذه الفلسفة، فاعلم أنَّ هذا الوجود قد حسم أمر المؤثّر وقد حصر أمر المتأثّر، فالوجود قد رفع العبء عن كُلِّ شيء وخفَّفَ الوطأة عن كُلِّ حَدٍّ ومقدار، وما نراه من شدَّة الأثقال وما نتكبَّده من حدَّةِ الصّعوبات ليسا إلَّا مرحلةً أوَّليَّةً لظهور التّسهيل ونقطةً انطلاقيَّةً لنموِّه، فالتّسهيل في هذا الوجود لا بُدَّ له من كنف يحتضنه ولا بُدَّ له من جسد يرتديه، وما تلك البيئة إلَّا شِدَّةُ الأثقال وما ذلك الجسد إلَّا تكبُّدُ مرارة الصّبر والعناء، فلا سهولةَ إلَّا بعد شدّة ولا فرحة إلَّا بعد مرارة، فافهم ذلك أيُّها الإنسان ولا تتألَّم من ثقل العناء ولا تتضايق من شدَّة الأشياء،

فإنَّها مجرَّد موجودات ضروريّة التّحقّق لإثبات غيرها ودائمة الموت لإحياءِ نفسها، إحيائِها بكيفيّة مختلفة ونشوئِها بجسد جديد، جسد ليس فيه إلَّا ارتفاع الاضطراب وحلول التّسهيل.

الانكشاف

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الانكشاف الذي يسعى إليه إنسانُ اليوم من خلال المراقبة والملاحظة الدّقيقة والتّجسّس والفحص والتّحقيق والاستنتاج والتّجربة ليس انكشافًا حقيقيًّا ولا يقارَنُ بذلك الانكشاف الذي يحصل في أعماق الإنسان وعوالمه الدّاخليّة، فليس الانكشاف إلّا حالةً تُرافقها الرّاحة والفرح والقبول، فإنَّ حصول هذه الصّفات وتجدُّدَ هذه الأحوال من أهمِّ علامات الامتلاء العلميّ التّامّ، وهو من أهمِّ إشارات ذهاب الشّكّ وتبدُّد الحيرة وحلول حقيقة العلم ومكوث المعرفة، فإنَّ زوال العلم الحقيقيّ لا يُلازمه إلّا كثرةُ الهمِّ ودوامُ الحزن، ذلك الهَمّ الذي لا يفارق العالِمَ الذي جعل علمه محصورًا في رأسه ومتجافيًا عن أعماقه ولا يبرَحُ الحزنُ مجالسَتَهُ ما دام ينتظر النّصر بعلمه وما دام ينتظر المديح من معرفته.

إنَّ إنسان اليوم لا يعرف ما هو الخير ولا يفقه ما هو الشّرّ، هو يعتقد أنَّ الخير كُلَّ الخير في ما يحقِّقُهُ من اكتشافات علميّة وما يدركه من استنتاجات مختبريّة، وقد فاته أنَّ العلم يمكثُ ها هنا بين عقله ونفسه ويتردَّدُ بين لسانه وأعماقه، فإذا علمت هذا فافهم أنَّهُ لا طريق لتخليص عقلك من قيود ذلك العلم المزعوم سوى الصّدق في مقصدك وتجنّب الكذب ما استطعت في بيانِ مرادك، فإنَّ الصّدق لا يقودُكَ إلّا إلى الانكشاف وعلامتُهُ الرّاحة، والكذب لا يقودك إلّا إلى

الانحراف في علمك والابتعاد عن سعيك، وعلامتُهُ حصولُ الألم والحزن والهمّ.

واعْلَمْ أنَّ انكشاف الأشياء لديك هو بداية عافية العقل وهو نهاية سقم الجسم، فإذا حصل عندك الانكشاف زال عن عقلك كُلُّ ما أتعَبْتَ نفسك في تحصيله لسنوات وعجزت عن بلوغه، فيموت عندك نظرُكَ المريضُ إلى النّاس وتُدْفَنُ تحتَ نور الانكشافِ الضّغينةُ والتّقاطعُ وتعمُّ الألفة وتتوثَّقُ عرى المجتمع الواحد فضلًا عن الأسرة الواحدة، إذ إنَّ الانكشاف بمجرَّدِ حصوله يحصَل بسببِهِ الغنى في النّفس، إذ إنَّ سببَ الشّعور بالحاجة هو من أسباب العلم التّقليديّ الذي لا يقود إلّا إلى الشّكّ والرّيبة والانفعال والألم، وإذا كان هكذا فإنَّ أخوف الأمور التي يمكن أن تُرعِبَ الإنسان من مستقبله وأشدَّ الأشياء التي يمكن أن تؤرِّقَهُ في حياته هو تغيُّرُ الانكشاف العلميّ للإنسان بالعتمة وتهاره بالظّلام، وما عتمته إلَّا علوم اليوم الاستدلاليّة الخالية من الصّدق أحيانًا مع ضعة الأدوات المستعملة فيها غالبًا، وما ظلامه إلَّا صعوبة الرّاحة وتعقيد السّكون النّفسيّ وشحناء الصّدر وتفشّي التّقاطع، فهذا هو ما يجب أن يخافه الإنسان وهذا ما يجب أن يحذَر منه، فالحذرُ كُلُّ الحذر من زوال الانكشاف العلميّ عن عقله وابتعاد الوضوح النّفسيّ داخله؛ لأنَّه بحصوله قد جلب لوجوده ألوان الحزن وأحاط بنفسه بسلسلة الاضطراب، فالنّجاةُ كُلُّ النّجاةِ بوضوح الرّؤية وعدم تشويبها بشائبة التّشكيك أو تلويثها بغبش التّعتيم، ولن يحصلَ هذا إلَّا بترك التّعلّق بتجميل البدن المستلزم لإهمال العقل، وهو لن يحصلَ كذلك إلَّا بتحرير العقل وعدم تقيُّدِهِ بالرّغبات، وأيضًا لن يحصل إلَّا بجعل

العقل يخرج عن حدود عالمه الحياتيّ اليوميّ إلى عالم عقليٍّ خاصٍّ به مجرَّدٍ عن تدافعات غيره ومزاحماتها.

وأمَّا إذا قُيِّدَ العقل بالحرص الحياتيّ وأُلجِمَ بالبخل العلميّ فقد وضع قدمه على حافّة الهاوية وتدنَّى بنظرته إلى السّقوط، وإذا جعل عقله لا يعرف سوى توسيع النّظر إلى تجاوز الزّمان بالتّرقّب والانتظار بالأمل الخادع فقد جعل الهلاك سبيلَهُ والضّياع خاتمتَهُ.

فاصبر أيُّها الإنسان، فإنَّ صبرَكَ هو من ينقّي وعاءَكَ، واسعَ إلى تحقيق الانكشاف في كُلِّ شيء حولك، فإنَّ كشفك هو دليلك الذي لن يخذلَكَ حيثما حَلَّ بقاؤك.

تقديس الكلام

اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّكَ إذا أردتَ أن تتجرَّأَ على قيم الوجود وأن تتطاول على معاني الإنسانيّة فما عليك سوى أن تدعم كلامك بالتّقديس وتجمِّلَ أفكارك بكلمات القّديسين دعمًا منك لآرائك وتحصينًا منك لأفكارك، فإذا فعلت ذلك فقد تجرَّأتَ على المنكرِ في فعلك وأشعلت نار الضّغينة في نفسك وكويت بلهبها صدرَك.

فاعلم أنَّكَ غير مسموح لك التّلاعب بما يُقدِّسُهُ النّاس استنصارًا منك لكلماتك التي لا تُحرِّكُها إلَّا رغباتُكَ ولا يُهيجُها إلَّا انفعالاتك، وإيَّاكَ أن تجمع بين القداسة والعاطفة، فتستعملَ ما يوحي للآخرين بأنَّهُ يمثِّلُ كُلَّ عاطفتك أو بأنَّهُ يجسِّدُ معاني التّقديسِ في حياتك؛ لأنَّك بفعلك هذا ستقتُلُهُ كما تقتلُ نفسَكَ وستضعُ من قَدرِهِ كما تضعُ من قدرك.

فافهم أيُّها الإنسان أنَّك مرهونٌ بكلامك ومقيَّدٌ بلسانك، فإنَّ كُلَّ مشكلة تحصل في حياتك يكونُ أوّلُ أسبابها كلامَكَ، وإنَّ كُلَّ اضطراب فيها إنَّما ينطلق من لسانك، فإذا قَرَّرْتَ أن تفعلَ شيئًا فلا تُقرِّرْهُ بلسانك؛ لأنَّك لن تفعلَهُ مطلقًا، وإيَّاكَ أن تدعمَهُ بالمقدَّس من كلامك؛ لأنَّك ستموتُ ولن تدرِكَهُ، فالمقدَّس من كلامك سيصنع أشدَّ الصّعاب في وجهك وسيحول دون بلوغِك مرادَكَ، فلا تجعل نفسك تهبط مع من لا يسُرُّكَ أن تجالِسَهُ ولا يروق لك مخالطتُهُ،

لكن إن قَدّسْتَ كلامك حرفًا منك لمرادك، فقد تساويت مع من نسيَ موتَهُ وانشغل بتوافِهِ رغبتِهِ، وقد تعادلت بفعلك هذا أيضًا مع من تكبَّرَ بعطائه وتفضَّل بمنحته على الضّعفاء والمساكين، فكما أنَّك كرهت هذه الصُّوَرَ التي يفعلها غيرُكَ فاعلم أنَّكَ بتقديس كلامك قد أنزلت نفسَكَ إلى مستوى هؤلاء الممقوتين ومنعْتَ نفسَكَ من المكوث مع العاقلين.

فتقديس كلامك لن يقودَكَ إلَّا إلى مناقضة ذاتك أو لا يرديك إلَّا في مهاوي النّدم والخيبة، واعلم أنَّكَ بتقديس كلامك تمحق كُلَّ كلامك، فخيرُ لكلامك أن تجرِّدَهُ من التّقديس وأن تبعِدَهُ عن كُلِّ ما هو عند النّاس ثمين نفيس، وإنَّكَ -وإن كنت تروم من كلامك بتقديسك الثّباتَ والبقاءَ- لن تجلب له إلَّا الزّوال والفناء، فأنت قد جعلت بتقديس كلامك للناس جزءًا من عقلك بعيدًا عن الاستقلال مبتعدًا عن التّجرّد، فكلامك بتلك الكيفيّة يضيّع كثيرًا من قوى عقلك ويمحو كُلَّ ما تكسبه من قوّته التّفكيريّة، فكلامك حينَها سيكون انعكاسًا لمقاصدك وصورةً لأعماقك، فأعماقُكَ تطلبُ بفعلك هذا التّعظيمَ طريقًا وتُريدُ من تقديسِها التّمجيدَ مستقبلًا، لكنَّ مستقبَلَكَ لن تراه إلَّا نقمةً وغدُكَ لن يكون إلَّا وبالًا، فإذا استوعبت كُلَّ هذا أيُّها الإنسان، فلا تقدِّس كلامك إلَّا أمام من يظُنُّ بك خيرًا، ولا تستعمل كلمات القدّيسين إلَّا بعد صحبة طويلة مع من تبادلُهُ الحبَّ والمودَّة، فإنَّ تقديس كلامك لن يضرَّك حينها شيئًا، ولن ينقصَ من النّفوس قُوَّةً، فإنَّ القوَّة كُلَّ القوَّة بتقديسِ الكلام، لكن شريطةَ أن يكون التّقديسُ غير متنافٍ مع طبيعة الوجود أوّلًا، وألَّا يسمَعَهُ إلَّا من أحبَّك بصدق ثانيًا.

النّظافة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّهُ لا شيءَ يجعل الوجود مخلّدًا لكَ ومسهِّلًا لمكوثك في قلوب النّاس الذين وُلِـدوا والذين لم يولَدوا بعد كالطّيبة وهي نظافة الدّاخل، وكالسّلوك والمواقف العظيمة وهي نظافة الخارج، فإذا جمع الإنسان هاتين النّظافتين صارت النّظافة التي بينهما متحقِّقَةَ الوقوع متحصِّلَةَ الحاصل كنظافة الجسم ونظافة الأسنان ونظافة الشّعر ونظافة الملابس ونظافة الدّار ونظافة الشّارع، فإنَّ افتقاد هذه النّظافات لا سبب له سوى ضياع أحد طرفي النّظافة أو كليهما، فإذا ضاعا فلا نتوقَّعُ حصول أيِّ نظافة أبدًا ولا نرجو وقوعَها مطلقًا، وإيَّاك أيُّها الإنسان أن تتشبَّهَ بالشّخصيّات غير النّظيفة؛ لكونها فاتنةَ المظهر ومتألِّقةَ الخارج، فلا تأخذْكَ هيبتُهُمُ المزعومة ولا تغرَّنَّكَ قاماتُهُمُ الفارعة، فالخواء دائمًا ما يجد مكانَهُ بين الأحجام الكبيرة واللّامعة.

واعلم أنَّ طبيعتَكَ أجملُ مواضِعِ نظافتك وأنَّ هرمَ جسدك وظهورَ التّجاعيد في وجهك واشتعال الشّيب في رأسِكَ هي أجملُ مظاهرك وأكملُ أشكالك فلا تبدِّلها ولا تُخفِها فإخفاؤها ليس بنظافة وتبديلها ليس بتجميل، واعلم أنَّ كُلَّ كارثة زوجيّة وكُلَّ تفكّك أُسريّ وكُلَّ طلاق بين زوجين أو ضياع للأطفال يبدأ من ترك النّظافة، فلا تتوقَّع أن تحِبَّ الزّوجةُ زوجَها مع عدم نظافته ولا نتوقَّعُ العكسَ كذلك،

فلن يكون الحُبُّ الذي بينهما إلّا شكليَّ الحدوث اضطراريَّ البقاء، وعاجلًا أم آجلًا سيختارُ أحدُ الزّوجين أو كلاهما شريكًا آخرَ بدلًا منه إذا كان بإمكانه ذلك، وإذا عجز فلا بديل لهما سوى الخيانةِ حلًّا ولا طريقَ لهما سوى الانحراف سلوكًا.

والنّظافة هي طريق الأمان وهي سبيل السّلام، فلا سلام إلّا بالنّظافة، وكُلّ الخصومات والقتل والحروب تبدأ من شخصيّات ليس لها حظٌّ من النّظافة ولا يملكون نصيبًا من التّجميل، وما قباحةُ الحروب وبشاعةُ القتل إلّا تجسيدٌ لقذارة عقولهم وبشاعة نفوسهم، فاجعل جمالَكَ وكرمَكَ وطيبتَكَ طريقًا لتحصيل نظافتك، فإذا كنتَ جميلَ الأخلاق فأنت نظيفٌ، وإذا كنت كريمًا فأنت نظيف وإذا كنت طيّبًا فأنت نظيف، وإذا كنت تفتقد ذلك فهي إشارة لك لإعادة قراءة نفسك وتقليب أوراقك من جديد مع ذاتك.

واعلم أنَّهُ لا شيء يُعمِّقُ العقلَ ويُعظِّمُ الأفكارَ كالنّظافة ولا شيءَ يقود إلى الرّاحة والسّكون كالنّظافة، فإذا أدركت ذلك وفهمته جيّدًا فتنظّف أيُّها الإنسان بكُلِّ ما تستطيع قدرتُكَ وتجمَّل بكُلِّ ما تطاله يدك، وخيرُ نظافة الدّاخل بعد الطّيبة حبُّ الخير للنّاس، وخيرُ نظافة الخارج بعد الكرم قضاء حوائج النّاس، وخيرُ نظافةٍ للجسد غسلُهُ كُلِّهِ وتنظيفُهُ، وخيرُ نظافة للوجه تنظيفُ الأسنان، وغسل اللّحية للرّجل، وتنظيفُ الأسنان، وتقليل مساحيق التّجميل، أو تركُها للمرأة، وخيرُ نظافةٍ لليد تقليمُ أظافرها، وخيرُ نظافة للقدم غسلُها بالماء الفاتر، فإن لم يفعل الرّجال ذلك اضطربت عقول النّساء وساء سلوكُهُنَّ، وهم لا يشعرون، فإنَّ النّفوس والأفكار تتسامى بالنّظافة وتهبط تسافلًا

بذهابها، فإنَّ الوجود الذي يحيطُ بِكَ من كُلِّ مكان ليس إلَّا وجودَكَ، فلا تُحقِّر وجودَكَ ولا تحقِّر ما يحيط بك، فكلاهما له تأثير على صاحبه، وكلاهما يجودُ لصاحبه وأنت لا تعلم، وخيرُ جودٍ منك لوجودك أن تجعلَهُ يجود بوجوده؛ ليتنظَّفَ، فيجودَ الوجود عليه بالنّظافة التي لا يستطيع نيلَها ويعجزُ عن تحصيلها.

الغلّ

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ هنالك موجوداتٍ لا سعة لها بحجمها ولا قوَّة لها بزيادة أبعادها، لكنَّ سعتها بنوعها وقوَّةِ تأثيرها بتركيب جوهرها، فيكون ضعيفُها لا مثيلَ لقُوَّتِهِ وصغيرها لا قياس لضخامة حجمه، فالحاجة إلى ما في أيدي النّاس وإن كانت قليلةً هي موت معجَّلٌ لصاحبها وتوهين لعظيم كيانه، والألم وإن كان صغيرًا محدودًا فهو قيدٌ لما يتعلَّقُ به ولا يستطيع غضَّ النّظرِ عنه، فهو تحديد للعقل بأبعاده وتحجيم له في تنوّع توجّهاته، وليس العداء ببعيد عن كُلِّ هذا، فهو -وإن وقع مع طفل- كان سببًا في بثِّ الأرق في فكر صاحبه وكافيًا في رفع لذيذ النّوم من عينيه.

وغِلُّ الصّدر يتصدَّرُ تلك الموجودات ويترأَّسُ قائمتها، فهو لا يفرِّق بين مثقال الذّرَّة والجبل في ثقبه وحفرِهِ حفرةً عميقةً سوداءَ في الصّدر لا يطمرها طيب السّلوكُ ولا يسدُّ فاهَها جميلُ المعاشرة، فعدم رضاك بما ناله غيرُكَ سيكون جمرةً في الصّدر ليست بباردةٍ ولا ساخنةٍ ولا منطفئة ولا ملتهبة، فإذا تمنَّيت زوال ما عنده وترقَّبت هلاك ما حازَ عليه في يده فقد نفخت السّموم في تلك الجمرة وبثثت فيها الاستماتة لِكُلِّ حياةٍ موتًا ودفعت داخلها الإهلاك هلاكًا، حتَّى إذا ما استولى هذا الهمُّ في صدرك وسيطر الخوف على خفايا عقلك

واستحال ذلك التّمنّي للزّوال عقدةً وبات وجوده غِلًّا، فالغِلُّ في الصّدر يأكلُ كُلَّ شيء وأوَّلُ ما يأكله الجمالُ الذي تحمله في عقلك اتّجاهَ مَنْ حولَكَ، وآخِرُ ما يلتهمُهُ الإحسان الذي كان للنّاس حصّةٌ منك وكان لهم نصيبٌ في فعلك، وعندها لن تُبقِيَ من أعماقِكَ إلّا هيكلًا خاويًا ووجودًا متهاويًا.

فاحذر أيُّها الإنسان من ضيق التّحمّل في جوفك، فإنَّ جوفك حينها سيكون موطنًا للصّخور وموردًا للفحم المشتعل في أعماقك، فيحترقُ بسببها البدن ويذوبُ الجلد ويخورُ العظم، فتظهرُ نارها في العيون المشتعلة وتنتفخ الأوداج بلفحاتها الحارقة، وما منشأ ذلك إلّا النّظر إلى أعلى القوم مكانةً وارتفاع العنق إلى أشدِّ الأمور خلودًا ومجدًا، فإذا علمت أنَّ هذا ما يدور في ما وراءك، وإذا أدركت أنَّ هذا ما يختفي خلف ثنايا أعماقك، فافهم أنَّ العنق الطويلةَ لا يوقِفُ حركتَها إلّا النَّظَرُ إلى الأرضِ الخالية، وأنَّ نظرَهُ إلى أعلى إنّما يحدُّهُ أن يلويَ عُنُقَهُ إلى الأرض الجرداء، فعليك ممَّا تحتَ قدمك أن تجدَ علاجًا لمرضك الذي أشعل أعماقك، فإنَّ ما تحتَ قدمك وحدَهُ القادرَ على إيقاف حركة عنقك وتقطيع قيود أغلالك، فإنَّ الأرض موجودٌ فيه صنع الأشياء الخالصّة في كُلِّ النّباتات، حيثُ تغذّي بثمارها وعروقها جميعَ ما فيها من الكائنات، فحريٌّ بك أيُّها الإنسان أن ترجع إلى مصدر الحياة الأوّل لنفخ الحياة من جديد في عروقك التي تسمَّمَتْ بالحسد وفي جوفك الذي ماتَ بالغِلّ.

فلتحذِّر نفسك أيُّها الإنسان من التّزيّن لغير ضروريّاتها والتّجمّل

لغير ما هو مطلوب منها، فإنَّها لو فعلت، فقد وضعتَ للحسد بذرةً وسقت للغِلِّ شجرة، وعليك أيُّها الإنسان بالاغتسال بالماء البارد، فإنَّ برودة الجسد تُطفئ الغِلَّ وشربَهُ يُهدِّئُ العروق ويسكِّنُها، فإنَّ الحرارة لا تبقى مع تحقُّقِ البرد وإن النارَ لن تنتشر مع وجود الماء.

الاتّزان

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ متّزن بذاتك دقيقٌ في أفعالك، لكنَّ نظرَكَ هو من يجعلك تفقد اتّزانَكَ، وطمعك هو من يقودك إلى نتائج ضياعك، فلا اتّزان مع عُلُوِّ النّظر ولا استقرار في الحياة مع بقاء الطّمع، فإذا كان الوجود متّفقًا مع ذاتك وبَيَّنَ لك بطريقته بعض أخطاء أفعالك، فأوَّلُ دروسه تعليمه إيَّاكَ أنَّ العمرَ مهمٌّ للتّقويم وأنَّ آثارَ السّنين ضروريّة لتحسين المواقف، فالصّغير عمرًا لا بُدَّ له من احترام الكبير، فضرورةُ النّظر إلى العمر الزّمنيّ هي أسلوب الحكماء وأدب العلماء.

فدرس العمرُ الذي تتلقّاه هو أولى خطوات تعليمِكَ الاتّزان، فإذا تجاسَر الصّغير عمرًا على الكبير عمرًا مع عدم الظّلم فلا يتّزنُ الوجود مع ذاتك، ولا بُدَّ من إعادة الاتّزان بالاعتذار، فإذا عاد الاتزان بالاعتذار فإنَّ عقلك يشعر حينها بقوَّة الاتّزان وبقيمته بين العقل والسّلوك، فإذا تعلَّمْتَ درسَ العمر وأتقنتَهُ جيّدًا فعندها ستكون مؤهَّلًا لتعلّم درس تدبير المعيشة واتّزان الإنفاق، الذي هو شكل آخر لتوقير الكبير واحترامه، فاتّزان المعيشة هو إدراك آخر جيّد في رؤيته للكبر والصّغر ولما هو أوسع من العمر، فهو إدراك للرُّشْدِ في التّملُّكِ وفي الاستهلاك وفي الإنفاق وفي العطاء وفي الأخذ.

فإذا فعل الإنسان ذلك كان مؤهَّلًا لإعادة اتفاق ذاته مع الوجود من جديد، فمجموع الاتّزانات وتفصيلاتها هو بداية لترميم ذلك التّصدّع ورتق فتق الاتّفاق بينهما، فإذا علمت بهذه الحقيقة أيُّها الإنسان، وعملت وفقَها بإتقان ستجد نفسك متوسِّطًا في تفكيرك، متوسِّطًا في أقوالك وأفعالك، وعندها ستكون شخصيَّتُكَ متوسّطةً بتوسُّط يندر وجوده وينعدم تحقُّقُه في غير مراحل التّعلّم الوسيط ودروس الاتّزان.

واعلم أنَّك إذا تجاهلت حقيقة الاتّزان وأهملت نتائج التوسّط فلن تحصل إلَّا على الإفراط في حركة الوجود نحوك من جهة واحدة والتّفريط من جهة أخرى، وستجدُ حينها أنَّك افتقرت بعد غناك وذُلِلْتَ بعد عزِّكَ وتلبَّسْتَ بالجهل بعد علمك وزاد حجم معاناتك بعد قلَّتها أو انعدامها وستحني للغير رأسَكَ وسيعظم عندَكَ كبرياءُ غيرك، فافهم أنَّ الاتّزان في حياتك لا يربطه شيء بقوّتك ولا يتمسَّكُ بشيء من غناك، فحتَّى لو كنت قويًّا فعدم اتّزانك سيفتك بقوّتك وسيكسر عزَّتَكَ، وحتّى لو كنت قويًّا غنيًّا فلن تجد بعد تركك الاتّزانَ غيرَ الفقر بديلًا وغيرَ الحاجة دليلًا.

فاتّزن في كُلِّ شيء أيُّها الإنسان يتّزن الوجود لك، وتوسَّط الأشياء بعقلك تُوسِّطْكَ الأشياء في موقعها معك، فإنّكَ بتوسُّطِكَ هذا قد أمسكْتَ بالجزء الأعظم من قوانين الوجود العليا وعرفْتَ باتّزانك سِرَّها الكبيرَ الذي لا يعرِفُهُ إلَّا القليل في التّاريخ الطّويل.

الإنقاذ

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ يجبُ أن تتعلَّمَ علمَ الإنقاذ، فأنت لن تنجوَ في هذه الحياة من دون معرفتك بهذا العلم ولن تنقذ غيرك بجهلك الكامل فيه، واعْلَمْ أنَّ الإنقاذ لا بُدَّ من أن يكون في متناول اليد وسهلَ التّنفيذ؛ إذ إنَّه لو كان متعسِّرًا في فهمه عميقًا في فلسفته لصار إهلاكًا لا إنقاذًا، وأولى طرق تسهيله هي حصر مرّاتِهِ وتضييق دائرته، فهو لا يعدو في إحصائه أصابع اليد الواحدة ولا يتوسَّعُ إلى حدود القبضتين في الإمساك والعَدّ.

فإذا أدركت هذا، فاعلَمْ أنَّ أوَّلَ ما ينقذك هو خلاصك من حُبِّ التّملُّكِ قدرَ المستطاع، فإنَّ ما تُحِبُّ أن تملكَهُ هو أولى مهلكاتِكَ الخفيَّة، وهو قدمك الأولى نحو الانزلاق في ظلمات الهاوية، فإنَّ الشيء الذي تُحِبُّ أن تملِكَهُ سيملكك شئت أم أبيت وعلمت بذلك أم لم تعلم، سواءٌ كان ذلك الشّيءُ مالًا أو ولدًا أو زوجةً أو مستوًى تعليميًّا، فإنَّ كُلَّ هذا لا يُهِمُّ؛ لأنَّه خاضع لتأثير واحد وهو أنَّك ستكون مملوكًا له، فإذا ملكك فافهم أنَّك قد انتهى أمرك وصرت معدومَ القرار متهالكَ الشّخصيَّة، فلا رأيَ لك ولا فكرَ عندك ولا مستقبلَ ينتظرك، فتخلَّص من حُبِّكَ للتّملك بِكُلِّ طاقتك.

وثاني ما ينقذك هو صلابةُ عقلك اتّجاه مزاجِكَ وضيقِ صدرِكَ

اتّجاه متغيّرات حياتك، فإنَّ صلابة عقلك ستنقذك فيما لو تعكَّرَ مزاجك وضاق صدرُكَ، وعدم صلابته (قوَّته) ستجعله سهلًا مطيعًا للرّغبات، وما صلابة العقل إلَّا بالتّفكير وما قوَّتُهُ إلَّا بالحكمة، فأكثر منهما مع عقلك تُنقذ نفسك من تقلُّباتِكَ غير المحتسبة في خططك.

وثالثُ ما ينقِذُكَ هو قناعتك بارتكابك الأخطاء واعتقادك بأنَّك مخطئ في كثير من أحيانك، فإنَّ قناعتك تلك ستُخْمِدُ من زهوك بنفسك، واعتقادك هذا سيجعل من رؤيتك لها أمرًا مأمونًا، وما أخطاءُ النّاس إلَّا باعتقادها أنَّها لا ترتكب الخطأ، وما هلاكُهُمْ إلَّا بنرجسيَّتِهِمْ التي توحي لهم أنَّهم فوق الخطأ.

فإذا علمت بهذه الأساليب الإنقاذيّة لك وأدركت شيئًا من طرقها الخفيّة فافهم أنَّك لو فعلت ذلك فقد جعلت عقلك ينظر بعمق إلى الوجود ومن حولَهُ وصارَ فكرُكَ يستشعرُ القوّة في تحرّكات الموجودات، فيصيرُ العمق مع القُوَّةِ شيئين مؤثِّرين في خفاياك وظاهِرَيْنِ على نواياك، فيتجسَّدُ كُلَّ هذا على سلوكك ومعيشتك، فلا يُرى منك إلَّا الاعتدالُ ولا يُفهم منك غير التوسُّط، فلا يؤثّر عليك بعد نجاتك من تلك المميتات أيُّ ظرف ولا يتعالى عليك أيُّ حال، إذ إنَّ التّوسّط سيكون جزءًا من وجودك متّصلًا بحقيقتك مستمدًّا قوَّته من ذاتك، فإذا حصل هذا فلن يرى النّاس منك إلَّا عدلًا ولن يكون في أفعالك ظلمٌ، فلا غضبَ يطرأ عليك بعد تعلُّمك وسائلَ إنقاذك ولا سكونَ يؤثِّرُ على عدم ميولك بعد إتقانها.

فاجعل شغلك في أكثر الأمور جمالًا في جوهره يأخذ كُلَّ همّك، فإنَّ مجرّد انشغالك بتلك الأمور هو إنقاذ لك، فأنت في مأمن ما

دمت منشغلًا بها وأنت في حصن منيع ما دمت مهمومًا بتنفيذها، وعليك بالسّير على طريقة أجدادك العقلاء الذين أنقذوا أنفسهم من كُلِّ شرّ حيثُ لم يجعلوا أنفسهم ملكًا لشيء ولم يشغلوا عقولهم بالوهم بدلًا من العلم، فإنَّ الفردَ يتأثَّر بأجداده عند تعقّلهم أكثرَ من غيرهم، فما خطورتُكَ أيُّها الإنسان إلَّا في تولّعك بحبِّ الأشياء وحزنِكَ على خسارتها وأَمَلِكَ في أن تكونَ في المستقبل مالكًا لكُلِّ شيء وواصلًا إلى أعلى الأشياء رتبةً وأسماها مكانةً، فإنَّ هذا التوقّعَ هو ما سيجعلُ من الخطر حائمًا حولَكَ والسّقوطَ قريبًا منك.

فَكُفَّ أيُّها الإنسانُ عن إطلاق الكلمات جزافًا وتوقَّف عن توهين الأشياء بلسانك، فلن تنقذ نفسك بعد ما فعلت من أفكارك إلَّا بالسّيطرة على خطاباتك ونقاشاتك وتوجيهاتك وأوامرك ونواهيك، فإنَّ سيطرتَكَ على كُلِّ هذا سيكون فيه سيطرة على سِرِّ هلاكك وإمساكًا ضروريًّا بطوق نجاتك.

التّقلُّب

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ العقل لا يخاف من شيء كخوفه من التّقلّب النّفسيّ الفجائيّ، الذي يحصل للإنسان بلا سابق إنذار وبلا تروٍّ في القرار، وهذا التّقلّب سيقود لا محالة إلى ولادة ترقّب المستقبل البعيد ونسيان قانون الفناء في هذا العالم، فكُلُّ تقلّب سيرافقه نسيان لشيء اسمه الفناء وسيحلُّ محلَّهُ الاطمئنانُ للبقاء الطويل، الذي هو غير موجود حقيقة ولا ثابت مطلقًا، وما سبب ذلك إلَّا التّقلّب النّفسيّ الفجائيّ وعدم التّحكّم في ضبط القرار.

فاعلم أنَّ سيطرتَكَ وتحكُّمَكَ في عدم التّقلّب في القرار والثّبات على رأي واحد هو أصعب شيء تواجِهُهُ في طول حياتك، وأنَّ إتقانك لهذا الأمر وسيطرتك على ثبات قرارك لا يفوقُهُ شيء تُنْجِزُهُ في حياتك ولا تتجاوزه.مرتبةٌ نفسيّةٌ أبدًا، فإذا فعلت أيُّها الإنسان ذلك فلا تخَفْ من نفسك بعد هذا، فقد سيْطَرْتَ على كُلِّ مشكلاتها بل سيطَرْتَ على كُلِّ شيء فيها.

واعلم أنَّ انقلاب نفسك لن ينتهيَ بعد لحظة القرار، وسيستمرّ أثرُهُ طويلًا ولن يزول كما تعتقد، فإنَّ ذلك الانقلاب في القرار لا يكونُ في تبديل رأيك، بل سيؤدِّي إلى انقلاب في شخصيّتك، أمَّا إذا كان الانقلاب لك عادةً والتّبدّل صار عندك تجدُّدًا وولادةً، فلن تفهم

من شخصيّتكَ شيئًا ولن تملك المعرفة الخاصَّةَ بك أبدًا، بل إنَّك ستتقمَّص شخصيَّةَ ما انقلبت عليه وسترتدي رداء ما تأثَّرَ به قرارك.

وانقلابُ القرار ليس معضلةً بذاته، ولكنَّ المشكلة في انقلابه نحو أمر يُخالِفُ العقلَ ويجافي السّلوكَ المتعارف، فإذا انقلب إلى تلك الأمور السّيّئة فلن يجدَ الإنسان حينها من بطنه إلَّا ملاذًا تقوده إليها عواقب انقلابه عن القرار، فيزيدُ حُبّه للطّعام والشّراب وتشتدُّ شهوتُهُ الجنسيّة فلا يُشبِعُهُ شيء ولا تملأ عينيه صورة، وما ذلك إلَّا بسبب التّقلّب، والأمرُ لا ينتهي عند هذا الحدِّ، ولا يتوقَّف عند هذا المستوى، فإنَّك أيُّها الإنسان بعد تقلبِكَ ستفقد ما كنت تحوزُهُ من معرفة وستتحوَّلُ معرفتك إلى جهل، فلن يبقى لك من المعرفة إلَّا تراث، ولن ترى منها إلَّا ذكرى.

فاحذر أيُّها الإنسان من تقلُّبِكَ النّفسيّ الآنيّ استجابةً لرغباتك، وكن شجاعًا برفض تقلُّبِكَ في كُلِّ حال، فالشّجاعة كُلُّ الشّجاعة في عدم التّقلّب، ومن تقلَّب استجابةً لِكُلِّ رغبة حادثة عنده فلا يُسمَّى إلَّا متقلِّبًا ولا يوصَفُ إلَّا بكونِهِ مُتردِّدًا، فهو لا يمتلك صفة الشّجاعة أبدًا، وما تراه أيُّها الإنسان من أخطاء العلماء في كافَّة التّخصّصات رغم علمهم وعظمة مكانتهم ما هو إلَّا بسبب عدم إتقانهم للتّقلّب الخفيّ وفشلهم فيه، وما تراه من تحوُّل الحكّام إلى ظالمين بين عشيّة وضحاها ما هو إلَّا بسبب التقلّب الخفيّ، فالتّقلّب يُعمي العالِمَ ويزيد من ظلام الجاهل، لكنَّه لن يعمل (أيّ التّقلّب) إذا عطَّلَهُ الإنسان بدقَّة قولِهِ وثبات فعله، فإنَّ تعطيله سيمنح صاحبَهُ قوَّةً ونشاطًا وكياسةً وفطنةً وشجاعةً، وأمَّا الانجراف معه فلن يجعل

من صاحبه إلَّا شخصًا عاجزًا مشلولًا عاطلًا مُعَطَّلًا، فإذا فهمت التّقلّبَ وفلسفَتَهُ فاحذر من تبدُّلِ قرارك واتّباع رغبتك وحافظ على ثباتهما ما استطعت، وكي تحفظهما فعليك ألَّا تتعجَّل في اتّخاذ القرار وعليك أن تتأنَّى في القول والفعل، وخيرُ طريقة للتّأنّي هي ترك القرار، فأنت لست متّخذًا للقرار بقدر ما أنت صورة له، يجري عليك كجزء من الوجود المنفعل مع موجودات أخرى، فافهم ذلك واستوعبه جيّدًا فإنَّ انقلابك عن شيء هو نتيجة لاضطراب علاقتك بشيء آخر مختلف عنه لا تربطه بك صِلَةٌ، ولا يتحيَّزُ بحيّز خاصٍّ به.

فافهم علاقة عقلك بالأشياء، عندها ستعلم نشوء قرارك، وأتقن فهم صورتك بعد نشوئها؛ لتتجنَّبَ حدوثَ انقلابِكَ بعد بقائك.

الدّمار

اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّهُ لا شيءَ يؤدّي إلى دمار الشّعوب ويقود إلى ضياع الأُمم كالانفلات الجنسيّ بين الرّجال والنّساء مهما كانت تلك الشعوب متحضِّرةً ثقافيًّا، ومهما كانت تلك الأمم متقدِّمة تكنولوجيًّا أو علميًّا أو متصدِّرةً قائمةَ الدّول الأغزر إنتاجًا للبحوث العلميّة أو تتضمَّن جامعاتها أكبر عدد من العقول الحائزة على الجوائز العالميّة الكبرى، فكُلُّ هذا لا ينفع وكُلُّ هذا لا يصدُّ القانونَ الوجوديَّ الذي يربط بين نوع الشّهوة وحِدَّتِها وبين ضياع الشّعوب وتدميرها.

إذ إنَّك لا تعلم أيُّها الإنسان أنَّ شهوتك كُلَّما زاد صراخها ونار رغبتك كُلَّما اشتدَّ لهيبها جعلت تعقّلاتِكَ مشلولةَ الحركة قليلةَ النّموّ ميِّتةَ الإبداع، فإذا شُلَّت تعقُّلاتُكَ وانطمرت حركتُكَ فلا تأمن بروز أقذر الصّفات عندك ولا تتوقَّع غير ظهور أبشع السّلوكيّات لديك، وأوَّلُ ما يظهر هو الشّللُ العقليّ والانفلات السّلوكيّ والشّذوذ الجنسيّ ثمّ يعقبه البخل والتّقتير المفرط على ما يجب أن يُنفَقَ المالُ لأجله مع تبذيره على ما لا يرخِّصُ العقل إنفاقَهُ فيه، فيكون شحيحًا بخيلًا في كُلِّ ما هو خير، مبذِّرًا مسرفًا في كُلِّ ما هو شرّ، فإذا حصل هذا فهو أولى علامات الدّمار وأَوَّلُ نُذُرِ الهلاك، فالبخلُ في الخير والتّبذير في الشّرّ لن يقود سوى إلى تحطيم الآخرين لأجل المال دائمًا وقتلهم وسفك دمائهم أحيانًا لأجل ذلك، وهذه

هي بعض ما وراء الصّورة في حروب اليوم المعاصرة التي قادتها حكومات وخطّط لها سياسيّون كانوا هم المروِّجينَ للانفلات الجنسيّ والانحلال الأخلاقيّ ثُمَّ تطوَّرَ الأمر وتطوَّرَ حتّى وصل إلى تجويع الشّعوب والتّقتير عليها في معيشتها، وقد تزامَنَ هذا التّقتير والتّجويع مع إنفاق أطنان من الأموال على أبشع الأشياء وأقذرها ولا أهمِّيَّةَ فيها للنّوع البشريّ مطلقًا، بل هي معجِّلَةٌ لهلاكه ومسرِّعةٌ لفنائِهِ، ويكفي أن ينظر هؤلاء الحاكمون إلى من عاش قبلهم واستوطن بلادهم التي استوطنوها الآن؛ ليعرفوا أنَّ البداية كانت بالانفلات الجنسيّ والتّوسّل بالعتوّ والطّغيان والنّهاية بالدّمار والفناء، وهذه القصَّةُ مُكرَّرَةٌ إلى درجة الإشباع والملل في التّاريخ، لكنَّ الإنسان لا يتعلَّمُ ولا يُصدِّقُ بل لا يريد أن يتعلَّمَ ولا يريد أن يعيش إلَّا في الكذب.

فافهم أيُّها الإنسان ما يدور حولَكَ وما قرأه التّاريخ لك، فإذا فهمت فلا تُفكِّر في المستقبل كثيرًا ولا تخطِّط لغدك أكثرَ من فهمك لأمسك ولا في يومك تسويفًا منك لغدك، فإنَّ الانفلات يبدأ من هذه النّقطة بالذات، والضّياع يبدأ من جهلك بقيمة الوقت وتجاهلك لفلسفة الزّمن، هذا وإن توقّعنا حدوثه للأشخاص غير المتعلِّمين، فإنَّ أهل العلم ليسوا في مأمن من ذلك الدّمار ولا هم يتحصَّنون بحصن منيع من ذلك الانهيار، فإنَّ دمار أهل العلم في مبالغتهم فيه وتعظيمهم له وجعله فوقَ كُلّ شيء.

فتوقَّف أيُّها الإنسان، توقَّف عن تدمير نفسك، فأنت لا تعلم أنَّ كُلَّ زيادة تأخذها إنَّما هي نقصان لك، لكنَّكَ لا تعلم، وكُلَّ إضافة فوق

ما تحتاج إنَّما هي تحطيمٌ لك، ولكنَّكَ لا ترى، فتنازل عن كبريائك وقلِّل من تعظيمك لذاتك وشاور الحكماء، فهم أكثرُ النّاس بصيرة وأعمقُهُم تعقّلًا، شاورهم؛ ليبيِّنوا لك حدودك ويعرِّفوك بخفايا دمارك، فأنت لا تعرف أيُّها الإنسان قدرَكَ وهم يعرفونه، وأنت لا تعرف جهلك بقدرك وهم يبصِّرونك، فإنَّ دمار الشعوب بسبب ترك الحكماء، وضياع الثّقافة بسبب ترك الحكمة.

فافهم أيُّها الإنسان أنَّ الدّمار لا يقع في الوجود إلَّا بخفَّة ذلك الوجود، فكُلَّما خَفَّ ثقلُهُ صار أقرب إلى الدّمار منه إلى الاستقرار، وكُلَّما زادت الحركة نحو خِفَّةِ الثّقل بدأ الثّقل يختفي تدريجيًّا حتّى ينعدم تمامًا، فإذا انعدم انتهى كُلُّ شيء حينها، وحَلَّ الدّمار الكامل الذي ليس فوقه دمار.

الهديَّة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الهدِيَّةَ التي تُهدى إليك إنَّما هي طريقٌ دقيقٌ لمعرفة قدرات عقلك وحركةٌ خفيَّةٌ لامتحان قوّة سيطرتك على نفسك، فإذا أهدى لك أحدُ مبغضيك هدية فلا تَرُدَّها، فردُّكَ إيَّاها قطعٌ لِكُلِّ فرصةٍ لرفع الضّغينة بينكما، كما أنَّه إذا دعاك فإيَّاك أن تَرُدَّ دعوتَهُ فردُّكَ الدّعوةَ زيادةٌ في الشّحناءِ ونقصانٌ في المحبّةِ، فإذا فعلت ذلك هَدَّأْتَ نفسَكَ وقَلَّتْ حِدَّةُ لسانك وأمِنَ النّاسُ من أفعالك، وإذا رَفَضْتَ الهديّةَ أو الدّعوةَ فقد آذيت نفسك وأنتَ لا تعلَمُ؛ لأنَّك ستكون برفضك ما يُهدى إليك عدوانيًّا قاسيًا، وبامتناعك عن الدّعوة صلبًا شديدًا.

وأمَّا إذا كان من أعطاك الهديَّةَ إنسانًا يريدُ التزلُّفَ من مكانتك ويريدُ التّقرُّبَ إلى قوّتك، فإيَّاك أن تقبلَ تلك الهديَّةَ؛ لأنَّك بقبولك إيَّاها تحكُمُ بالدّمار على جميع أساسك، وتُحيطُ بالخيبة كُلَّ بنيانك، وعندها لن يطالَكَ إلَّا النّدمُ على ما قبلت ولن تجنيَ سوى ملامة نفسك على ما تلقّيت، وكن أنت حاملَ الهديّةِ وخصوصًا لأطفالِكَ وزوجتك، فلا ترجع إليهم وأنت خالٍ من كُلِّ هديّة، فأتِ ولَوْ بأبسط الأشياء وأقلِّها، فالهديَّةُ ليست بثمنها، وإنَّما هي بالعقل الذي فكَّرَ فيها فأحضرَها ولم يهمل صاحبها ولم يتجاهل صورتَهُ وحضوره في غيابه، لأنَّكَ إن فعلت ذلك معهم فقد وضعت أساسًا متينًا لبيتك

وأحطت ما فيه بحصن منيع ضِدَّ التّشتّت والتّفرّق؛ لأنَّ هديَّتَكَ لأطفالك ستجعلهم يتعلَّقون بك أكثرَ وستضاعِفُ حُبَّهُمْ، فإذا كسبت حُبَّهُمْ فقد كسبت مستقبلَهُمْ وربحت شخصيَّتَهُمْ.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك لو واجهت رفضًا من إنسان في حياتك وكراهيةً شديدةً تلقَّيْتَها -من دون سابق إنذار- وسوءَ ظنٍّ شديدًا اتّجاهك وأردتَ أن ترفعَ كُلَّ هذا فعليك بالهديّة، فهي ستسيطر على هذه الفوضى النّفسيّة وستقلِّلُ قدرَ الإمكان من النّار الدّاخليّة التي وصلَ إليكَ لهيبُها وأحاطت بكَ قبضتُها.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك إذا أردت أن تجعلَ لهديَّتِكَ قوّةً عقليّةً ضاربةً على مواضع الخطأ في عقول النّاس وعقلك، فأهدِ الهديّة مَن قرَّرَ ألَّا يُهدِيَكَ أيَّ هدية اعتقادًا منه أنَّكَ لا تستحقَّ أيَّ هديَّةٍ أبدًا، فالقناعةُ عنده هي أنَّ إعطاءَكَ الهديّة خطأٌ ما بعدَهُ خطأ، فإنَّ هذا الإنسان هو ضالّتُكَ الكبرى وهو ترياقُكَ الخفيّ، وهو الشّفاء لجميع أمراضك، وهو الحلُّ لجميع مشكلاتك؛ لأنَّك لو أهديته لنزعتَ جميعَ جلدِكَ الميّت ولتحرَّرْتَ من كُلِّ كيانك إلى كيان جديد وحياة جديدة حُلْوٍ مذاقُها طيِّبٍ عيشُها.

واحذر أيُّها الإنسان من الوقوعِ في الحماقة وأن تلحقك التّفاهةُ، فتكونَ كثير الشّراء لهدايا من هنا وهناك استجلابًا منك لمحبَّةِ النّاس وتزلُّفًا لقربهم، فهذا سيجعلُ منك إنسانًا خاسرًا مالَهُ وخاسرًا مقصده وغايته، بل عليك أن تجعل قبول الهديّة لك ارتقاءً وخصوصًا من مبغضيك، ولك تحذيرًا وإنذارًا وخاصّة من الضّعفاء حولك، ولك ولادة وحياة جديدة لو منحتها لأشدّ النّاس كراهية لك.

فإذا فهمت كُلَّ هذا فاعلم أنَّ مالك عاجز عن أعظم الهدايا وممتلكاتك تفشلُ في جلب أسمى الهدايا، فلا هديَّةَ تفوق قولَكَ الحكمةَ للنّاسِ الذينَ يجهلونها ولا يعرفونها، فدون ذلك الجواهرُ والياقوتُ كهديّة والذهبُ والمالُ كعطيّة، فاكسب الحكمة ما استطعت وتكلَّم بها إذا ما سنحت لك فرصةٌ؛ لتكونَ أكثرَ النّاس إهداءً وأعظمهم هديَّةً، وهو ممَّا يعجز عنه المال ولا يسعُهُ أيُّ منصب ولا يطالُهُ موقع أو حال.

واعلم أنَّ الوجود إنَّما يتحرّك نحوك بهدايا لا يعرفها إلَّا من أمسكَ بجوهره وأحاط بشيء من خفاياه، فكلَّما كانت وحدتُكَ شديدة صارت الهديَّةُ عند بابك أعظَمَ وصِرْتَ أنتَ المتلقِّي للهديّة وأنت المُهدي لها، فسمعُكَ مع هدايا الوجود لن يبقى، وبصرُكَ مع إشعاع ضيائه لن يَرى وأعماقُكَ لن تستقرَّ مع حلول وجوده كهديّة، وهي الهديّة التي لن تُنال إلَّا بعد جهد جهيد يبذله الجسد مجتمعًا مع العقل في ذلك؛ لتستفيدَ عندها علمًا قَلَّما يُلْتَفَتُ إليه وتندرُ الملاحظة فيه، وما سِرُّ الانتباه إليه إلَّا قوّتُهُ المختفية خلفَ نعومة فعل الإهداءِ ورقَّتِهِ.

الطّريق

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أن الطريق الذي تسلكه في الحياة لن يحدده إلا قرارك، فأنت من تصنع طريقك بتراكم أنواع خياراتك، وأنت من تُعبِّدُ مسارَهُ بعد ومضات نجاحاتك وسلسلة أخطائك، لكن لتفهم أيُّها الإنسان أنَّك لن تعرف طريقَكَ التَّامَّ بمجرَّد الاتِّكاء على مواطن النّجاح ونقاط الخطأ، فأنت بحاجة شديدة لقراءة عقلك وما يتلقَّاه من أفكار بطريقة فجائيّة، وكذلك أنت بحاجة لقراءة الوجود من حولك بطريقة حِكَميَّة، ولا يمكن أن يحصل ذلك إلَّا بالاستماع الجيِّد إلى أصوات الأشياء والإنصات العميق إلى كلماتها المنطوية بين أفعالها وصورها، فإذا حصلت عندك تلك القراءة وإذا تحقَّق عندك ذلك الاستماع، عندها ستكونُ قد رسمت ملامح الطريق وحدَّدتَ حدودَهُ الرّئيسة وصنعتَ مادَّتَهُ الأولى وجوهَرَهُ الخفيّ.

لكنَّ هذا وحدَهُ غيرُ كافٍ، وهو بمفرده غير مكتمل، فطريقُكَ يحتاج إلى عقل خاصّ يؤكِّدُ لك صحَّةَ ما مارسته ويُعمِّقُ عندك دقَّةَ ما صمَّمْتَهُ؛ لأنَّك من دون ذلك العقل لن تكتفيَ بإضاعة طريقك، بل تصنَعُ طريقًا آخَرَ يختلف عنه؛ بل لا يشبهه مطلقًا في أيِّ شيء، وهنا يجب عليك أن تفهم أنَّ الطّريق ليس طريقًا محضًا فقط، بل هو طريق مع عقل خاصّ، فلا عقلَ خاصٌّ بلا طريق ولا طريقَ بلا عقل خاصّ، واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ العقلَ الخاصّ أهمُّ من الطّريق،

فلو سرت مع عقلك الخاصّ فلا تحتاج إلى طريق وإن كانت معرفةُ الطّريق برفقته ألذَّ في السّيرِ وأطيبَ في الحركة.

فاحذر أيُّها الإنسان من أن يكون طريقُكَ خاطئًا منذ البداية، فإنَّ كُلَّ خطوة ستخطوها ستجعلُ من يعتقدُ بأنَّك دليلُهُ خاطئًا بسيره خلفك ضائعًا باتّباعه حركتَكَ، فتغدو بفعلك هذا حارفًا له عن مساره مُغيِّرًا إيَّاه عن حركته، أمَّا إذا كان طريقك صائبًا دقيقًا فإنَّك ضمنت لمن يسير خلفك بأنَّه سائرٌ سيرًا صحيحًا، وأمَّا إذا كان طريقك خاطئًا فإنَّك ستصنع بطريقك قافلة من الخطّائين خلفك، وإن كان طريقك صائبًا فستصنع قافلة من الصّائبين وراءك، وإنَّ كُلَّ واحد من سالكي الطّريقين لا يملك فكرًا إلَّا فكرَكَ ولا يُبدع في شيء إلَّا وقد أبدع فيه عقلك.

فاحذر أيُّها الإنسان من خطوتك الأولى في الطّريق، فهي عظيمة كعظم وصولِكَ إلى نهايته وكعِظَمِ تجاوزِكَ عقباتِهِ.

وإذا فهمت هذا واستوعبته جيّدًا، فحان الوقت لتعرف مقاييس خطوتك الأولى في طريقك وهل هي صائبة أم خاطئة، فإذا كانت خطوتك الأولى مُحافظةً على استقامة عقلك من التّشتّت والضّياع، طالبةً لسكون المعرفة واستقرارها، مُبعدةً الضّيق عن الصّدر بصحبتها، ويرافقُها بذلك تدفُّقُ بعض عيون الحكمة فافهم أنَّها خطوتك الصّائبة الأولى على الطّريق، وهي تضمن لك دقَّةَ اختيارِكَ وتؤكِّدُ لك صحَّةَ مسارِكَ.

وأمَّا إذا كان ضعف العقل حليفَها وتشُتُّتُهُ وزيرها وكان عدمُ وضوح الرّؤية وتعتُّمُ القرار بصرها، وتدهورُ المعرفة واضطرابُ

الأفكار عقلها، واللّجاجُ والمجادلةُ والمراءُ لسانها، فاحذر، فإنَّها قدمُكَ الأولى نحو طريق الضّياع، وخطوتك الأولى نحو الوداع، فإيَّاك أن تضعَ قدمك الأخرى، ففي وضعها هلاكك، وإيَّاكَ أن تُخدع بعدم حصول الهلاك بعد خطوتك الأولى؛ فهذا من سحر الطّريق وجاذبيّة المسار.

فإذا فهمت هذا فاعلَمْ أنَّ استقامةَ عقلِكَ ستُعَرِّفُ وجهتك، وافهم أنَّ دقَّةَ كلمات الوجود ستفهم دِقَّةَ كلماتِكَ، واجعل مؤنتَكَ المعينةَ لك في استمرارك على الطريق شمسًا تُشرق في أعماقك وغنًى تقبضه في يدك يوحي لك بامتلاكك العالَم كُلَّهُ، وقناعةً عظيمة بحركة الوجود نحوك وابتعاد العدم منك، فإذا أشرقت شمسُ الوجود استجابةً لشروق أعماقك فاعلم أنك قد أكملت الطريق، فاسترح.

الذَّمّ

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الذَّمَّ هو من أشدِّ الأفعال تأثيرًا على الفكر والنّفس وأصعبَهُ إزالةً منهما بعد حدوثه، سواءٌ كان الذَّمُّ صادرًا عنهما أو واقعًا عليهما، فاحذر أيُّها الإنسان ممَّا يقودك إلى تلبُّس لسانك بالذَّمِّ وتعويد فكرك على النّقد القاتل والهجاء الثّقيل، فإنَّ الذَّمَّ إنَّما هو صورة لابتعاد أفكارك عن عقلك وتشبُّع أفعالك بأسْوإِ الأشياء، فأنت أيُّها الإنسان لا تتحكَّمُ بلسانِكَ كما تعتقد ولا تُطْلِقُهُ أو تُلْجِمُهُ كيفما تشاء، وإنَّما لسانُكَ هو أنت، فكيفما تكون سيكون لسانك؛ وكيفما تفكّر سينطلق عنانك.

لكن اعلَمْ أنَّ هنالك أفعالًا محدَّدَةً بذاتها مشخَّصةً بعينها هي ما ستجعل لسانك لا ينطق إلَّا بالذَّمّ ولا يتلفَّظُ بغير الشّتم، وأهمُّها حبُّ المال وحُبُّ تجميعه وحبُّ كنزِهِ والمحافظة عليه والتّولّع بتكثيرِهِ وعَدِّهِ، فلا ينظفُ اللّسانُ ما دمتَ تُحِبُّ المالَ ولا تنطق بطيبِ الكلام ما دمت عاشقًا لتجميعه وتكثيره، فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ هذا الصّنف من النّاس ليس فقط لا يُشَمُّ منه رائحةُ الحكمة ولا يُعرف منه قوَّةُ البرهان، بل لَنْ تسمَعَ منه إلَّا الذَّمَّ أسلوبًا ولن يطرق سمعَكَ منه غيرُ الشَّتم تلفُّظًا، فالمالُ هُوَ السّرُّ الخفيُّ وراءَ كُلِّ فقدانِكَ جمالَ اللّفظ وسكونَ الكلمة وهدوءَ المعنى وحكمةَ الأسلوب، فانتبه للمال الذي تكسَبُهُ فيما إذا ظهر الذَّمُّ في كلامك، وانتبه إلى كيفيّة كسبه

وتحصيله فيما لو جفَّ عن الحكمة لسانُكَ، فإنَّ لسانك علامةٌ بارزة عن خبايا أعماقك ودليلٌ صادقٌ على تولُّعِكَ بمكاسبك.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ الشتمَ قاسٍ على النّفس ثقيلٌ عليها محطِّم لمعالمها فلا تفعلْه أبدًا، لكن ما لا تعلمه أنَّ ذمَّكَ أشَدُّ قسوة من شتيمتك وأعمقُ جرحًا منها، فاحذر من ذمِّكَ غيرَكَ ولو بأبسط أشكاله وأسهل أساليبه، فإنَّ الذَّمَّ غايةُ الشّتيمة ونهايتُها، وهو آخرُ مراحلها وأجلى صورها، وإيَّاك أيُّها الإنسانُ أن توهِمَ نفسَكَ بالنّقد وأنتَ واقع في وحل الذَّمّ والهجاء، واحذر من كونِكَ مقوِّمًا لغيرك ولسانُكَ هو لسان السّبّ والشّتم المبطَّن الذي يظهر بأكثر الكلمات تأنّقًا وأقوى المصطلحات ثقافةً.

فإذا عرفت هذا فاعلَمْ أنَّ الذَّمَّ -وإن صدر من غيرك- يكونُ نقلُهُ من قبلك إلى غيرك مؤثِّرًا في عقلك، فنقلُ الذَّمّ لا يختلف عن قوله، وروايتُهُ لا تقلُّ تأثيرًا عن إبداعه واختراعه، فاحذر من كونِكَ ناقلًا للشّتيمة واحذر من كونِكَ راويًا للذَّمّ، فإذا عرفت هذا وأتقنته جيّدًا، عندها ستفهم حقيقة الشّعور العقليّ بالذَّمّ من دون نطقه أو تحسُّسِ مائه قبل نضوح عينه، فالعقل يتصدَّعُ بمجرَّدِ بروز إيحاءاتها والفكر يضطربُ بحركة أدواتها، فعندها ستعلَمُ ذلك العلمَ الذي لو أتقنته كنت عالمًا بالمعقولات قبل صدورها وبالأفكار قبل نشوئها، فإذا وَصَلْتَ إلى هذه المرحلة وأتممت هذه الدّرجة فعندها ستكون مؤهَّلًا للذَّمّ ومستعدًّا للهجاء، وسيكون ذمُّكَ عندئذٍ ترميمًا وهجاؤك تسنيمًا، فاصبر على الذَّمّ، فَسَيَخْنُقُ الذَّمُّ جهلَكَ، وتأمَّلْ في أعماق وجوده يكنْ في ضِدِّهِ كمالُ علمك.

الولائم

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الولائم التي يقيمها النّاس في ما بينهم، هي من أسْوَإِ العادات وأقذر أساليب صناعة العلاقات، فاحذر أيُّها الإنسان من كونِ أسلوبك في بناء علاقاتك مع الآخرين على أساس الولائم، واحذر من كونِ تفكيرك في صناعة الصّداقة والمحبَّة والتّزلّف إليهم عن طريق إملاء البطون المنتفخة من الشّبع وتكبير الخدود المتهدّلة من الدّسم في حين أنَّ هنالك من يتمنَّى اللّقمةَ اللّذيذةَ والطّعامَ الشهيَّ، فأنت بفعلك هذا شَرُّ النّاسِ مكانةً وأقبحُهُمْ فعلًا، وما طعامك هذا إلَّا أقذرُ الطعام وأسوأ الطّعام، طعام لا يُرجى منه عافية ولا يُنتظر منه صحّة، وهذا هو كُلُّ طعام ولائم اليوم ذات الدّوافع المريضة والنّوايا النّفسيّة الشّنيعة.

فاحذر أيُّها الإنسان، احذر من كونِ هَمِّكَ في الاستئناس بالولائم والاستمتاع بطعامها، فإنَّ طعامها لن يجلب لك إلَّا الأمراضَ ولن يضعَ في معدتك إلَّا السّقمَ، فكن في الولائم والدّعوات كالأسير المقيَّد بقيود، وكالصَّبور الذي لا يفعل فعلًا سوى الضّبط الشّديد للمعدة وعدم تعدِّي الحدود، فإنَّك لا تعلم أنَّ الطّعام في الولائم كُلَّهُ شَرٌّ من بدايتِهِ حتّى نهايتِهِ في جوف معدتك، فأموالُهُ قد جُمِعَت: إمَّا من النّاس الذين لا يرغبون في دفعها ودفعوها قسرًا، وإمَّا من أموال الضّعفاء الذين لا يعرفون أنَّ كبراءَهُمْ وعظماءَهُمْ الذين سلَّطوهم

على أموالهم قد وضعوا الأموال في غير محلِّها الذي يجب أن توضعَ فيه في نظرهم وهي معداتهم القذرة وأمعاؤهم النّتنة، وقد يتولَّى دفعَها أصحابُ الجيوب الكبيرة تبجُّحًا وزهوًا وأنفةً بأموالهم وقدرتهم على الدّفع، وكُلُّ هذا قذارة في قذارة، وتفاهةٌ أسوأُ من تفاهة، والنّاس تأكل ولا تدري ماذا تأكل وتُعظِّم أصحاب الأموال والولائم ولا تدري أيَّ مخلوقات هابطة تُعظِّمُ وأيَّ وجوهٍ كالحةٍ لها تحترم.

وأمَّا طعام الأعراس فَهُوَ الأسوَأُ حظًّا والأسفل مكانةً، فاحذر أيُّها الإنسان من الاقتراب من هذا الطّعام وابتعد عنه ما استطعت، فهو طعام الأكلة التي تمنع بعدها الأكلات واللّقمة المنقّعة بسموم التّبجّح والشّهوات، فهل شاهدتَ عرسًا دُعيت إليه البطون الخاوية النّحيفة من الجوع أو انتُقي فيه أصحابُ الملابس المتواضعة بالتعفُّف والفقر؟! أو كانَ مكان الفوضى في كُلِّ شيءٍ، ومكانُ الطّعام هو الذي ليس فيه طعمٌ غير اعتصار الصّدور ولا توجَدُ فيه لذّةٌ غير كآبة النّفوس، لنْ تجدَ فيه إلَّا الأغنياءَ يتبخترون كالطّواويس ويتقلّبون بأعناقهم كالخيول ينتظرون من النّاس التّعظيم ويترقَّبون منهم الانحناء، فإذا أردت أيُّها الإنسان الحكمة فاترك تلك التجمّعات وابتعد عن تلك الأماكن ما استطعت، وإذا أردت علمًا خاصًّا بك لن ينالَهُ غيرُكَ ولن يحوزَهُ سواك فتحمَّل مرارة مقاطعة مقرَّبيك في حضورها واكتفِ بتَهْنِئَتهم بعدَ مُدَّةٍ من إقامتها، فإنَّكَ بفعلك هذا قد كسرت صخرةً كبيرةً صلدةً كانت تجلس جاثمةً على بئر من الحكمة يختفي تحتها وعلى بحر من المعرفة يتَّصِلُ ساحلُهُ بمرارتِها.

الوقار

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الوقار الذي يطلبه النّاس منذ أمسهم إلى يومهم لن ينالوهُ ولو فعلوا ما فعلوا، فالنّاس تطلبه في الملبس الفاخر ولن تنالَهُ، فما الملبسُ الفاخرُ إلَّا خدعة قصيرة الأمد ضيِّقَةُ النّظر، يبهرك شكلُها ويخطف بصرَكَ بريقُها، حتَّى إذا ما تحدَّثَ صاحبُها صَغُرَ حجمُهُ وخفت بريقُهُ، فإيَّاك إيَّاك أن تتَّخِذَ فاخرَ الملبس طريقًا إلى قلوب النّاس وكمالَ الزّيِّ أسلوبًا لمعاشرتهم، فلن تحقِّقَ غايتَكَ ولن تنال مرادَكَ، واكتفِ ببساطة الملبس ونظافته وتواضعه، فإنَّ الوقارَ حليفُ البساطة والتّواضع، والتّكبّر رفيق التّفاخر والتّصنّع، والنّاسُ تطلبُ الوقار بتجميل الكلام وتأنيقه ولن تنالَهُ، فما جميلُ الكلام وعذوبتُهُ وتأنيقُهُ وترتيبُهُ إلَّا كزرعٍ حلوٍ منظرُهُ طيِّب ريحُهُ، لكن لا تدري بأيِّ ماءٍ سُقِيَ ولا تَعْلَمُ أيَّ ثمرٍ ستقطف إذا ما كبر حجمُهُ واشتدَّ عودُهُ وأينعت أغصانُهُ.

فاحذر من استخدام جمال كلماتك وقدرتك على التلاعب بألفاظ صوتك لفرض هيبتك على بسطاء القوم وضعفائهم، فلن يطول ذلك التجميلُ للكلمات طويلًا ولن يأخذَكَ التّلاعب بألفاظ صوتك بعيدًا.

واعلم أنَّ النّاس تطلبُ الوقارَ قديمًا بنوع الدّابَّة التي تركبُها

وأصالتِها وتطلُبُهُ حديثًا بالسّيّارات الفخمة الغالية الثّمن ولن تنالَهُ، فما اجتمع المنطق السّليم يومًا مع هذه الأدوات ولا رافقت الحكمة أبدًا هذه البهرجات، فإيّاك أن تجعلَ سيّارتَكَ لسانَكَ الذي ينطق عنك، فلسانُكَ محلُّهُ فَمُكَ المرتبط بأفكارك، ولا أرى في فمك حيِّزًا لسيارتك ولا أرى في ركوبِكَ سيَّارَتَكَ تجسيدًا لأفكارك إلّا ما ضحل منها وما هبط.

وإيّاكَ أن تجعلَ من ضخامة حجمك ومن انتفاخ أمعائك توقيرًا لك وطريقًا لمرادك، فما ضخامةُ الحجم إلّا صورة لضخامة العضلات وكمِّيّة الشّحم وخشونة الجذع وصلابة العظم وليس للعقل في هذا من شيء ولا للمنطق فيه من نصيب، فاحذر أن يَغُرَّكَ حجمُكَ الذي وُلِدْتَ عليه، وعليكَ أن تفهم أنَّ وقارك تُتَرْجِمُهُ عضلاتُ بدَنِكَ الذي نشأْتَ فيه.

فإذا علمت هذا وأدركته جيّدًا فاعلم أنَّ الوقار كُلَّ الوقار بتعلُّم العلمِ وتعليمِهِ، فلم يتجسّد الوقار في شيء كتجسُّدِهِ في العلم، لكن احذر من كون وقارك تكبّرًا وتعليمِك تعاليًا، فلا وقار بلا تواضع ولا هيبة من دون انكسار، فافهم وقارك جيّدًا وأظْهِرْهُ في أعماقك حقيقة، فإنَّ الوقار ثمرة لا يسقيها إلّا ماءُ العلم ولا يرويها إلّا تعلُّمُ الحكمة.

فإذا انفعلْتَ بالحكمة فقد تلبَّسْتَ بالوقار حتمًا، إذ إنَّ الوقار متعلِّق بوجود العقل فهو يظهَرُ بالأفكار، وقوَّته تتسامى بالعلم المكتوم، وأمَّا الظّواهر فلا تزيده إلّا ضعفًا بخلاف ظهوره الذي لن يُنالَ إلّا بقوّة.

الابتعاد

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ هنالك موجوداتٍ هادمةً لما قبلَها محطِّمةً لكُلِّ هيكلٍ أقيمَ دونَها ومطيحة بكُلِّ كيان سواها، فهي متمكّنة من ذاتها ومسيطرة على الموجودات السّابقة لها زمانًا والمتواجدة دونها آنًا، فقوَّتُها بأسبقيّة غيرها لها لا بتقدُّمِها عليها، وأقوى تلك الموجودات الهادمة هو الابتعاد الذي يحتاج إلى مقدّمة مهمّة لتحصيله وأهمّ مقدِّماته هو السّلام، فالسّلامُ الذي يحمله الإنسان في داخله في لحظة سيهدم كُلَّ كراهية سابقة له وسيحطِّمُ كُلَّ ضغينة مستترة تحت خباياه.

فإذا حَلَّ السّلامُ بوجوده وأينعت شجرة ثماره بإعدام الكراهية وانتفائها من حياته تأهَّلَ الإنسان بعدها إلى تفضيل الابتعاد في كُلِّ شيء، إذ يصفو في زمنٍ ما عقلُهُ لاتّخاذ هذا القرار، فالابتعاد إنّما هو مرحلة تتأتّى بعد تحقيق السّلام، حيث إنَّ الابتعاد هو ثمرة السّلام العظيمة ومكافأة السّكون الثّمينة، ولا ابتعادَ نافعَ بلا سلام قبله ولا سلامَ لا يقود إلى ابتعاد بعده، فإذا ما ابتعدت أيُّها الإنسان فسيكون ابتعادك حصنًا يحمي سلامك وهو سبب نجاتك من تشوُّهِ قوّة صفاء عقلك بقربك واتّصالك وهو سبب إنقاذك من اضطرابكَ لحظةَ صفائك، فإنَّ السّلام لا يدومُ مع وجود لهيب الضّغينة ولا يستمرُّ مع اضطرام نار الانتقام المتحقّقة بالاقتراب والوصال

بالعقول النّاقصة، وهذا الأمر لا يموت إلّا بالابتعاد، فابتعادك ضروريٌّ الوقوع بعد حصول أمنك وسلامك، وهو بدوره لا يدوم إلّا بعد تحقُّقِ ابتعادك.

فإذا علمت هذا فاحذر من إبقاء جمرة الضّغينة ملتهبةً بقربك واحذر من نفخ نار الحسد بتكرار لقائك، إذ إنَّ ابتعادك في لحظة صفاء القرار هو دواؤك الذي يُعجزك عن تحصيله شِدَّةُ قربِكَ ويُتعبك في نيله شِدَّةُ وصالِكَ، فإذا ابتعدت فاستمرّ في ابتعادك ولا تتوقّف حتّى يوقِفَكَ تحصيلُ المعرفة ونيلُ الحكمة عن دوام الاستمرار، فأنتَ ما دمت متحرِّكًا في الوجود، فاعلم أنَّك لن تلتقيَ بالشّرّ، وأنَّ كُلَّ ما تراه هو خير، وكُلّ خير هو سعادة، وكُلّ نطق هو فيك وكُلّ قول هو إليك وكُلّ فعل هو نافع لك وإن لم ترَ نفعَهُ، وكُلُّ سلوكٍ مَرَدَّهُ إليك وإن لم تتحس خيرَهُ.

فابتعد أيُّها الإنسان ما دامت أسرارُ العقلِ مغلقةً، واهرب ما دامت أبوابُ المعرفة مؤصدةً، فإذا كشفت أسرار العقل، فإيَّاك أن تبتعد، وإذا فُتحت الأبواب فاحذر من المغادرة، فابتعادك حينئذٍ خسارة، فقد جُعل السّلامُ مفتاحَ الابتعاد، وجُعل تحصيلُ المعرفةِ وتدفُّقُ الحكمةِ نهايةً له وجُعل كشفُ أسرار العقل منعًا من فعله وحظرًا له.

فإذا تحقَّقَ الابتعاد بثماره وتعمَّقْتَ في فهمِ جوهر ممنوعاته فقد وصلْتَ إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة إتقانِ القصدِ وانضباطِهِ، فإنَّ قصدَكَ سيستقيمُ بعد ابتعادك، فلا تجاذبات تأخذُكَ ولا انفعالات تزحزحُ مكانَكَ، فإذا استقام قصدُك وانضبطت وجهتُكَ، فقد أمسكْتَ بأسباب التّاريخ ونلت قوَّةَ المجدِ لَكَ ولعائلتك وأولادك،

فالمجد جُعلت أولى خطواته الابتعادَ ولن تحصل على المجد إلَّا بعد أن تجعل الابتعاد طريقَكَ الخاصَّ إليه.

فابتعد أيُّها الإنسانُ بعد علمك هذا وانتقل بعد معرفتك، فإنَّ ابتعادك هو سِرُّ خلاصك وهو أعظم أسرار مجدك، لكن إيَّاك أن تنسى أن ابتعادك لا بُدَّ من أن يكون عن مواضع الخطأ في الوجود ومواضع العدم فيه، وإيَّاكَ أن تبتعدَ من العدم إلى العدم، فإنَّ ابتعادك سيكونُ عندئذٍ ابتعادًا عن الوجود، فهو ابتعادٌ مريرةٌ نتائجُهُ إذا لم تعرف حقيقتَهُ، فإنَّكَ لن تعود بعد تحقُّقِهِ إلى سابق عهدك إلَّا بالاقتراب من الحكماء؛ ليعلِّموكَ كيف تُحقِّقُ مقدِّماته وكيف تكمل دورتَهُ الدّقيقةَ في عقلك، التي لن يُكْمِلَها إلَّا إتقانُكَ فلسفةَ ابتعادك.

الوفاء

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ الوفاء يعكسُ حقيقة جوهرك ويبيِّنُ طبيعة اعتقاداتك، فلا وفاءَ إلَّا ما كانَ مستندًا إلى طبيعة أوَّليَّة ولا عهدَ إلَّا ما كان مصدرُهُ منطويًا في اعتقادك وما تحمِله توجّهاتك، فاعلم أنَّك إذا كنت وفيًّا، كنت طيّبًا خيّرًا وإذا كنت طيّبًا فلا بُدَّ من أن تكون وَفِيًّا، فلا يصدُرُ الوفاء إلَّا من الطّيِّبين، ولا نتوقَّع صدوره من الذين خبثت أخلاقهم وجفَّت طباعهم، فإذا علمتَ هذا أيُّها الإنسان فاعلم أنَّ الوفاء يحتاج إلى بداية تنطلق من النّفوس؛ لتُحَقِّقَهُ، فإذا تحقَّق صدرت عنه ثمرات ونتائج وفاحت منه عطور زكيَّةٌ رائحتُها، ومُلِئت العقول بأطيب أشيائها، فأمتعت الأفكار وشحنت السّلوك بأعظم الطّاقات وأدومها.

فالوفاء يبدأ من تركك الكذب، فإذا تركت الكذب فستجدُ نفسَكَ محكومًا بقوّة الوفاء، فلا تستطيعُ إلَّا أن تكون وفيًّا مع تركك إيَّاهُ، ومعلومٌ أنَّ الكذَّابَ لا يستطيعُ أن يكون وفيًّا أبدًا ولو بذل أقصى جهده في ذلك، فإذا وجدت أيُّها الإنسان أنَّ الوفاء قد استحكم في نفسك وسيطر على عقلك نشأت عندك صفة طيِّبة هي أولى الرّوائح الزّكيّة التي تشمّها وأولى الخصال الحميدة التي تتذوَّقُ طعمها، وتلك الرّوائح جميلةٌ، إلَّا أنَّ الأمانة تبقى هي أزكاها رائحةً وأطيبَها طعمًا، فإذا كُنْتَ وفيًّا، فستكون أمينًا، وستجد أنَّ نفسك باتت لا

تستطيب الخيانةَ بكُلِّ أشكالها من كبيرها إلى صغيرها ومن عظيمها إلى دقيقِها، فتجد أنَّ عينيكَ غير المنضبطتين في النّظر قد صارتا أكثرَ حياءً وأهدأَ سكينةً، وتُفاجَأُ بأنَّ يديك لا تستطيعان التّصرّفَ من تلقائهما إلَّا بفعل الأشياء الحسنة وتتجنّبانِ ذاتيًّا ارتكاب الأمور القبيحة، وعندها ستجد أنَّ الوفاء قد منحكَ أشياءَ لم تتوقَّع أنَّكَ ستنالُها وتوَّجَكَ بعطايا لم تكن تتخيَّلُ أنَّك ستُتوَّجُ بها.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسان بعض أسرار الوفاء فاعلم الآن أنَّ الوفاءَ ليس هو أمرًا يُباحُ لك فعله ويُتاح لك إتيانه إذا ما استطاب ذوقك أو أتيح لذلك ظرفك، بل هو أمر لا يسوغ لك تركه أبدًا تحت أيِّ ظرف ولا يُرخَّصُ لك التّخلّي عنه تحت أيِّ ذريعة، فإذا علمت هذا فاعلم أنَّك لن تستطيع الاستمرار على الوفاء بعد إتيانه مُدَّة من الزّمن، ثُمَّ تتركَهُ، فثقلُ الوفاء كُلُّهُ يُختزل بالاستمرار عليه والبقاء على حركتك الأولى فيه وانطلاقتك الأولى معه، وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بُدَّ لك إذًا من تهيئة أسباب استمرار الوفاء عندك وديمومته في عقلك وثبات إرادتك على عدم التخلِّي عنه، وهذا لن يحصل إلَّا بأن تبدأ بالوفاء مع من يستحقُّ الوفاء، فتتعلَّمَ الوفاء في بيتك وهذا لن يحصل بالتّعليم وحده، ولن يمنحَكَ التّدريسُ والتّلقينُ كفايتَهُ، فأنت لن تحصل عليه إلَّا بنظرتك لوالديك أوّلًا وتعايشك معهما ثانيًا، فلو كنت محسنًا لهما بعد ضعفهما فإنَّك ستُمنح مكافأةَ الإحسان وخصوصًا مع والديك، وستتلقَّى أوَّلَ دروس الوفاء بحبِّكَ لهما حتّى إذا ما صرت محسنًا لهما ستورِّثُ الوفاءَ مجّانًا وستُصبِحُ مخلصًا في حياتك، وأمَّا إذا أسأت لهما أو قَصَّرْتَ معهما فإنَّ أولى خساراتك هي فقدانك الوفاءَ أبدًا وتضييعكَ إيَّاهُ مطلقًا.

فإذا تعلَّمت هذا أيُّها الإنسان فاحذر من اضطراب حياتك بتهاونك في عهدك، فإنَّ تركَكَ إيَّاهُ لعنة ما بعدها لعنة وفوضى ما بعدها فوضى، فاحذر من عدم وفائك بعهدك ولو خسرت بذلك أثمن أشيائك، والتزم به في فعلك ولو أضعت بذلك عمرًا من حياتك، فإنَّ تضييعك سنوات حياتك أهون من تضييعك الوفاءَ؛ لأنَّك بتضييعك إيَّاه ستخسر ذاتَكَ إضافةً لخسارة حياتك...

الماء

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ ما يحصل في أعماقك من أخطاء وما يجري في عروقك من صفات لن ينحصر تأثيرُهُ في مكنوناتك، ولن يبقى حبيسًا في مخفيَّاتِ أفعالك، بل سيظهر إلى الخارج وسيؤثّر على أشياء لم تتوقَّع يومًا أنَّها ستؤثّر عليها، فإذا علمت هذا فاعلم أنَّ أولى الأشياء التي تتأثَّر بتلك الأخطاء الدّاخليّة هي الأشياء التي تُناقضها وتُضادُّها، وأهمُّ الأشياء التي تنفعل بذلك هي الأشياء ذات الطّبيعة الصّافية وذات الجمال الأخّاذ والسّكون السّاحر وذات القوّة الخفيّة العظيمة المحطِّمة للماديّات أحيانًا والمسكِّنة لمضطرِباتها دائمًا، وهذه الصّفات -وإن تحقَّق وجودها في موجودات معيّنة- هي لن تتجسَّدَ في شيء كتجسُّدها في سائل عجيب ارتبطت به الحياة وتوقّف عليه نشوء الطّبيعة وصار متحكّمًا في كُلِّ شيء يرتبط بها وجودًا ودوامًا، ذلك الموجود هو الماء.

وبعد فهمك هذا فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ انفعالاتك وأخطاءَكَ ستؤثِّرُ على ما يحيط بك من أشياء وستدفع بك إلى ما حولك من أنحاء، فلو كنت حابسًا نفسك على ما لا تريد فعله عازمًا على مخالفة ما يَسوْؤُكَ مخالفته، فإنَّ أخطاءَ لسانِكَ وحواسِّكَ النّاتجةَ من سوء مقاصدك ستكسر حبس نفسك وستثني قُوَّةَ عزيمتك، فإذا حصل هذا معك فعليك بالماء فاغسل بعض أجزاء بدنك، فإنَّ الماء

سيُصَحِّحُ بملامسته الجسدَ بعض آثار أخطائك وسَيُهَدِّئُ بشربه شيئًا من ثورات غضبك، فإنَّ غضبك هو أعظمُ أخطائك، وإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تلجأ بعد غضبك إلى ما يلجأ إليه بعضُ الجاهلين كتدخين السّكائر أو الاندفاع إلى عمل أشياء قبيحة بقوّة الغضب، فإنَّ هذا سيزيد من حِدَّتِهِ وسيُضيفُ الزّيت إلى نيرانه، بخلاف الماء الذي لو شربتَهُ لأطفأتَ الغضبَ ولهدَّأْتَ ثورانَ نفسِكَ، وإيَّاكَ أن تلجأَ إلى شرب المهدِّئات والمسكِّنات والمُسكرات لتخفيف نوبات الاكتئاب وموجات الحزن، فكُلُّ هذا سيزيدها ولو بعد حين، بخلاف الاغتسال بالماء وشربه، فإنَّهُ سيرفع كُلَّ أثقال الهموم عن كاهلك، وسيُزيحُ كُلَّ ألوان الحزن عن نفسك، وإيَّاك أن تترك بعض أجزاء بدنك الدقيقة بعيدةً عن وصول الماء إليها، فإن غسل هذه الأجزاء الدقيقة بالماء له تأثير كتأثير غسل الأجزاء الكبيرة نفسها، فإنَّ الأماكنَ الضّيِّقةَ دائمًا موضعَ اختبار للماء، فإنَّ الماء إنَّما تختبره هذه الأماكن، فإذا وصل الماء إليها فقد عمل بكُلِّ طاقته، وإذا عجز عن الوصول إلى تلك الأجزاء الدّقيقة فكُلُّ طاقته ستنفَدُ، ولن يعمل ولن يظهر له أيُّ تأثير فيها.

فركِّزْ أيُّها الإنسان على دقائق أماكنك واعتنِ بها جيّدًا، فإذا فهمت أهمِّيّةَ الماء في سلوكك وإذا أدركت قيمته في السّيطرة على انفعالاتك فاعلم أيضًا أنَّ كُلَّ تأمُّلاتِكَ من دون الماء ناقصة وكُلَّ أفكارك من دون توسُّطه مشوّشة، فقبلَ أيّ تأمّل اغسل بدنك أو بعضَ أجزائِهِ بالماء؛ لتصفُوَ أفكارُكَ، وحاول أن تختليَ بأماكن المياه؛ ليسهلَ عليك قربَها الغوصُ في نهاية قرارك، فإذا فعلت هذا قبل التّأمّل فَلَن ترى جفافًا في حكمة ولن تعرفَ حبسًا عن معرفة،

فمع الماء غسلًا ومكانًا سيحضر عمقُ التّأمُّل ومع انعدامه سينعدم، وإذا نسيتَ استعمالَ الماء ومارست التَّأمُّل، فإنَّ الأمر لن يفوتك، وإنَّ قافلة الخير لم ترحل بعيدًا عنك، فاغسل بعد تأمُّلِكَ بعضَ أجزاء بدنك أو كُلَّها، واعلم بأنَّك بفعلك هذا ستعيد ترتيب ما اضطرب من أفكارك بعد إتعابها بالتّأمّل، وعندها ستقوى بصيرتك وستزيد حِدَّةُ ذكائك، وإذا ما فعلت التَّأمُّلَ من دون إدخال الماء فيه فلا تخف من تأملاتك إذا حقَّقْتَ ما يفعله الماء في عقلك، ومن تثاقلك عن الأمر، فعوِّضْ عنه بتنظيف أسنانك، ففي تنظيفها قوّةٌ كقوّةِ الماء على البدن، واحرص على عدم تنظيفها بأدوات وموادّ تُتلف أسنانك وأنت لا تعلم، وحاول أن تبحث في أكثر الأشياء منفعةً لها، ففي منفعتها دوام صحَّة تأمُّلاتك.

وخيرُ الموادِّ لتنظيفها هو المواد الطّبيعيّة وأعواد سيقان وأغصان بعض النّباتات المعرَّضة للشّمس والخالية من الموادّ الكيميائيّة، ما أمكنك ذلك.

وبعد فهمِكَ كُلَّ هذا لا تفرِّط في استعمال الماء من حولك في صناعة عقلك وفتح أبواب أفكارك العظيمة، وكذلك لا تُفْرِطْ فيه، فإنَّ الإفراطَ فيه خسارةً لك، فهو لن يكتفيَ بعدم منفعتك بل سيسعى لتحطيمك، فالماء سائل مهمَّتَهُ الحياة منحًا وقبضًا ولن يتهاونَ في ذلك أبدًا.

الوصايا

اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّ كُلَّ ما تقومُ به من أعمال وكُلّ ما تبذلُهُ من مجهود في شطر من حياتك لا يساوي قيمةَ ما توصِلُهُ لغيرك من تجربتك ولا يكافئ عظمةَ ما تَهَبُهُ لهم من سجاياك، فاعلم بأنَّ لديكَ علمًا جمًّا بشيءٍ ما في هذه الحياة، كبيرًا كان ذلك الشيء أو صغيرًا قبيحًا كان أو حسنًا، فأنت في كُلِّ لحظة تتعلَّمُ وفي كُلِّ آنٍ تزداد خبرةً وتتوسَّع إدراكًا في مجال من مجالات الحياة الواسعة، فاعرف قيمةَ ما تعلم وافهم قدر ما تكتسب ولا تنظر إلى نفسك بدونية ولا تُعامِلْها بالقدر الضّئيل، فإذا ما انتبهت إلى قيمة معرفتك بأيِّ شكل من أشكالها وإذا ما عرفت قدر كسب معرفتك بأيِّ صورة من صورها، فافهم أنَّك صرت وصيًّا على علم لا وصيَّ له بعدك، وأمينًا على معرفةٍ لا أمينَ لها سواك، فإيَّاكَ أن تتهاون في منحها غيرَكَ وإيَّاكَ أن تُهْمِلَ أهمِّيَّتها في نفسك، فأنت تمتلك كنزًا ثمينًا؛ لمجرَّد أنَّه يمرُّ عليك يومٌ في عمرك وتنقضي ساعة من حياتك، فإذا أدْرَكْتَ هذا واستوعبتَهُ جيّدًا فعليك أن تعلَمَ بأنَّكَ ينبغي أن توصيَ غيركَ بما تعلَّمته، سواءٌ أكانَ ما تعلَّمته حسنًا أم قبيحًا، مهمًّا أم تافهًا، صغيرًا أم كبيرًا، إذ عليك أن تعلَمَ أيُّها الإنسان بأنَّك ملزم بإيصال تجربتك إلى غيرك وجعل ثمرة حياتك سهلةَ القطف عند سواك، فأنت بفعلك هذا ستُحيي إنسانًا ميّتًا وستُرشِدُ إنسانًا حائرًا،

فإذا فعلت صارَ لتجربتك قيمة وصار لمعرفتك أثرٌ حياتيٌّ وتجسيدٌ واقعيٌّ في حين أنَّ كتمها وإخفاءها سيجعلك ميّتًا منعدمًا لا أثرَ لك ولا قيمةَ؛ لأنَّك ستموت وسيموت كُلُّ شيء تعلَّمْتَهُ معكَ، بخلاف توصيتك غيرَك بما تعلّمته، فإنَّهُ سيُبقيكَ حيًّا ما بقي ذلك الشيء حيًّا، وستغدو مذكورًا ما دام ذلك الشيء مذكورًا، واحذر من كتمان علمك وتجربتك ومعرفتك عن النّاس وانتظار منفعتها لنفسك لرفع شأنك وتعظيم قدرك، فإنَّك لو فعلت ذلك لاستحالت تجربتك حزنًا عليك ولصارت معرفتك هَمًّا في صدرك؛ إذ إنَّك خنقتها ومنعتها من الخروج بخلاف إخراجك إيَّاها لمنفعة النّاس والمقرَّبين منك، فإنَّها ستولِّدُ في صدرك انشراحًا وستصنع في أعماقك سعادةً لا توصف.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ أَوْلى النّاس بنقل خبرتك لهم وإيصال تجربتك في الحياة إليهم هم أبناؤك وزوجتك، فهم أحقُّ النّاس بك وأضْمَنَهُمْ حيازةً لك، فعلِّمهم ما تعلَّمته ولا تحرمهم ممّا اكتسبتَهُ في سِنِيِّ عمرك وأيّام قوَّتك وشبابك ولا تحاول أن تجعلَ تعليمك لهم سيرًا منهم على نهجك وتتبُّعًا منهم لطريقة معيشتك وفلسفة حياتك، فهذا ظلم لهم وتضييق لسعة أفقهم، لكن لا تتركهم يستجدون غيركَ في التّعليم ما استطعت، فتعليمُكَ إيَّاهم أبلغ أثرًا من تعليم غيرك إيَّاهم وأدوم بقاءً من إرشاد سواك إيَّاهم، وإذا اضطُرّوا إلى أن يُعلِّمَهُمْ غيرُكَ فلا تكفَّ عن وصاياك لهم، فوصاياك لن يحصل عليها أبناؤك من غيرك فلا تُجبرهم أبدًا على ذِلَّةِ استعطائها من سواك، ولا تتهاونْ أيُّها الإنسان في وصاياك للنّاس ووصاياك لعائلتك، فإن لم تفعل فهيِّئ نفسك لسمعة سيِّئة تلحق بك بسبب أنانيّتك في حبس خبرتك،

وكن مستعدًّا لعار يُصيبك في حياتك بسبب بخلك وحرصك على عدم إطلاع غيرِكَ على ما عندك.

فتعلَّم أيُّها الإنسان كيف تقرأ حياتك؛ لتستخرج خبرتك وتعلَّمْ كيف توصي غيرِكَ بالسّيطرة على ذاتك، واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الوصايا -مهما كانت قيّمةً ومهما كانت ثمينةً- لا وصيَّةَ منها كالتّحذير من الجهل بخفايا الحكمة، فجهل النّاس بها سببٌ لدمارهم وهم لا يعلمون، فإذا تعلَّمت شيئًا ممّا خفي منها فلا تكتمه أبدًا، فإذا كتمته فقد وقعت في مفسدة كتمانِهِ، وإذا كنت قد انتبهت وأوصيتَهُمْ بخفايا الحكمة فلا تنسَ وصيَّتَكَ لهم بكيفيّة اجتناب مخالفتِها، وهذا يُحتِّمُ عليك أن تُعلِّمَهُمْ بعض أسرارها وخفاياها، ولن تعرف أسرارها أبدًا حتّى يتساوى سِرُّكَ وعلانيتُك، فإنَّ خفايا الحكمة إنَّما تُحاز حين يتساوى سِرُّكَ وعلانيّتُكَ، وبخلاف ذلك لن تحصل على شيء من تلك الحكمة، ولن تستطيع حينَها أن توصيَ أحدًا بما خفي منها؛ لأنَّك لا تعرفها ولا تفهمها، وبالتّالي ستفقدُ درايَتَكَ بعلم الوصايا وستضيِّعُ فرصتَكَ في وصيَّة غيرك، لكن اعلم جيّدًا أنَّكَ لن تؤهَّلَ إلى درجة أن تكون موصيًا إلَّا إذا كُنْتَ غيرَ مسيءٍ إلى أحد ومستغنيًا عن شرار النّاس، فعندها لن تكون فقط وصيًّا بل ستكون سيّدًا للوصايا.

المستشار

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ بأنَّكَ لستَ مطلقَ التّحكُّم في اختيار رفقاء دربك كما يحلو لك، ولست مسيطرًا على اتّخاذ مستشاريك في الحياة كما يطيب لخاطرك، فإذا كنت كذلك فأنت مخدوع الاعتقاد ومغرور بمساحة اتّخاذ القرار، فأنت لا تدري أن رفقاءك هم نتاج لحقيقة جوهرك وأن مستشاريك هم ثمرة أفعالك، فإن كنت محبًّا للعُلُوِّ وراغبًا بالمناصب العالية متولِّهًا بالتّسلّط على رؤوس النّاس ساعيًا إلى نيل كُلِّ ما تطاله يداك، محبًّا للمديح مُقرِّبًا لكل من يُجَمِّلُ لك منظرَكَ، ومتجافيًا عن كُلِّ من بحكمته يُعَلِّمُكَ، فأنت بذلك قد اخترت رفيقَ دربِكَ بجهلك وأنت من التقطت بيديك مصادرَ قرارك.

وإذا كنت مُحبًّا للعلم وحدَهُ متجافيًا عن اللَّهَثِ خلفَ ألقابه، مُفضِّلًا قليلَ الحكمة على كثير المال، مُخرجًا من تخيُّلاتك صورَ التّرف ومتحكّمًا في حركة نفسك نحو العلوّ والتّمركز والتّسلّط فلا ترغب بلقاء من يمتدحك حبًّا منك لمدحه إيّاك، ولا تَصُدَّ من يكشفُ بصدقٍ بعض أخطائك ولا يؤنِسْكَ شيءٌ كالاختلاء بالمعرفة ولا يَغُرَّنَّكَ شيءٌ كتجميل الكلام اضطرارًا تماشيًا مع النّاس، كُلُّ هذا يحصلُ رغبةً منك بالاختلاء بعقلك واحترازًا منك عن اللّحوق برَكب الضّائعين وقافلة الكسالى النّائمين، فأنت قد اخترت مستشاريك بعلمك، وأنت من اخترتَ وزيرَكَ بقدرتك على التّحكّم بعقلك.

فإذا علمت هذا فاعلم أنَّكَ قد قطعت شوطًا عظيمًا من طريقك باختيارك مستشاريك، فكلا النوعين من مستشاريك سَيُسَرِّعُ لكَ سيرَكَ وسيوسِّعُ لك خطواتِكَ، فإن كان مستشارُكَ وليدَ معدنِكَ الأوَّل ومترشّحًا عن اختلاجات نفسك الأولى كان (مستشارُكَ) غيرَ أمين معك، خائنًا سِرَّهُ في نصيحته إيَّاك، فإذا نسيْتَ خيرًا لم يُذكِّرْكَ به أبدًا، بل سيسعى لأن تنسى كُلَّ خير تتذكَّرُهُ، وإذا ذكرت خيرًا وأقدَمْتَ على فعله صغَّرَهُ في عينيك وقتلَ همَّتَكَ في بلوغ مرادِكَ إيَّاهُ، يفعل كُلَّ هذا وأنت لا تعلَمُ بكُلِّ ما يفعل، فالمستشار من هذا النوع قد يكون هو من أقرب النّاس إليك وأمتعهم إلى نفسك، ولكنَّهُ أكذبُهُمْ معك وأسوأُهُمْ نصيحةً لك وأقلُّهُمْ إعانةً لك.

وإذا كان مستشارُكَ وليدَ معدنك الثّاني وتجسيدًا لصفاء عقلك العالي ويخضعُ لتحكُّمِكَ بنفسك ويتهيَّأُ بدقَّةِ حكمتِك فأبشر به نورًا مبصرًا وأكرم به عقلًا مدبِّرًا، فهو سيُذكِّرُكَ إذا نسيت خيرًا أو فاتك شيءٌ منه، بل لن يَدَعَكَ تنسى أبدًا وإذا ذكرت خيرًا وأردت فعله سَهَّلَ لك الأمر وحبَّبَهُ إلى نفسك ورفَعَ عنك المعوِّقات في سبيل بلوغ مرادك منه، لا يقبل من نفسه أن يبتسمَ في وجهك إعانةً منه لك على خطئك، ولا يرضى أن يراك متحيِّرًا في سبيلك وهو قادر على الأخذ بيدك، فالمستشارُ من هذا النّوع قد يكون من أبعد النّاس عنك مكانةً وأثقلِهِمْ على نفسِكَ كلمةً، لكنَّهُ أصدقُهُمْ مَعَكَ وأحسنُهُمْ نصيحةً لَكَ وأعظمُهُمْ إعانةً لعقلك.

فإذا علمت هذا فاعلم أنَّه لا يوجد في النّاس فاشلٌ وخاسرٌ كالمستشار الأوّل وصاحبه (المستشير)، ولا يوجد ناجحٌ وغنيٌّ

كالمستشار الثّاني وصاحبه (المستشير)، فهؤلاء الأصناف هم من أخسر النّاس وأنجح الناس، يظهرونَ في حياتك من دون إرادتك، ويتحكّمونَ في قرارك من دون طلب منك، وكُلَّ هذا صنعتَهُ ولم تعلم، وأنتَ أقمت بنيانَهُ ورسمت حدودَهُ ولا تدري.

فافهم ذلك أيُّها الإنسان واعرفه جيّدًا ولا تكن تافهًا، فتجعلَ من صاحب المال مستشارًا لك ومن الألقاب العلميّة الرّنّانة في صداها والفارغة في معناها مُعينًا لك، فلن تحصلَ على مرادك منهم، ولن تبلغَ غايتَكَ بِهم. وكذلك عليك أن تعرف بتمعُّنٍ أنَّ المستشار قد يتجاوز الزّمان والمكان، فيكونَ مستشارُكَ هُوَ أسوَأَ النّاس حظًّا في التّاريخ البشريّ يُمِدُّكَ بالسّوء ويُزَوِّدُكَ بالأفكار، وأنت لا تعلم؛ لأنَّك وصلت إلى درجة من السّوء جاوزْتَ بها كُلَّ السّيِّئين في زمانك، فلا يصلحون مستشارين ولن يرافِقوك موازرين، فعندها ستتجاوز الزّمان بفعلك هذا، وقد يكون مستشارُكَ أعظمَ النّاس مكانةً في التّاريخ يُلهِمُكَ الصّوابَ ويُمِدُّكَ بالتّعقّل، لكن ليكن في علمك أنَّ الحصول على هكذا مستشار هو ثمرة العمر ومكافأة السّنين التي لا تهدى كُلَّ أحد ولا ينالها أيٌّ كان، فهذا يحتاج إلى شروط خاصّة وقيود كثيرة قد لا يُطيقها الإنسان.

الثّقل

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ الثّقل موجود في الأشياء من حولنا ومتواجد في كُلِّ شيء محيطٌ بنا، وهذه الحقيقة يشعرُ بها العالِم في عقله وأعماقه بالإضافة إلى إدراكه إيَّاها في تفكيره ومراقباته، إلَّا أنَّ تفكيرَهُ كشفَ بعضَها، ومراقباتِهِ أناطت اللّثام عن شيء من خفاياها، فظهر من ذلك بعض مصطلحات العلوم الطّبيعيّة كالوزن والتّسارع وأسفرت عن حقيقتها طائفةٌ من القوانين الضّيّقة المحدودة المحاكية للحسّ والمعتمدة على المادّة، وكُلُّ هذا لا يعكس كمالَ الصّورة ولا ينطقُ بتمامِ العبارة وجمالها.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك وأحطت به جيّدًا فافهم أنَّ نظرك إلى غيرك ثقلٌ كبيرٌ على عقلك، وتمنّيَكَ زوالَ ما عنده إعدام لقوّة ذاتك، لكنَّكَ أيُّها الإنسان لا تشعر بذلك الثّقل ولا تتلمَّس حجمَ ذلك العبء، فإذا ما ذهب بصرُكَ لما ملكهُ غيرُك، وإذا ما تاقت نفسك إلى ما حازه سواك فاحذر، فإنَّ الثِّقلَ عندك قد وُلِدَ، وإنَّ رأسَهُ قد أينع، فانتبه لشعورك به وإحساسك بولادته؛ لأنَّ تركَكَ إيَّاهُ سيُحيلك إلى الخطأ وإهمالَكَ إيَّاهُ سيقودك إلى الظّلم، فخفِّف من ثقلك بمنع مَدِّ عينيك إلى سواك واقطع رأسَهُ بتمام قناعتك، واجتثَّ جذوره بتعمُّق معرفتك بحكمة الكون النّاطقة بصراحة بأن لا رابحَ ولا خاسرَ في هذا الوجود أبدًا إلَّا بميزان التّقوى، عندها سيخفُّ ثقلك وسيزول

هَمُّكَ وهذا أوَّلُ الأثقال التي تظهر في صدرك وأجلى الأمور التي يكشفُها سوءُ نظرِك، لكن لتعلم أنَّ خلاصَكَ من هذا الثّقل لا يعني أنَّكَ قضيت على الأثقال الأخرى، وأنَّ اجتثاثَكَ جذورِهِ لا يؤدِّي إلى عدم ظهور جذور له من غير مورده أو نموِّها في أرض غير أرضه، فانقيادُكَ نحو الظّنّ له ثقل لا يقلُّ وزنًا عن صاحبه الأوَّل ولا ينقص مقدارًا عن قيمته، فاحذر من الثّقل الذي يظهر بظنِّكَ، فإنَّهُ ثقيلٌ مريرٌ طعمُهُ لا يزيدُكَ إلَّا همًّا ولا يُكسِبُكَ إلَّا تجافيًا.

فاحذر من ثقل الظّنِّ (أن يُسيطر عليك)، وانتبه، وإيَّاك أن يُهيمنَ على كيانك، وخيرُ وسيلةٍ لذلك هو تركُكَ التّفحُّصَ في أحوال النّاس بعد وقوعه، وتركُكَ الاستعلامَ عن خصوصيّات أشيائهم طريقًا لبيانه بعد حصوله، فإنَّ تركَكَ التّفحُّصَ والاستعلامَ سيخفِّفُ من ذلك الثّقل وسيرفَعُ عنك ذلك العبء، فإذا تخلَّصْتَ من هذا فاحذر فإنَّ هنالك ثقلًا آخَرَ ينتظرك وعبئًا ثقيلًا يترصَّدُكَ، فإنَّ تَخَلُّصَكَ من الثقلين الأوّلين ليس أمرًا هيِّنًا وابتعادَكَ عنهما ليس أسلوبًا ميسَّرًا، لكنَّ الثّقلَ الآخَرَ أشدُّ منهما قُوَّةً وأعلى منهما مكانًا، ذلك هو ثِقْلُ حُبِّكَ نفسَكَ وعشقُكَ أنانيَّتك إلى حدِّ إلغاء غيرك وإعدام سواك، فلا يسمعُ النّاس منك إلَّا تقييمًا سيِّئًا لمن حولك ولا يصدُرُ منك إلَّا توهينٌ لسواك، فشدِّدْ حذرَك أيُّها الإنسانُ من هذا الثِّقل، فهو أَثْقلُها وزنًا وأشدُّها أثرًا عليك، فإذا حصل هذا عندك فاحذر من غضِّ النّظرِ عنه وإيَّاكَ أن تُهْمِلَ علاجَهُ، وخيرُ علاج له هو ميلانُكَ على نفسك وترجيحك كَفَّةَ غيرِكَ على كفَّتِكَ، وهذه ليست بالنّصيحة السّهلة ولا بالعلاج المستساغ لكُلِّ أحد، لكنَّ ظهورَ الثّقل في العقول النَّيِّرة وتثاقُلَها من وجوده سيسهِّلُ تنفيذَها وسيعبِّدُ الطّريقَ إلى بلوغك هدفَكَ فيها.

والخلاصةُ أنَّ الثّقل هو مرير على العقول المتعالية، وشديدٌ على الأفكار النّقيَّة، إلَّا أنَّ هنالك ثقلًا لطيفًا نوعُهُ خفيفًا ثقلُهُ جميلًا وَقْعُهُ يختلف عن كُلِّ ثقلٍ آذاك نشوؤُهُ وأتعبَكَ بقاؤه، ذلك هو ثقل العلم، فهو أعظم الأثقال مكانةً وألذُّها طعمًا وأطيبُها رائحةً، فحاول أن تصنع عندكَ هذا الثّقلَ وحاول أكثر أنْ تحافِظَ عليه بعد حصوله ولا تُفرِّطَ فيه أبدًا بعد قبضه، واترك كُلِّ شيء لأجله؛ لأنَّك بتحصيلك إيَّاه تكون عندئذٍ قد تخلَّصْتَ من جميع أثقالك ونفضت جميع غبارك وعالجت جميع أمراضك المهلكة لك والمتعبة لعقلك.

واعلم أنَّ ثقل العلم لا يفوقُهُ ثقلٌ أبدًا وإن كان ثقلُ مشاهدةِ العقلِ جواهرَ الأشياء ليسَ بأقلَّ منه شأنًا، ولا أدنى منه مكانةً، إلَّا أنَّه يبقى للعلم ثقلُهُ المميَّز ومكانتُهُ الرّفيعة، فافهم أنَّ عقلك لو شاهد حقائق الأمور لأزاحَ بتلك المشاهدة أثقالًا كبيرة، غيرَ أنَّك بتحصيلك العلمَ ستستفيدُ ما هو أثقلُ منها وأعظمُ مكانةً من كُلِّ ما قبلَها.

فإذا فهمت هذا فاعرف أنَّ مفتاحَكَ لكُلِّ هذه الأشياء هو خُلُقُكَ الطَّيِّبُ مع أهلك وحسنُ معاشرتك، وهذا هو مفتاحك القريب الخفيّ وهو سِرُّكَ المعلَنُ المكتوم، فاملك ذلك المفتاح وأتقن استعمال هذا السِّرَّ، فلا تقبل بغير التّوسّط فلسفةً ولا ترضَ بغير الاتّزان حكمة، وإيَّاكَ والإفراط معهم بعد علمك أو التّفريط معهم بعد جهلك بهذه الكلمات، فإنَّ ثقل العلم لا يولَدُ مع النّعيم، وعظمتَهُ لا تظهرُ مِنَ القصر.

الانضباط

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ النّاسَ تجهلُ في فترة عمرها كيف تكسب الأرباح في حياتها لبناء شخصيَّتها وصقل جوهرها، فهي تفعل الأشياء بسطحيَّتِها وتحاول أن تُكبر قيمتها بتكثير عددها وتكبير حجمها، هي تفعل كُلَّ ذلك وهي على قناعة بأنَّ الدِّقَّةَ في أعمالها ليست ذات شأن عظيم وأنَّ الانضباط المفرط في سلوكها ليس بالأمر الجسيم، فهي لا تعلم أنَّ أداءَها ما يجب عليها أداؤه وإن كان غيرَ مهمّ أفضلُ من إضاعتِها وقتَها في أشياء ذات أهمِّيّة بالغة، لكنَّها لا تقع ضمن منطقة واجباتها ولا تضمُّها دائرةُ المُرادِ منها، فإذا أهمل النّاسُ ذلك وتجاهلوه كانوا أكثرَ النّاسِ ابتعادًا عن الحركة الطّبيعيّة للوجود وأشَدَّهُمْ تضادًّا معه بخلاف حالِ أدائهم ما عليهم بالدِّقَّة أداؤه، فإنَّه سيجعل وجودهم في هذا العالم متَّسقًا ومترابطًا بأجزائها، يستشعرونها بمعرفة ويتلمَّسونها بعلم.

فإذا عرفت هذا أيُّها الإنسان فاعلم أنَّ أداءَكَ ما عليك أداؤه وإتقانك التّلبُّسَ بما يجب عليك ارتداؤه سيؤهِّلُكَ إلى مرحلة أخرى أدَقَّ منها ولا تقلُّ شأنًا عنها، وهي مرحلة المنع والتّقييد، فأنت بأدائك أفعالَكَ ودِقَّتِكَ في عدم التّخطّي إلى غير المطلوب منك في حياتك ستؤهِّلُ عقلَكَ للقدرةِ على مواجهة الموانع لوجوده وضرب الحواجز لمجرى أفكاره، وعندها سيبدأ بتعلُّم الانضباط والدِّقَّة في

السّلوك، وأولى خطوات انضباطه الصّادرة من عقله تظهر بترك كُلِّ شيء ممنوع منه بحسب ذاته ومحظور عليه بحسب طباعه العقلية ارتكابُهُ، فاسعَ أيُّها الإنسان إلى أن تُراعِيَ ولادة الانضباط في عقلك وإنارة دقَّة السّلوك في أعماقك، ولا تهملها أبدًا، فإهمالك إيَّاهُما سيجعلُكَ غير راضٍ عمَّا أنت فيه وغيرَ مقتنعٍ بما حصلت عليه، إذ إنَّ إهمالك الانضباط سيولِّدُ عكسًا له في صورتِكَ وتشوّهًا في أفكارك، فتدارك صورتَكَ بانضباطك، وحافظ على حسن أفكارك بدقَّةِ سلوكك.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك لن تحصل على تمام الأفعال في الحياة إلَّا بالانضباط، فالانضباط يكمِلُ العملَ ويُتمِّمُهُ وبخلافه سيبقى العمل ناقصًا لا محالةَ، فالانضباط هو سيِّدُ العمل وهو روحه، وكُلُّ عمل بلا انضباط لا يُسمَّى عملًا ولا يُنْعَتُ إلَّا بالنقص، فإذا مزجت عملك بالانضباط فقد ملّكت نفسك قدرةً على التّعامل مع الناس، إذ إنَّك عاجزٌ عن التّعامل معهم بشخصيَّتك وثقافتك وكمال هيئتك فقط، بل أنت بحاجة إلى ضَمِّ الانضباط إلى شخصيَّتك، فبدونه ستفشَلُ في احتواء النّاس وستعجزُ عن مداراتهم، وعندها ستكسبُ بفعلك هذا القدرةَ على التّمييز بين العالم منهم والجاهل، فإنَّ المداراة المستمرَّةَ ستُكْسِبُكَ خبرةً طويلةً بعقول النّاس وستعرفُ عندئذٍ جاهِلَهُمْ وسترى بوضوح عالِمهم، فإذا عرفتهم استطعت عندئذٍ أن تعرف كيف تكسب عالِمَهُمْ إلى جانبِكَ، وستعرف كيف تتجنَّبُ جاهلَهُمْ وتُبْعِدُهُ عنك، فالانضباطُ يأخذك إلى كُلِّ هذه العوالم، وهو جوازك للسّفر إلى أعلى الدّرجات في عقول الآخرين.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك فاعلم أنَّ انضباطَكَ مع أفعالك الصّغيرة والقليلة أفضلُ ألفَ مَرَّةٍ من أفعالك المبهرجة الضّخمة من دون انضباط، فتذكَّر ما سمعته من أنَّ الانضباطَ هو سيِّد العمل وهو رأسُهُ الذي لولاه لما بقي من العمل إلَّا اسمُهُ ولا من الأداء إلَّا رسمُهُ.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ عدم دقَّتِكَ في سلوكك وتهاونَكَ في انضباطك إذا كانا عادةً عندك وإذا صارا جزءًا من طباعك، فإنَّ كُلَّ عملك الذي تعمله في حياتك سيكون ضعيف المحتوى فارغًا من المعنى مهما كان ما تفعله عظيمًا ومهما كان ما تؤدِّيه كبيرًا، إذ إنَّ عملك سيسقط في عيون النّاس، بل سيسقط من عين الوجود ككُلّ، فافهم ذلك أيُّها الإنسان جيّدًا.

والزَمْ أيُّها الإنسان الانضباطَ ما استطعت، فإذا لزمتَهُ بكُلِّ قدرتك وانصاعَ لك بحكمتك ستمتلك عندها علمًا فريدًا يؤهِّلُكَ للاستمساكِ بعُرى الوجود المتحكّمة فيه والمسيطرة عليه، وهذه المرتبة لن يفوقَكَ فيها أحد ما دمتَ محافظًا على الانضباط، ولن يعلوَ عليك إنسانٌ ما دمتَ سائرًا على نهجها، فإذا ساء حظُّكَ وتهاونت معها فهيّئ نفسَكَ بعدها، فقد بدأت حينئذٍ خسارتُكَ لكُلِّ شيء.

الإلهام

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الإلهام هو حالة متحقِّقة لكلّ موجود يمتلك نصيبًا من الحياة وحدودًا من القدرة، مهما كانت قيمة حياته ومهما كانت حدود قدرته، فمع حصولهما فيه وظهورهما لديه سيُلْهِمُ ذلك الموجود -لا محالة- وسيُعلّم بلا أدنى تردُّد أو شَكّ، فحياته وقدرته هما قوَّةُ إلهامه وهما حقيقةُ إعلامه، وإن كان الأمر في دقَّتِهِ يعود إلى الحياة أصلًا، وأمَّا القدرة فهي نابتةٌ منها ومتفرِّعةٌ عنها ومع انعدامها فلا قُدْرَةَ تتحصَّل ولا إلهام يتحقَّق.

فإذا عرفت ذلك أيُّها الإنسان فكن حيًّا دائمًا تكن ملهَمًا دائمًا، وكن مستيقظًا دومًا تكن واعيًا دائمًا، وإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تفقد حياتك، فإنَّك بفقدانها لا تكون إلَّا كسائر البشر لا يُحرِّكُهُمْ إلَّا الفوضى ولا تُسْكِنُهُمْ إلَّا السّياط، تتجاذبهم الأحداث ويُنَفِّرُهُمْ وهمُ التّقاطعات، فيخوِّفُهُمْ كُلُّ مسموع ويُرْهِقُهُمْ كُلُّ ممنوع، تسودُ فيهم صفات عموم البشر وتسيطر عليهم نوازع ما يشتركون فيه مع المخلوقات اللّاإنسانيّة.

فإذا عرفت هذا فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الإلهام لا يحصلُ إلَّا بعد ترك رذيلتين والإتيان بفضيلتين بدلًا منهما، تركِكَ تكبُّرَكَ على من تتوهَّمُ أنَّه دونك أو يُخيَّلُ لك أنَّه أقَلُّ ممَّا تطاله ظنونُكَ، فإنَّ تركَكَ

التّكبُّر هو مفتاحك الأوّل نحو الإلهام وهو قنطرتك الكبرى نحو التّزوّد والاستعلام، فلا إلهامَ مع التّكبُّر مطلقًا ولا تزوُّدَ به مع التّعالي أبدًا. واعلَمْ بأنَّ تكبُّرَكَ ليس بالابتعاد عن النّاس أو قلّة مخالطتك لهم أو قِلّةِ حديثِكَ معهم، وإنّما التكبُّرُ هو النّظرُ إلى النّفس على أنّها صارت شيئًا فوق مقدارٍ من الأشياء وتعالت بما مُلِئت به من زهوٍ أو كبرياء، فهو حالة تظهر في الأعماق لا تراها إلّا العقول المميِّزة ولا يشعر بوجودها إلّا النّفوس المتعالية، فاحذر من تلك العقول، فإنّها هي من سيكشفُ تكبُّرَكَ والنّاسُ هم من سيفضحون كذب إلهامك فلا تتناسَ نفسك معهم ولا يأخذْكَ غرورُكَ بتجاهلهم، وإذا عرفت هذه الرّذيلة فاعلم بأنّك لا خلاص لك منها إلّا بالتّواضع ولا مهربَ لك منها إلّا بالانكسار، فإذا انكسرت رؤيتك لنفسك وصغر عندك حجمُ عطائك وتضاءل في نظرك عظيمُ كبريائِكَ فقد صرت متواضعًا، وصارَ العلم منك قريبًا، وأضحى الإلهام عندك متحقّقًا.

وأمّا الرّذيلة الثّانية المانعة منه فهي التّفاخر، فالتّفاخر مع تحقّقه سيقتل كُلَّ إلهام محتمَلٍ وقوعُهُ وسيقضي على كُلِّ عطاء ممكنٍ نيلُهُ، فإيّاكَ أيُّها الإنسان أن تتفاخرَ بما عندك وأن تُعلمَ النّاسَ بما لديك، فإنّك لو فعلت ذلك ولو مقدارَ ذرّةٍ لقطعتَ على نفسك طريقًا للعلم وأوصدت في وجهك بوّابةً للإلهام، فإذا علمت هذا فاعلم أنَّ الإلهام سيتحقّقُ بعد ابتعادك عن هاتين الرّذيلتين وامتلاكِكَ مضادَّ هاتين الخصلتين.

فإذا علمت هذا فاعلم أنَّ كمالَ تحقُّق الإلهام لا يحصل إلّا بالسّيطرة على نطقِكَ سيطرةً عقليّةً كاملة ودرايةٍ معرفيّةٍ كبيرة، فلا

تتكلَّم إلَّا بما يتلاءم مع مستويات النّاس ويتَّفق مع طباعهم ويراعي مكانتهم، وإيَّاكَ أن تتكلَّم معهم إبرازًا منك لنفسك أو تعظيمًا لقدرك؛ لأنَّك لو فعلت فلن تُلهَمَ أبدًا ولا تُعطى علمًا خفيًّا مطلقًا، فتكلّم مع النّاس بأريحيّة والْهُ معهم ضمن حدود الإلهاء المعقولة، والعب معهم ضمن حدود اللّعب كسرًا منك لهيبتك وترقيةً منك لتواضعك، فإذا فعلت عندها سترى إلهامًا ليس له نظير وعلمًا ليس له حدّ، فاعلم ذلك واعرفه جيّدًا، إذ إنَّ تواضُعَكَ بترك تكبُّرك وترك زهوك بما عندَك سيفتح بوّابةَ الإلهام، ولكنَّ تحسينَهُ وتعديلَهُ وإكمالَهُ لا يكون إلَّا بالنّطق الذي يجري من أعماقك إلى لسانك، لا نطقًا متكلَّفًا ولا لسانًا متحصِّنًا، بل نطقًا ذاتيًّا جاريًا على اللّسان بلا أدنى تصنُّع أو أقلِّ تظاهر، فهذا هو سِرُّ كمال الإلهام، وهو مفتاح قُوَّةِ الاستعلام.

الوحدة

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ وحدتَكَ -وإن اعتبرَ النّاسُ أنَّها من الأفعال المشينة أو ظنُّوا أنَّها من الصّفات الغريبة- هي خير لك من مجالسّتهم إذا كانوا سيّئين، وخير لك من صحبتهم إذا كانوا مذمومين، فلا تحزن من اجتماعهم عليك ولا تتألَّم من تجافيهم عنك، ولا تفكِّر في نقدِهِم إيّاك لوحدتك، فإنَّهم يفعلون هذه الأشياء جهلًا منهم بغنائم تفرُّدِكَ، واحتقارًا منهم لترفُّعِكَ، فلا تحزن على أمثالهم فأنت في خيرٍ ما دمت مبتعدًا عن هذه الجماعة، وأنت في عافية ما دمت منعزلًا عن تلك القرابة، أوَلَمْ تشعرْ كيف ينقلبُ حالُكَ اعتصارًا وضيقًا حين تُحدِّثُهُمْ مجاملةً وحين تُجالِسُهُمْ مخالطةً؟!، فأنت لست منهم وهم ليسوا منك، فافهم ذلك جيّدًا وطبِّقْهُ بدقّةً، فليس لهم منك سوى طيب المعاشرة وحسن الأدب وجمال التّرحيب والتّحدّث بحديثهم إذا حضروا وذكرِهِمْ بخيرٍ إذا غابوا ونقد أفعالهم (تعليمًا منك لغيرك) إذا أخطأوا، ولا تذكرها إذا دعتك نفسك لذكرها تلذُّذًا أو نشرِها شماتةً، فهذا سيجعلك فردًا منهم وإن لم تكن منتميًا لجماعتهم ولا منخرطًا في زمرتهم، واترك التّفكير فيهم ما أمكنك ذلك، فإنَّ تفكيرك فيهم مُضِرٌّ بوحدتك ومشتِّتٌ لخلوتك، ودوام استذكارِكَ لهم مزعزعٌ لعزلتك، فأبعِدْهُمْ عن عقلك بقوّة تأمُّلِكَ واطردهم من حضرتك بقوة تحكُّمك.

وبعد أن علمت هذا أيُّها الإنسان فاعلم أنَّ مجالستَكَ الحكيمَ العالِمَ النّاضِحَ بالخير منطقُهُ، الذي تذكِّرُكَ بأخطائِكَ نصائحُهُ، والمحييَ فيك قُوَّةَ الإرادة والمحفِّزَ عندكَ انطلاقَ العمل، هي أفضل من وحدتك وأعظم من عزلتك، فإيَّاكَ أن تفضِّلَ وحدتَكَ على مرافقته وإيَّاك أن تختارَ ابتعادك على مجالسته، فإنَّ رفقته لها غنائم أعظم من غنائم الاعتزال وقربَكَ منه ينقّي عقلَكَ أكثرَ من عشوائيّة التّرحّل وسوء الانتقال، فألزم نفسَكَ بمجالَسَةِ الحكماء الأخيار ما أمكنك ذلك، ولا تفضِّل لذَّةَ الوحدة بعد اعتيادك عليها على مخالطتهم، فلمخالطتهم لذَّةٌ أعظمُ من لذَّةِ ابتعادك عن السّيّئين، ولمحادثتهم متعةٌ أجملُ من متعة محادثة المهضومين المحزونين، كُلُّ ما عليك فعله هو أن تستثيرَ الحكمةَ في جلوسِكَ معهم بحقيقتك لا بتلفُّظِكَ وأن تستنطقَ مكنوناتِ عقولِهِمْ بصدق قصدِكَ لا بغبش طريقتِكَ وسوءِ توجُّهِكَ.

وإيَّاكَ أيُّها الإنسان بعد معرفتك كُلَّ هذا أن توهِمَ نفسِكَ أنَّ اختلاطَكَ بالسّيئين خيرٌ من ابتعادك عنهم وأنَّ قربك منهم خيرٌ من وحدتِكَ، فأنت عندها ستكون جاهلًا بحقائق الأشياء ومهملًا بعضَ خفايا الحكمة في هذا الوجود؛ لأنَّكَ بفعلك هذا تجهل أنَّ صَمَّ أُذُنَيْكَ بالوحدة مُفضَّل على استماعك أسوَأ الأفكار الجادّة وأقبح الألفاظ المعاندة المملوءة بالكراهيّة والحقد والحسد، لكن لا بأس بمشاركتهم في الحديث لهوًا وملاطفتهم رحمةً إذا كان سوؤهم في بشريتهم وأخطاؤهم في طباعهم المعتادة، لكن ابتعد عنهم إذا كان جوهرهم ممسوسًا حسدًا وكراهيّة وبغضًا وكان عقلهم مملوءًا تخطيطًا وتعمُّدًا، وكذلك الأمر مع الحكماء الأخيار فإنَّك لا تجعل

محادثتك معهم اعتيادًا منك على اللّهو والمزاح، فهذه خسارة كبيرة لهم وخسارة أكبر لك، ولا تسكت أمامهم سكوتًا مملًّا مضيّعًا للوقت، فإنَّ تحريكك مياهَ بئرهم بإسقاط دلوك فيه خيرٌ لك من وقوفك صامتًا ساكتًا أمام ذلك البئر.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسانُ ما لوحدتك من معنًى وما لعزلتك من خفايا فاعلم أنَّكَ مطلوب منك أن تتخلَّى عن وحدتك في أخذك العلم أو أن تدرسَ الكتب المتنوّعةَ بمفردك مطلقًا في بداية تعلُّمِكَ وأن تحصل على المعرفة في أولى خطوات انطلاقتك، فهذا أكبر من حجمك المملوء بالأخطاء وأعظم من قدرتك العاجزة أمام شِدَّةِ الطّرق وحِدَّةِ الانحناء، فانطلق في بدايتك مع عالِمٍ وتوسّط طريقَكَ مع الوحدة واختتمها مع حكيم، فإنَّ الحكيم -وإنْ صرت أعلى منه في كُلِّ شيء- هو يبقى نافعًا لك رافعًا لجهلك ومزوّدًا لمعرفتك، فيعطيك ما يعجز غيره عن إعطائك إيَّاهُ ويفوق بمنحه لك ما يتصاغر من هو دونه عن منحك إيَّاهُ، وإيَّاكَ وسلوكَ طريقَ المعرفة وحدك، فإنَّه طريق اللّيل وصحراء الغربة وفلاة الوحشة، فابتعد عن سلوكك إيَّاهُ وحدك، فلن يوصلك إلى شيء وستنتهي مع أوهامك حائرًا وفي خيالاتك ضائعًا، فإنَّ المعرفةَ ليست كلماتٍ بقدر ما هي حقيقة، ولن تنالَ الحقيقةَ لا تنالها إلَّا من الحقيقة التي تتجسَّد بإنسان أو بظرف أو بحدث فجائيّ، وكُلُّ هذا يحتاج إلى حكيم يسير معك ويخطو مع خطواتك، وإيّاكَ أن تختار الوحدةَ في سكنك دائمًا، فهذا خطر عظيم عليك، فإنَّ جمالَ الوحدة مع غيرك أظهرُ وطعمَها بوجود سواك أطيبُ، فليست الوحدةُ بالانعزال في المكان ولا بالابتعاد بالجسد، فاعرف ذلك جيّدًا.

جمال الوجه

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ وجهَكَ هو علامةٌ على ما في داخلك من أفكار، وهو دالٌّ على ما تضمَّنته أعماقك من صفات، فالأفكار لا بُدَّ من أن تظهر على وجوه النّاس، والصّفات لا بُدَّ من أن تنعكس على ملامحهم، ولكنَّ مشكلةَ النّاس أنَّهم لا يعرفون قراءةَ تلك الوجوه ولا يتمكَّنونَ من تلمُّس تلك الصّفات، فهي مسألة دقيقة لا يتأتَّى لِكُلِّ أحدٍ العلمُ بها ولا يعرفُها أيٌّ كان، وأمَّا الذي يعرفها أو يعرف بعض أسرارها فهو لا يُستبعَدُ أن يتخلَّص من الوقوع في الخطأ فيها أو أن يتجرَّدَ من الانزلاق وراءَ النفس في تحديدها.

فإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تدَّعِيَ معرفتَكَ بصفات النّاس وأفكارهم من وجوهم وإيَّاكَ أن تتصرَّف معهم على أساس تعبيرات ملامحهم، واعلم أنَّ الحكمة لا تسمحُ بذلك فيما لو كنت عارفًا ببعض القوانين أو مدركًا لبعض الخفايا إلَّا في موارد محدودة، فإنَّ استعمالَكَ علامةَ الوجه حينها سيكون أنفعَ الخيارات، واستدلالَكَ عندها سيكون عندئذٍ أهونَ الاستدلالات، لكن قبل إخبارِكَ بموارد الاستعمال عليك أن تعلمَ أنَّ جمال الوجه يختلف عن فتنته وأنَّ حسنَهُ يختلفُ عن إثارته، فإنَّ جمال الوجه كُلَّهُ يكمن في الطمأنينة والسّكينة والرّوح والرّاحة والسّرور والوقار الملازم له بعد النّظر والمرافقة له بعد تجربة الدّهر، لكن اعلم أنَّ هذه الحالات ليست دائمةً وأنَّ هذه

الصّفات ليست مستمرَّةً، فهي قد تختفي عند نفس الوجه تارةً، وتظهرُ تارةً أخرى، وقد يستشعرها الإنسان في لحظات ويفقد شعوره بها في لحظات أخرى، فالأمور ليست على وتيرة واحدة ولا قائمةً على سياق مستمرّ، لكن إذا اتَّفقت هذه الصّفات عند الطّرفين في لحظة محدّدة واجتمعت عند عقليهما في آنٍ مشترك، فعندها سيُهيَّأ الوجهُ لأنْ يكون إشارةً إلى قرار معيَّن وعلامةً على اتّجاه مُحدَّد، فإذا انضمَّ المورِدُ الخاصُّ إلى هذه الصّفات والتحقَ الشّرط بهذه الاتجاهات، فعندها يمكن أن يكون الوجهُ أُولى علاماتِ إقبالِكَ وصورةَ الجمالِ الذي لمست حقيقَتَهُ بأعماقك.

فإذا كانت عندك حاجةٌ لشخص ما وأنت منضبط الأفكار وعندك رغبةٌ باستعطائه شيئًا منه (كبيرًا كان ذلك الشيء أم صغيرًا) فانتبه فهذه إشارة لك من جهتك ووومضة انقدحت في ذهنك، فإذا كانت أفكارُهُ قويّةً ظاهرةً على وجهه بمعرفتك من جهته، فعندها لا تتردَّد في اختيارك أجمل الوجوه سببًا لقضائها ولا تُقْبِلْ على غير أهدَئِها وأريحِها حالًا في استعطائها، فتلك الوجوه هي ما سيعينك وتلك الملامحُ ما ستفهَمُ حالك، فإنَّ الحاجةَ تعرفُ أصحابها وإنَّ الأفكار تصلُ إلى غايات ظهورها.

فإذا علمتَ هذا أيُّها الإنسان فاستفد من جمال ظهور الأفكار على الوجوه وكشفها لأعماق الإنسان، فإنَّها دلالة كبيرة لخطواتك القادمة، فإذا أعجزتك كرامتُكَ عن أن تطلب حاجةً من أحد وإذا أثقلتك مكانتك عن أن تذهب إلى من يقضيها لك فأرسل أجملَ مقرَّبيك وجهًا بجمال أفكاره وأطيبهم خلقًا بحسن طباعه، ولا

تُرسل أكبرَهُمْ أو أوجهَهُمْ أو أعلاهم منصبًا، فإنَّك لن تستفيدَ من حاجتك شيئًا لو قَضَوْها لك، ولن تنفعَ من توسِّطُهُمْ أبدًا لو توسَّلوا لك، فهؤلاء يقضون الحوائج بألسنتهم ومراكزهم لا بعقولهم وجمال أعماقهم، وكُلُّ ما يُقضى بالمنصب واللّسان لا ينتهي إلَّا إلى النّقص والنّسيان.

فافهم أيُّها الإنسانُ ما للوجه من دلالات واعرف ما لجماله من قدرة، فإذا عرفت هذا فاحذر أن تتجاهل جمالَ الوجه أو أن تستهينَ به، كما أنَّك يجب أن تحذرَ من تأثُّرِكَ بجماله وانجرافك نحو بريقه، فاقترب من جمال الوجه المقرون بالتّواضع والمحفوف بالطّمأنينة العقليّة، وعاشر الإنسانَ الزّاهدَ في جمالَ وجهه في نفسه والباحثَ عن جماله في أعماقه، كما أنَّك يجب أن تبتعدَ عن جميل الوجه ما أمكنك ذلك ما دام يتوسَّط للفسادِ وجهُهُ، وما دام يُعَظِّمُ شخصيَّته بحسن منظره، فهذا الوجه لا خيرَ فيه ولا جمالَ حقيقيَّ يختفي خلف ملامحه، فإنَّ النّظر كُلَّ النّظر إلى الأعماق، فإذا تجمَّلت تجمَّلَ الوجهُ تبعًا لها شريطةَ أن ترى بعقلك جمالَهُ وأن تتجاوَزَ بصدقِ مشاعرِكَ فتنةَ ملامحه، وإذا قَبُحَتْ قَبُحَ الوجهُ شريطةَ أن ترى بعقلك قبحَهُ، فجمّل عقلك ترَ الجمالَ وتقترب كثيرًا من معرفة الكمال، وإذا قبَّحتَهُ فعندها لا ترى شيئًا مطلقًا، بل سترى الأمور مقلوبةً رأسًا على عقب وملتويةً طرفًا على كعب.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك لو مُنحت جمالَ الصّورة، فإنَّك مُنحت أمرًا مهمًّا فاستفد منه ما أمكنك ذلك، ولا استفادةَ لك منه كتحويلِهِ إلى جمالٍ في أعماقك وتحقير وجودك مع عظمة منظرِهِ وإشعاعة

إشراقتِهِ، فعندها سَيُشْرِقُ عقلُكَ وستُضيءُ أعماقك، وإيَّاك أن تُفسدَ جمالَ وجهك بقبح عقلك وفساد داخلك، فعندها ستغيَّرُ وجهُك وأنت لا تشعر، فيقبحُ منظرُكَ ويُظلمُ وجهُكَ وتُمسَخُ ملامِحُكُ، كُلُّ هذا سيحصل رغمًا عنك وأنت لا تعلم، فاحذر من أفعالك، فإنَّها ستُغَيِّرُ خارطةَ ملامحك وتجنَّب أفكارك، فإنَّها ستعيد تشكيلَ واجهتك، وهذا الأمر غايةٌ في الدّقَّة فهو يتأثَّر بأدنى الأفعال ويتحسَّسُ بأدقِّ الأفكار، فأفكارَكَ أفكارَكَ لا تتهاون بها أبدًا، ولا تشغل نفسك بالتّجميل والتّحسين والتّعديل، فهذا سيزيدُ الأمرَ تعقيدًا ويُعَمِّقُهُ قبحًا، وانشغل بعقلك، عندها سيتجمَّلُ منظرُكَ من دون تدخُّلٍ منك في ذلك أبدًا.

الواعظ

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ الواعظ إنسان تجاوز بتفكيره حدود قومه فوعظهم، والتقط بقوَّةِ عقلِهِ خفايا أخطائِهِم فنبَّههُمْ، عَبَّدَ لَهُمْ الطّريقَ نحو الهدف، وسَهَّلَ لهم بلوغَ الغايات بعرض السّبل، فعلَّمَهُمْ نهجَ استعمالِها وزوَّدَهُم بأدوات امتطائها.

فإذا علمت هذا فاعلم أنَّ كُلَّ زمان يضُمَّ وُعّاظًا حقيقيّين صادقين ويضُمُّ إلى جنبهم وُعّاظًا مزيّفين كاذبين، فاعرفهم جيّدًا ومَيِّزهُمْ بدقَّةٍ، فإنَّك إن جهلتهم صرت عن صادقهم متجافيًا وإلى كاذبهم مضمومًا مرابطًا، فتدارك نفسك قبل الاستماع إلى كُلِّ أحد وصُنْ سمعَكَ قبلَ الإصغاء إلى أيٍّ كان.

وبما أنَّكَ تسيرُ نحو الحكمة وتتعلَّمُ شيئًا من تفاصيلها، فإليك علاماتِ كُلِّ فريق وآثارَ كُلِّ طرف، فاعلم أنَّ الحقيقيَّ منهم والصّادق فيهم هو إنسان يفعَلُ كُلَّ ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل إلّا نادرًا أو اضطرارًا، لا يُهِمُّهُ من يستمعُ إليه ولا يتأثَّرُ بقلَّةِ من يتبعُهُ، لا يسترزقُ المالَ بما يقولُهُ ولا يتقرَّبُ إلى أحدٍ بما يتلفَّظه، تجدُهُ قليلَ الظّهور إلّا أحيانًا وبحسب حاجتهم إليه، ويبتعد عنهم ما قَلَّتْ حاجتُهُمْ إليه أو ظهر من يَسُدُّ نقصُهُمْ نيابةً عنه، يُسمِعُكَ كلماتٍ تُضيءُ فكرًا في عقلك، فميزة كلماته هي الإضاءة، ويُغيِّرُ أفكارك بهدوء فميزة

أفكاره الدِّقَّة وقُوَّتُها العمقُ الذي لا تجدُهُ في غيره، لا يتكلَّمُ بحوادثه الخاصّة الواقعة معه إلَّا نادرًا، إذ إنَّ كلامَهُ في تجاربه الخاصَّةِ يعتبرهُ من علامات فقره وتحدُّثَهُ في تفاصيل حياته يعتبره إحدى إشارات عجزه، له نبرة صوت ليست كأصوات عامَّة البشر، وله عذوبة كلام لا تقفُ أمامَ العقل ولا على أبوابه تنتظر، أقلُّ اهتماماتِهِ المبالغَةُ في التّجمّل وتحسين المنظر، فهو يبتعد عن ذلك دائمًا؛ لأنَّ فيه تقييدًا لسمُوِّ عقلِهِ وتشويهًا لجمال داخله، فطباعُهُ من أبعد الطّباع عن المظاهر والتكلّفات الخارجيّة، لا يؤنِسُهُ شيءٌ كوحدته مع أفكاره ولا يُضايِقُهُ شيءٌ كطلب النّاس منه الاستماعَ إلى كلامه، خَبَرَ الإنسانَ فعجنَ بيديه عوالِمَهُ، وأتقن السّير بدهاليز العقل فأمسَكَ أطرافَها بحكمته، لا يستجلبُ النّاس إليه بما يناغم مشاعِرَهُم أو يُحَرِّكُ عواطفهم طلبًا منه للسّيطرة على ذواتهم أو يقصُدُ التحكُّمَ بعقولهم، وهو قليل التّلذّذ بطعامه إلَّا نسيانًا بحسب طبيعته البشريّة، فليس في الطعام لَذَّتُهُ ولم يَصِرْ منبرُهُ يومًا صناعةً لغايته، فهذه بعض صفات المتكلّمين الصّادقين، وهذه بعض خصال الواعظين الحقيقيّين.

وأمَّا الكاذبونَ منهم فهم على عكس ما سمعتَهُ من صفات وبضدِّ ما تعلَّمتَهُ من أدوات، ولكنَّ أهمَّ تلك الصّفاتِ وأبرزَها هي قولُهُ ما لا يفعل وعدمُ فعله ما يقول، فهو يتزوَّدُ بالعلم من الكتب أو من التّقنيّات الحديثة المرئيّة أو المسموعة، فيتأثَّرُ بما يقرأه أو يسمعُهُ في لحظةٍ ما، ولا يصبرُ على عدم عرضه أمام النّاس استمتاعًا منه بتأثُّرِهِ وتلذُّذًا منه بتأثُّرِهِمْ بما تأثَّرَ به، تجدُهُ حافظًا للمصطلحات المتأنِّقة والغريبة اللافتة للنّظر مُكثِرًا من ذكر الآراء ما بقي منها وما اندثرَ، مُكثِرًا من ذكر أنواع العلوم وأسماء الكتب وموحيًا للسامع بأنَّه قد

قرأ هذا الزّخمَ من الكتب، ومُطَّلِعًا على هذه الآراء إظهارًا منه لسعة ثقافته وإبرازًا منه لقوّة إحاطته، لا تستفيد من كلماته شيئًا على كثرتِها وطنينِها، ولن تظهرَ من كلامه بنتيجة على سعة وقته في عرضها.

أمَّا التجمُّلُ والتّعطّر المبالَغُ فيه وابيضاضُ الوجه من التّرف ونعومتُهُ من نوعيّة الغذاءِ وجودتِهِ فهي أجلى مظاهرِهِ وأبرزُ صفاته، وأمَّا الطّعام والولائم فهي كبرى غاياته وأحلى أمنيَّاته، والصّفات الباقية الأكثر سنكتشفها تباعًا وستظهر أمامَكَ تدريجيًّا، وهذا الصّنف من الوعّاظ هُمُ الأكثرُ انتشارًا والأكثرُ تقديرًا عند النّاس، فَهُمُ المرحَّبُ بهم في المجالس فَتُفْرَشُ تحتَهُمُ السّجادة الحمراءُ أينما حلّوا وارتحلوا، وهم حقيقةً لا يساوون في قيمتهم أكثرَ من الوقت الضّائع تحت منابرهم ومجالِسِهِمْ المكتظَّة عددًا الفارغة قيمةً.

فإذا علمت صفاتِ هذين الصّنفين وفَرَّقت بين هاتين الجهتين، فاعلم أن لا خاسِرَ في النّاس كالواعظ الكاذب، يُعلِّمُ النّاسَ وهو جاهل، وينقل لهم المعارف؛ ليفعلوها وهو عن أدائها متكاسل متثاقل، فهذا الصِّنفُ مَيِّتٌ في حياته وسينتهي كُلُّ فعله بعد مماته، وأمَّا الواعظ الصّادق فهو من أعظم النّاس مكانةً وأعلاهم قيمةً وأكملِهِمْ عقلًا، فإذا عرفت ذلك أيُّها الإنسان فإيَّاك أن تكونَ واعظًا كاذبًا، وإن فَشِلْتَ في أن تكون واعظًا صادقًا، فبقاؤك ساكتًا صامتًا خَيرٌ لكَ من وعظِك غيرَكَ كاذبًا ونصحِكَ النّاسَ وأنتَ أقلُّهُمْ حقيقةً وأنزلُهُمْ مكانةً.

فإذا علمت ذلك فتعلَّم من الآن أن تكون واعظًا صادقًا واستوطن

عقلَكَ أن يعيشَ الحقيقة، يعيشَها بدمه ومشاعره وعلاقاته ومعيشته وكُلِّ شيءٍ يخصُّهُ وحولَهُ، فإذا فعل ذلك صار صادقًا وعندها يكونُ صادقًا حقيقيًّا، فإذا صار كذلك فتمسَّكْ به، فقد تحقَّقَ لكَ أصدقُ الواعظين.

الحابس

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ حبسَكَ تفكيرَكَ عن اتّخاذ القرار في الأشياء هو بداية علمك، وأنَّ وقوفك على بعض الموارد هو دليلُ دِقَّةِ حركتك، فاحبس عقلَكَ ما استطعت وأَمْسِكْ نتائجَكَ ما تمكَّنت، فإذا علمت هذا فاعلم أنَّك لن ترقى إلى هذا السّلوك ولن تسيطرَ على قدرتك على الحبس حتَّى تمرَّ بثلاث مراحل، هي: مرحلة الخطأ، وهي مرحلة ضروريَّةُ التّحقّق لكلّ إنسان وثابتةُ المرور لكلّ كيان، فالخطأ في فلسفته هو ما يُعرِّفُكَ قوَّةَ الوجود الجبَّارة التي لولاها لما صُنِعَ الإنسان ولما تحرَّكَ العالم، فتقبَّلْ خطأَكَ ما أمكنك ذلك ولا تنزعج منه أبدًا، فالخطأُ هو هديّةُ الوجود القاسية إليك وهو صفقة الزّمن التي لم تَخْتَرْها يداكَ، فهو هديّةٌ قبيحةُ الوجه جميلةُ الأعماق، مؤلمة الوقوع مسكِّنَةُ الاضطراب، قاطعةُ السّكون منبِّهَةُ الحركة، محرِّكةُ القدرة، موقظة الموت، وباعثة للحرارة في مداخل الذّات، ومغيِّرةٌ ما فيك من صفات، ففاتحة بذلك بوّابات الانطلاق وفاتقةٌ لصلابة الأثر ومزيلةٌ لغبش العمى، كُلُّ هذا هو فوقَ ما تحتاجُهُ من رفد أو تنالُهُ من استحقاق.

فإذا حصل الخطأ فعندها سيقع ما لم تتوقَّعْهُ أيُّها الإنسان وسيحصل ما تتمنَّى منذ زمن بعيد حصولَهُ، وأهمُّ ما سيقع معك في المرحلة الثّانية هو ولادة قوّة النّدم وامتصاص عقلك لآثار الخطأ

وفوضى الألم، فإذا تحقَّقَتْ عندكَ قُوَّةُ النّدم على خطئك فقد أزَحْتَ عَنْ نفسك ثقلًا كبيرًا وأبعدْتَ عن عقلك هَمًّا عظيمًا، فإنَّ النّدم على الخطأ هو الذي سينظِّفُ داخِلَكَ من نفايات الأشياء، ويضَعُ قدمك في أولى خطواتك نحو الشّفاء، لكن اعلم أنَّ النّدم لا يُرافِقُ الخطأَ دائمًا وهو لن ينصاعَ للخاطئ طائعًا، فالنّدمُ لا يقع إلَّا بعد آثار الخطأ القاسية، أمَّا مع عدم تلمُّسِها وعدم الشّعور بها فإنَّ النّدمَ لن يتحقَّقَ وإنَّ اعتصارَ القلبِ لن يقع، فإن لم يحصل استشعار بآثار الخطأ والحرقة والمرارة بوقوعه فلا ندم ولا تأسُّفَ ولا اعتذارَ ولا خضوعَ أو انكسارَ، فالشعور بالألم النفسيّ من الخطأ هو النّدم، وأمَّا الاعتصار من قسوته فهو الشّفاء من ذلك السّقم.

فكن أيُّها الإنسانُ صاحبَ شعور وكن حسّاسًا من أخطائك دائمًا إذا ما صدر منك أدنى قصور، فإذا تحقَّقَ عندك ذلك الشّعورُ وانكشف لك من أخطائك بعضُ حقائق الأمور، عندها سَتُؤَهَّلُ للمرحلة الثّالثة السّابقة للاحتباس وهي مرحلة الرّاحة والسّعادة، فإنَّ النّدمَ والشّعورَ بالخطأ والتّقصير الحاصلَينِ بعد الخطأ سيرافقُهما سعادةٌ قصوى وراحةٌ عظمى، سعادةٌ وراحةٌ لا تحصلان إلَّا بعد مرحلتي الخطأ والشّعور بالنّدم، فإذا ما تحقَّقت الراحة وسَرَتْ في العقولِ السّعادة، عندها ستكونُ قد حصلْتَ على مفتاح الموقف السّديد وأمسكت بعقلك على حالة الحبس الرّشيد، فتكونُ بعدها ذا قوى حبس كبيرة وذا سيطرةٍ على مداخل الأشياء الخفيَّة الصّغيرة منها والكبيرة وتحكُّمٍ واسعٍ بطلب نفسك وإرادتها، وقبضة شديدة على تقلُّب الأحوالِ واضطرابها، فافهم ذلك أيُّها الإنسان ولا تكن متحيِّرًا في عجزك أمامَ ما تُمليه عليك أفكارك ومنهزمًا أمام ما تُسوِّلُهُ لك نفسك، فإنَّ

سببَ إخفاقاتِكَ المتكرِّرَةَ هو عدمُ نُشوءِ قُوَّةِ حبسِكَ وفشلُكَ الدّائم منشأُهُ عجزُكَ عن إتقان موقِفِكَ، فلا تُضيِّع وقتك بالبحث هنا وهناك ولا تدفع بنفسك نحو التّزوّد بالنّصائح العشوائيّة ابتعادًا عن الموت وهروبًا من الهلاك، وقُمْ بدلًا من هذا كُلِّهِ بالبحث عن الشعّور في ذاتك، فأَحْيِ عندَكَ قوى الشّعور تكن حابسًا واستشعر خطئِكَ تكن ثابتَ الموقف، ولن يتحقَّق كمال هذا إلَّا بمرافقة الحكماء ودوام الاستماع لهم والإنصات بتمعّن لحكمتهم، فهم من أكثر النّاس شعورًا وأشدِّهمْ رؤيةً، فإذا فعلت صِرْتَ في حِسِّكَ مُرهَفًا ولعقلِكَ حابسًا وبهِ مُمْسِكًا، وعندها ستكون إنسانًا متفرِّدًا، فالحابسُ هو من أشدِّ النّاس تحمُّلًا وأقواهُمْ صبرًا وأعمقُهُمْ تفكيرًا وأتقَنُهُمْ قرارًا وأصلبُهم إرادةً وأكملهم في عقله تحكُّمًا.

فإذا علمت أيُّها الإنسان كُلَّ هذا فاحذر، فإيَّاك أن يكون حبسك ردَّةَ فعلٍ منك على مرارة واقعك واعتراضًا جبانًا منك على خصومك؛ لأنَّ حبسَكَ حينئذٍ سيكون مُضِرًّا ولوجودك قاتلًا، بل اجعل حبسَكَ محفوفًا بسُمُوِّ عقلك عن كُلِّ شيء وتجاوُزِ وجودِكَ نقاطَ عدمك، فإذا كان عقلك ضعيفًا عن ذلك فدرِّبْهُ على حبسِ صغائر الأمور وتوافِهِها ومَرِّنْهُ على تجاوز سفاسفها، عندها سيؤهَّلُ لكبارِها وعظائمها، وإذا فَشِلْتَ فعليك بالحكماء منهم حيث سيبثّون فيكَ روحَ الحبسِ وقوَّتها.

النّظر

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ تستطيعُ بنظرك أن تتعلَّمَ ما لا يمكنُكَ تعلُّمُهُ في الأماكن المخصَّصة للتّعلّم والأندية المعدَّة للتّدريس، فنظرُكَ طريقٌ لعبورك من عالَم إلى عالَم، وهو سبب لانتقالك من مكان إلى مكان، فهو أداتُكَ لمعرفة حقائق كثيرة وهو قُوَّتُكَ الظّاهرةُ لفتح أقفال عسيرة، والغالبُ في النّاس أنَّهُم يمتلكون النّظر ويتمتّعون بقوَّة البصر، لكنَّهم لا يرون إلَّا صورًا ظاهريَّةً ولا يلتقطون إلَّا مناظر فوقانيّةً، أمَّا رؤيتهم لبواطن الأمور فهي معدومة، والتقاطهم لما تحتَ النّظر فهو منحسر.

فإذا علمت ذلك فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لن تنتفع من أداة بصرك ولن تستفيد من قُوَّةِ نظرك ما دمت لا تعرف كيف تستفيد منها، وما دمت جاهلًا بأسرار تحكُّمِكَ فيها وتسخيرِكَ لها، فإذا انتبهت إلى ذلك فاعلم أنَّكَ لن تستفيدَ من نظرك ما دمت غيرَ مسيطر على كلامك وما دُمْتَ غير متحكِّم بنطقك، فالنّطق (أو الكلام) هو الأداة الخفيّة لجعل النّظر مفيدًا وهو الخطوة الأولى لكونِهِ سديدًا، فأنت إذا ما كنت تُطْلِقُ ألفاظَكَ كيفما تشاء وتُعَلِّقُ على كُلِّ شيءٍ تراه ولا تُمْسِكُ نفسَكَ عن أيِّ شيء يوعِزُهُ تفكيرك ولا تلجم لسانك عن أيِّ خاطر ينقدح في سريرتك، فكيف تتوقَّعُ أن تحصل على صحَّةِ

نظرِكَ؟! وكيف تنتظرُ أن تزداد قُوَّةُ تنقُّلِكَ وعِبْرَتِكَ؟! فأنت إن كنت -مع بقاء حالتك هذه- تعتقد أنَّكَ تنظرُ إلى غير ظواهر الأشياء فأنت مخدوع، وإذا كنت تعتقد أنَّكَ تنتقل بنظرك إلى عوالم أخرى، فأنت واهمٌ في رؤيتك ومتخيِّلٌ في استنتاجاتك، فلا نظرَ يخترق ما تراه من حوادث من غير انضباط في النّطق قبلَهُ وتحكُّم في الكلام سابق له، فأكثِرْ من قولِكَ الحكمةَ لتراها عيناكَ، وإنْ تُقَلِّلَ منها في نطقك يقتصرْ نظرُكَ على المعاش اليوميّ والمشكلات المعتادة، ولن ترى حينئذٍ إلَّا ما يراه الجميع وتُحْرَمُ عندها من الرؤية الخاصّة المتفرّدة.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ إن كنت عاجزًا عن ضبطِ نطقك والسّيطرة على كلامك مقدِّمةً منك للتّحكم في نظرك والانتقال إلى عوالم رؤيتك، فإنَّكَ لا تزالُ تمتلك الفرصة في العبور بنظرك من انقباضات هذا العالم وإرهاصاته إلى ما هو أجمل منه وأهدأ، فإذا علمت هذا فحان الوقت الآن لتعلُّمِ بعض خفايا الحكمة من حولك وانكشاف بعض أسرارها في سريرتك، فاعلَم أنَّ زوجتَكَ التي تعاشِرُها وتجالِسُها هي طريق واسع للارتقاء بنظرك، وهي بوّابة واسعة لتحسين إمكانيّة تحصيل عبرتك، فأنت إذا ما نظرت إلى زوجتك بابتسامة وكلَّمتها بلطف واستقامة فانكسر قلبكَ لها لما تبذله من مجهود فرأيت بنظرك ضعفَ حالها ولمست بمشاعرك مظلوميَّتها وعجزها عن تحصيل بعض غاياتها فأنت بذلك قد قوَّيتَ عقلَكَ على تجاوز ظواهر الأمور ووسَّعْتَ أُفقَكَ نحو النّظر البعيد، وكُلُّ هذا قد استحصلته أيُّها الإنسان من نظرتِكَ إلى زوجتك، ذلك الكائن الذي صرت مؤتمنًا عليه في حياتك وصارَ حاملًا لسيرَتِكَ

بعد مماتك، فإذا أعجَزَكَ نطقُكَ عن إكمالِ نظرِكَ، فعليك بلطف النّظر لزوجتك، فهو خير بديل وأقصر دليل.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّكَ لو تلاعبت بنظرك مع النّاس واحتَلْتَ في تعاملك معهم من خلال نظراتك، فتجاهلت حكيمَهُمْ تحايلًا منك وأدرت بنظرك عن عالِمِهم تحقيرًا له منك، فقد أعميت بفعلك هذا نظرك وأغلقت المنافذ في طريق تحصيل عبرتك، وهذا الأمر يُتاحُ لكُلِّ إنسان تعرفُ قدرَهُ وتتحاشَى بنظركَ إيَّاهُ تجاهلًا منك لشخصيَّته، فإيَّاكَ أن تفعل ذلك؛ لأنَّك ستميت جزءًا من نظرك لن يحيى بعد موته أبدًا وستثلمُ بُعدًا في أعماقك لن يسدَّهُ أيُّ تعديل مطلقًا، وإيَّاكَ والنّظرةَ المؤذيةَ لجارك أو أخيك أو ضيفِك أو أجيرِك لو كانوا لا يسيئون لك ولا يحسنون، أما لو فعلتها مع من أحسنَ إليك فقد أهلكْتَ نفسَكَ، وإن فعلتها مع من أساء إليك فحاول ألَّا تفعلَها ما استطعت، واكتفِ بغضِّ النّظر وإطراق الرّأس والتّفكير بأيِّ شيء آخر يُبْعِدُكَ كُلِّيًّا عنه.

فإذا علمت هذا فاعلم أنَّك كما يجب أن تُحكِمَ نظرَكَ إلى العالم فيجبُ كذلك أن تعرفَ نظرتَكَ إلى الوجود ويجبُ أن تُحدِّدَ نظرتَهُ إليك، فإنَّك إذا أهملت نظرتك إلى الوجود واكتفيت بنظرتك لأيّامك المتكرّرة وساعاتك المعادة فلا تتوقَّع من الوجود أن يرفقَ بك أو يتلطَّف بأفعاله معك، فاعلم أنَّك لن تنجوَ من قوانين الوجود الصّارمة ولن تتخلَّصَ من قبضته الخانقة إلَّا بتعديل نظرتك إليه وتقويم فلسفتك مع غايته، فعندها سترى قوانينه القاسية فتتجنَّبُها وتعرفُ ما لطف منها فتتَّبِعُها، واعلم أنَّك يجب ألَّا تحسر نظرك في

ما أفرزه زماننا من الشّوارع والبنايات، فإنَّها تُضَيِّقُ الأفق، وحاول أن تقوِّيَ نظرَكَ بمناظِرِ الحياةِ البرِّيّة، فإنَّ النّظر إلى المساحات الخضراء الواسعة يُعَمِّقُ عقلَكَ ويُرقّي عبرتَكَ، وإن ضاق تحصيلك لهذه المناظر فانظر عوضًا عنها إلى السّماء ولو في أوقات محدَّدة من اليوم.

الحاكم

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الحاكم الذي يعترض عليه النّاس، والذي ينتقدونه أو يعاكسونه أو يحاولون الإطاحة به في فترات متقدِّمة من سيطرته المطلقة على مفاصل الدولة وتدجينه لشعبها وتحقيره لسكّانها، إنَّما هو حاكم لتلك الشّعوب بالاستحقاق وملك عليها بالاكتساب، فالشّعبُ الذي ملأ الشَّرُّ فكرَهُ وانحسر الخيرُ في عقله وتعاظمَ المالُ في مقصده وتفجَّرت الغرائز في سِرِّهِ وخلوتِهِ فعظّمَ الحقيرَ وحقّرَ العظيمَ، لا يجمع شملَ عائلته إلَّا التّسليةُ والضّحك غير المُتَّزن ولا يلمُّ متفرِّقاتِ عشيرته إلَّا النّفاقُ والولائمُ، يُصغِّرُ الكبيرَ مهما كان حجمُ علمِهِ وحكمتِهِ، يُصغِّره على أساس صِغَرِ بيتِهِ وقِدَمِ سيّارته، ويُكبِّرُ الصّغير مهما كانت ضآلتُهُ وحقارتُهُ، يُكبِّرُهُ على أساس ملبسه ومسكنه وحجم بطنه وسعر سيّارته ومركزه وارتفاع بيته، هكذا شعب لا يُتوقَّعُ أن يحكمَهُ ملاكٌ له جناحان وفوقَ رأسه هالةٌ من نور... هيهات.

فالشّعوبُ التي تهتمُّ كثيرًا بقشور الأشياء ولا ترى جوهرَها وتستجدي الاحترام ممَّن يتجاهلُها ويحتقرُها هي شعوبٌ من الظّلم أن يحكمَها الأخيارُ أو يتولَّى شؤونَها الحكماءُ الأبرارُ، هي شعوب لا بُدَّ من أن تُسحَقَ وتُهانَ رغم أنفِها، ومن غير العدلِ البكاءُ عليها أو التّحسُّرُ على ظلمِها أو معاداةُ من يظلمُها، هي شعوب عبدت المالَ

إلى حَدِّ الفناء فيه وأكلت إلى حَدِّ التّخمةِ حقوقَ الضّعفاء، فيجب أن يُتعبَها كسبُ المال، وهي شعوب تبحث عن الزّيادة والجشع دائمًا فلا بُدَّ من أن يُقْطَعَ عنها ما كان سببًا في استزادتها وتضخيم بطونها، فتجدُها تركضُ على الدّنيا ولا تلحقُ، وتجاهدُ؛ لتكونَ في الصّدارة فلا تسبقُ، فهي شعوب حقَّرَتِ العظيمَ وعظَّمَتِ الحقير، فلا بُدَّ من أن تبقى دائمًا تحت قبضة من يُحقِّرُها، ويجب أن تبقى دائمًا مجلودةً، وهي مبتسمةٌ تحت سياط من يُهينها ويُصغِّرُها.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ما أقدمْتَ عليه من فعل جعلَكَ تعيشُ في أيِّ بلد يقع في أيِّ مكان من أصقاع هذه الأرض تحت سلطة أيِّ حاكمٍ شرِّيرٍ كاذبٍ منهزمٍ مهزوزٍ مخادعٍ متسلِّطٍ جائرٍ، فأنا أنصحك بعدم الاعتراض على أحد، بل إذا أردتَ أن تعترضَ فاعترض على نفسك ولا تنتقد غير رأيك ولا تعاكس سوى ذاتك ولا تحاول أن تُطيحَ بغير عقلك وأفكارك، هذا من جهتك.

وأمَّا من جهة الحاكم فبما أنَّهُ حاكم صدر من هكذا شعوب نخرها حُبُّ المال واستشرى فيها الفساد، وأنَّهُ نتاج تلك الأُمم البائسة، فلا يكون ناصحًا لهم أبدًا ولا مجتهدًا في خدمتهم مطلقًا، فهو فقط ناصحٌ لنفسِهِ بكُلِّ قوّته ومجتهد لها بأقصى شِدَّتِهِ، وعندها لن يرى الشّعبُ من ذلك الحاكم سوى الحديد والنّار سياسةً وغيرَ التّجهيل والتّعتيم ظرفًا وبيئةً.

وبعد أن علمت هذا أيُّها الإنسان فاعلم أنَّ الحكّام هم نتاج الشّعوب وأنَّ الشعوب هم نتاج رجال الدّين والمفكّرين والمثقّفين، فإذا صلحت طبقة رجال الدّين واستقامت طائفة المفكّرين والمثقّفين

فقد صلحت الشعوب واستقامت واكتمل بناؤها فاستيقظت وقامت، وإذا فسدت تلك الطّبقات فقد فسدت تلك الشّعوب وماتت فلا يحكُمُها إلَّا أراذلها ولا يمتطي صهوتَها إلَّا أشرارها.

فإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تنظرَ إلى الحاكم بنظرة اشمئزاز إلَّا مع النّظر إلى رجال الدّين (مَنْ كان والمفكّرين والمثقّفين المنحرفين في تلك الشعوب المنحدرة بنظرة أكثر اشمئزازًا وأشدَّ احتقارًا، وإيَّاك أن تغضب على حُكَّام الجور وأنظمة الظّلم إلَّا مع الغضب الأشدِّ منها على الفكر الذي غُذِّيتْ به تلك الشّعوب من مصادر الفكر والثّقافة فيها، فهؤلاء هم الآفة الكبرى فيما لو أساؤوا، وهم المعضلة الكبرى فيما لو أضاعوا الطّريق، فماذا تنتظر من شعوب تَميَّعَ شبابُها حتَّى صاروا في الشّبه للنّساء أقربَ منهم إلى الرّجال، وما نتوقَّع من شعوب فقدَ الرّجال فيها شخصيّاتهم فتملَّكَتْهُمُ النّساء لعجزِهم وفشلِهم، وكانت المرأة هي المنقذة لهم وهي المشيرة عليهم في قضايا تخصُّ الرّجال وحدهم، وهُنَّ من يتحكَّمنَ في صناعة القرار والعلاقات داخلَ الأسرة الواحدة، فتفرِّقُ ما تريدُ تفريقه وتجمع ما ترغب بتجميعه أحيانًا، وتُقَرِّبُ البعيدَ وتُبعدُ القريبَ اندفاعًا وعاطفةً.

إنَّ هؤلاءِ الرّجالَ الذين فشلوا في إدارة الحياة بسبب تميُّعِهِمْ وضعفِ شخصيَّتِهِمْ فتولَّت نساؤُهُمْ زمامَ أمورهم هم نتاج منابر السّوء التي لم تُرْضِعْهُمْ إلَّا جهلًا ولم تُغَذِّهِم إلَّا خمولًا وفشلًا، فهكذا شعوب كيف ستختار حكامها؟!، ومن ترغب أن يسيطر عليها سوى أشرارها وأراذلها؟!، فالحاكم هو نحن ونحن هو الحاكم، فكما أنَّنا نجور على استقامة الطّبيعة البشريّة وننحرف عن

خطوات الوجود الرّصينة الثبات، فسيكون حكّامُنا أكثرَ جورًا منّا؛ لأنّهم اختيارُنا وإفرازٌ لسلوكِنا وعصارة ثقافتنا.

فكن أيُّها الإنسان صاحبَ عقل جبّار بتعلّم الحكمة، فإذا تعلّمتها فقد فاق عقلك العشراتِ ممَّن لم يتعلَّمها بل المئات، وصرتَ حاكمًا للنّاس وإن لم تحكم، وعندها سيكون العدل رفيقًا لحكمك (المتأتّي من حكمتك وإخوتك) لهم دليلًا على إمرتك عليهم، فلا يَرَوْنَ منك غشًّا ولا يستشعرونَ منك قسوةً، فإذا لم يفعلوا، فستكونُ أنتَ خيرَ مستشار لهم يُعلِّمهم صحَّةَ اختيارهم ويلقِّنُهُمْ دقَّةَ قرارهم، فالحاكمُ أو الدّالُّ عليه هما أنفَسُ النّاس علمًا وأعمقُهُمْ حكمةً وأحوطهما أمانةً وأدقُّهُمْ وأصوَبُهُمْ نصيحةً، وهذا الحاكم لَنْ تظفرَ بِهِ الشّعوبُ حتّى في أحلامها ما دامت لا تقدِّرُ الحكمةَ ولا تُعيرها أيَّ اعتبار، بل تُحقِّرُها وتستهزئ بها وبأصحابها، فإذا بقيت الشّعوبُ خامدةُ هكذا حتّى تضيقَ عليهمُ السّبُلُ بالعمر الضّائع والجهل والمرض فعندها لن يتفع النَّدَم، ولن يزولَ السَّقَمُ أو يندفِعَ الهرم.

النّوم

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ ما دمت كبيرَ البطن منتفخَ الأمعاء من كثرة الأكل يسيل لعابك بسبب لذيذ الطّعام، فأنت إنسان تُحِبُّ كثرةَ النَّوم، بل أنت نوّام لا تفرِّقُ بين ليل أو نهار لتغفو ولا فجر أو مغرب لتنام، فاحذر من طعامك فهو سبب نومك المستمرّ وهو علَّة اضطرابك التي لا تستقرّ، فإذا رأيت نفسك ثقيلًا في نومك منكبًّا على وجهك في غفوتك فلا تراجع شيئًا كمراجعتك طعامَكَ ولا تُصلح شيئًا كإصلاحك كبرَ بطنِكَ وتوسّعَ معدتِكَ، وإيَّاكَ أن تستصغر هذا السّلوك (وهو كثرة النّوم)، وإيَّاك أن تُضعف من تأثيره عليك، فأنت لا تعلم أنَّ كثرة نومك -بسبب كثرة الطعام- ستؤدِّي إلى اضطراب عقلك وكثرة الظّنون السّيّئة في حياتك.

فالنّوّام كبير البطن إنسانٌ لا يستقرُّ عنده علم ولا تتداركُهُ في لحظات الصّعاب حكمة أو معرفة؛ لأنَّه إنسان كسول متراجع ضعيف عجول، وأين هذا الإنسان من العلم وأنَّى لهكذا مخلوق أن تنبع منه معرفة أو تتدفَّقَ بين ثنايا أعماقه حكمة، فلا تأكل أيُّها الإنسان فقط استمتاعًا منك بالأكل، ولا تأكل حتّى تجوع فإذا جُعْتَ فكُلْ، ولا تأكل وأنت شبعان، فإذا فعلت فهيِّئ نفسك لنعاسٍ في غيرِ حينه ونومٍ في غير ساعته، وعندها سيُفسد هذا النّومُ جزءًا من عقلك وسيضطرب تبعًا له الظّاهرُ من سلوكك، فتبرزُ عندك أفعال ما كانت

لتبرزَ لولا فعلُكَ، وستنبتُ عندك رذائل ما كان لها أن تنبت لولا خَطؤكَ، فتصاحِبُكَ حِدَّةُ المزاجِ واعتصارُ الصّدر من جهة والمزاحُ المفرط والضّحك بلا سبب من جهة أخرى.

فاحذر أيُّها الإنسان من نومك النّاتج من طعامك، فكُلُّهُ مرض وعناء، واعتنِ بنومك النّاتج من سهرك، فكُلُّهُ صحَّةٌ وشفاء، وكلاهما نومٌ، ولكنَّ الفرقَ بينهما كما هو بينَ الأرض والسّماء، ففي الأوَّل بؤس وفقر، وفي الثّاني راحة وغنًى، فأنت أيُّها الإنسان ينبغي أن تعرف شيئًا عن جسدك، ويجب أن تعرف كُلَّ شيءٍ عن عقلك، إذ إنَّ جهلَكَ بهما هو سبب اضطرابِ حياتك ودوامِ تعاستك واستمرارِ فقرك.

فإذا علمتَ أيُّها الإنسانُ هذا فاعلم أنَّ نومَكَ وأنتَ تتعلَّمُ خيرٌ من نومك وأنت جاهل، وأنَّ نومك من تعب سهر التّعلّم أفضل من نومك من تعب سهر العمل لنفسك وحدَك من دون أن ينتفعَ من عملك أحدٌ، وهو كذلك خير من عملك وأنت جاهل بما تعمل، ففي نومتك الأولى حياة وفي نومتك الثّانية ممات، واعلم أنَّ عقلك أعلم منك بنومك، فهو الذي يختارُ وقتَ نومِكَ ووقتَ استيقاظِكَ، إنَّ عليك فقط ألَّا تُفسِدَ اختياراتِهِ ولا تزوِّدَهُ بغير ما يحتاجه أو يُربِكُ عمَلَهُ، فإذا أعطيته فوقَ ما يحتاجُهُ من طعام نامَ، فلا تُجْبِرْهُ على الاستيقاظ أبدًا، فهو قد اختارَ أفضلَ الخيارات، وإلَّا فلماذا أعطيتَهُ زيادةً في طعام إذا كنتَ تريدُهُ استيقاظَهُ لا نومَهُ، فانتبه أيُّها الإنسان لما تفعل بجسدك؛ ليستجيبَ تبعًا لما يفعلُهُ فيه عقلك، وإذا أصابتك حمَّى أو مَرضْتَ واختارَ عقلُكَ لجسدك الرّاحةَ والنّومَ فلا تقاوم جسدك

إذا فضَّلَ النّومَ والرّاحة، فقد اختار أفضلَ خيار واتَّخَذَ أفضلَ قرار، وإذا كنتَ متعبًا بسبب انقطاعك اختيارًا عن الطّعام والشراب واختار جسدك النّوم، فطاوعه، فقد اختار أفضلَ خيار، وإذا كان جسدك مستيقظًا ونشطًا فلا تُجبِرْهُ على النّوم بسبب فراغ الوقت والتّرف أو فقدان الغاية أو زوال الهدف.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك وأنَّ نومك هو انعكاس لحياتك وهو صورة لسلوكك، فاعتنِ بجسدك ينضبط نومك واهتمَّ بعقلك تستقِمْ غفوتك، واعلم أن لا شيءَ يجعلُ عقلَكَ متماسكًا كالعلم ولا شيءَ يجعل نومَكَ هانئًا كالتّفكّر فيه، وإذا علمت كُلَّ هذا فاعلم أنَّ النّومَ أقربُ إلى عالم العقل منه إلى عالم السّموّ الدّاخليّ والارتقاء النّفسيّ، فإنَّ النّفسَ مهما ارتفعت وتنزَّهت فهي عند النوم أقلُّ درجةً وأدنى رتبةً من الكمال العقليّ والتّدرّج المعرفيّ، إذ إنَّ عالمَ النّومِ هو عالم إعادة تنظيم وترتيب للكمّ العلميّ والثّقل المعرفيّ، بخلاف التّنزّه النّفسيّ فإنَّ النوم لا يُنظِّمُهُ بقدر ما يُسَكِّنُهُ ويوقفُ حركتَهُ ويُضعِفُ جذوةَ شِعلتِه إذا وُجِدَت، فاعرف ما أنت فيه من وضعٍ وحالٍ تعرف ما يجب عليك فعلُهُ في عوالمك الدّاخليّة، فإذا كنتَ تريدُ للجذوةِ الدّاخليّةِ أن ترتفع فلا تنم وقلِّل من أسباب ذلك أو أعدمها، وإذا أردت لعقلك أن يُخرِجَ كنوزَهُ بعدَ تزويده بأسباب علمه، فعليك بالنّومِ بعده، ففي ذلك مفاتح مكنوناته وأسرارُ قوّته.

حديث النّفس

اعْلَمْ أيُّها الإنسانَ أنَّ حديثَكَ مع نفسك هو ما سيرسم صورة عملك، وهو ما سيُحدِّدُ طبيعةَ توجُّهك، فإذا كانَ أساسُ حديثِكَ مع نفسك الكذبَ أو الانفعالَ أو التّشفّيَ أو الحسدَ أو التّبريرَ، فعندها سيكون عملُكَ اللّاحِقُ له ناقصًا ضعيفًا فاشلًا، وعندها سيقودك هذا العمل إلى حديثِ نفسٍ آخرَ لَهُ نفس الأساس ويُشابِهُهُ في الصّفات، وهذا بدوره سيقودك إلى عمل ناقص ضعيف فاشل وهكذا، فَتُدْخِلُ نفسَكَ مُرغمًا بين دوّامتين هما حديث النّفس ونقص العمل وفشله، أمَّا إذا كان أساسُ حديثك مع نفسك الصّدقَ والسّكينةَ والتّرفّقَ والاعتذارَ، فعندها ستحصل على أفضل الأعمال وأكملها.

فعملُكَ في أيِّ مجال من مجالات الحياة هو صورة مجسَّمة لحديث نفسك السّابقِ له لا أكثر، فانتبه أيُّها الإنسان لحديثِ نفسك معك جيّدًا، وإيّاكَ أن يستفحل ذلك الحديثُ على أعضائك، فيتحوَّل إلى كلمات لا إراديّة يُطلِقُها لسانُكَ من دون أن تشعرَ، أو يتجسَّدَ بشكلِ حركاتٍ يفعلُها بدنُكَ من دون تحكُّم منك؛ لأنَّك عندئذٍ ستكونُ تحت سيطرته المطلقة، بل في الحقيقة إنَّكَ لن تكونَ كما كُنْتَ، بل ستكون إنسانًا آخرَ مختلفًا بالكامل، يتكلَّمُ بغير منطقه ويعمل بخلاف مبادئه، فحاول قدر استطاعتك ألا يتجسَّدَ حديثُ نفسِكَ بالظُّهورِ على أعضائِك أو يظهرَ أثرُهُ على أفعال بدنك، فهو

ما دام منحصرًا في داخلك ولم تتكلَّم به فهو تحت سيطرتك ومنقادٌ لقوَّة إرادتك، فإذا كان حديثك مع نفسك من النّوع الثّاني الذي كان الصّدقُ أساسَهُ والسّكينةُ والاعتذارُ كيانه فتكلَّمْ به وأظهِرْهُ في كلماتك وجسِّدهُ ضمنَ أفعالك، فإذا فعلت ذلك سيكونُ حديثُكَ اللّاحق لفعلك حسنًا طيّبًا صادقًا تحفُّهُ السّكينةُ ويحرِّكُهُ الاعتذارُ، وتكونُ بذلك واضعًا أساس السّيطرة على حديث نفسك من خلال التّحدّث بحديث نفسك الحسن، ومن خلال تجسيد فعلك الطّيّب وهذا هو السّرُّ المهمّ في السّيطرة على حديث النّفس.

أمَّا إذا تحدَّثت بحديث نفس حسن ولم تتكلَّم به أو تفعله، فهو سيكون أقلَّ تأثيرًا وأضعف أثرًا ممَّا لو تحدثت به أو فعلته، وأمَّا حديث النّفس السّيِّئ الذي له منابع الكذب والحسد والتّبرير، فإنَّهُ -بمجرد وجوده في أعماقك- هو ضعيف التّأثير تقريبًا، وإن كان الأفضل عدمَ وجودِهِ مطلقًا شرطَ ألّا يكون قويًّا وواسعًا.

وأمَّا إذا كان كذلك فعندها ستظهر خطورته حتَّى لو بقي في أعماقك، لكنَّ بقاءه في الأعماق هو غير متاح لِكُلِّ أحد كما هو متعارف ولا يستطيعُهُ أيٌّ كان كما هو واضح.

فإذا علمت هذا أيُّها الإنسان فاعلم أنَّ حديث نفسك يجب أن يكون متزامنًا مع عمرك، فإذا كان عمرك شابًّا فاجعل حديث نفسك متّفقًا مع عمر الشّباب وما يحمله هذا العمر من أهداف ومخطَّطات، وإذا كنت مُسِنًّا فحدِّث نفسك بحديث هذا العمر، وإيَّاك أن تعودَ إلى عمر الشباب لتحدِّثَ نفسَكَ بِهِ، فإذا فعلتَ ذلك تكون عندئذٍ قد أهلكتَ عقلَكَ وسرَّعْتَ في إفناء نفسك.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك ما دمْتَ تُفكِّرُ في الحياة ومشكلاتها، فلن تسيطرَ على حديث نفسك، فحاول أن تفكِّر في موتك أكثرَ من تفكيرك في حياتك، عندها سيخفت حديثُ نفسِكَ وسيضعُفُ السّيِّئ من أفكارك.

فإذا علمت هذا كُلَّهُ أيُّها الإنسان فحان الوقت أن تعرفَ أنَّ صورتك الخارجيّة وهيئتَكَ الظّاهريّةَ وأفعالَكَ المُعلَنَةَ كُلَّها تتجسَّدُ بحديث نفسك، فإذا كان حديثك مع نفسك حديثَ شَرٍّ كانت صورَتُكَ وهيئتُكَ على شاكلته، فاحذر أيُّها الإنسان من هذا الأمر وراقبه جيّدًا في نفسك، فأنتَ مفضوحٌ بحديث نفسك، وأنت لا تعلم ومكشوف بضعف سيطرتك على أفكارك، وأنت لا تفهم.

واعرف أيُّها الإنسانُ أيضًا أنَّ حديثَ نفسِكَ هو سِرُّ سعادَتِكَ وهو سِرُّ تعاستِكَ، فإذا كان حديثك مع نفسك حسنًا ستكون حينئذٍ سعيدًا ولو كنتَ غيرَ مالكٍ لما يملكه غيرك أو كنتَ فاشلًا في نظر مجتمعك، فأنتَ ستكون أسعدَ من كُلِّ أولئك المتملِّكين وأعزَّ من جميع النّاجحين وما سِرُّ ذلك إلّا حديثَ نفسِكَ، وكذلك هو سيكون سِرَّ تعاستك، حتّى لو كنتَ تملكُ ما تملكُ وحقَّقْتَ أنواعَ النّجاحات فأنت ستبقى تعيسًا، وما ذلك إلّا بسبب حديث نفسِكَ الذي سَيُرْهِقُ تفكيرَكَ ويُذيب بدنَكَ ويُشتِّتُ طاقَتَك.

واعلَمْ أيضًا أنَّ لحديثِكَ مع نفسك تأثيرًا كبيرًا على نوع عملك، وأنَّ لعملِكَ تأثيرًا على حديث نفسك، فإذا كان حديث نفسك سيّئًا، فحاول أن تخفِّفَ من سوئه بعملك الجيّد النّافع، وإن كان حديثُ نفسِكَ ليس سيّئًا، لكنَّكَ فاقدٌ للحديث الجيّد النّافع في أعماقك،

فقُمْ بأداءِ الأفعال النّافعة الحسنة، فعندها سينقدح بشكل فجائيّ وفي لحظة محدَّدة في أعماقك حديثُ نفسٍ حسنٍ يؤنِسُكَ الاستماعُ إليه وتأنَسُ بالحديث معه.

التّغيير

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ إذا أردت أن تغيِّرَ ما يدورُ حولَكَ من أخطاء وتُبدِّلَ ما يحيط بك من سوء في الأشياء، فلا تتعجَّل في اندفاعك ولا تتسرَّع في إصلاحك وعليك أن تنظرَ إلى ما تريد تغييرَهُ فهل باستطاعتك ذلك أم أنتَ عاجز عنه، فإذا كنت مستطيعًا فلا تتأخَّر في تغييره فهو إنَّما وُجِدَ لك؛ لتُظهِرَ فيه استطاعتك، وَوُضِعَ في طريقك؛ لتكتشفَ فيه مقدار إرادتك ودرجة تعقّلك، فغيِّرهُ، فربما كان من يفعله جاهلًا، فتكون أنت معلِّمَهُ، أو ربما كان ناسيًا فتكون أنتَ مُذكِّرهُ أو جبانًا فتكون أنتَ مُعزِّهُ، فكُلُّ هذه الحالات هي مسوِّغات لك أيُّها الإنسان لتغيير ما يدور حولك وتبديل ما يحيط بك، فإذا كانت استطاعتُكَ تبلغ هذه الأشياء وحركتُكَ قادرةً على أن تطالَ تلك الأخطاء فلا تتردَّدْ وغيِّر بتعقُّل وبدِّل بتحمّل.

وأمَّا إذا كانت استطاعتك محدودةً وكانت يداكَ بالقيود مغلولةً، فاترك التّغيير ولا تُغيِّرْ، ولا تكن مُندفعًا بأكبرَ من طاقتك ولا عجولًا بسرعة حميّتك، فإنَّ تلك الأمورَ الخاطئةَ ما دامت خارجَ استطاعتك فهي خارج مهمَّتك، وهي أبعدُ من أن تضعها في مرمى هدفك، وما عليك في هكذا حالات سوى أن تصبرَ فقط، ولا تنتظر التّغييرَ انتظارًا مُضِرًّا بصبرك، ولا تتضايق من بقاء الحال تضايقًا يقود إلى جزعك،

وعليك أن تدرِّبَ عقلَكَ على ألَّا تنتظرَ التّبديلَ، وعليك أن تُحرِّرَ نفسك من شَغَفِ التّغيير.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ عقلك هو من يُكبِّرُ الأشياء وهو من يصغِّرُها، فلا تجعل عقلك يتصاغر إلى درجة أنَّكَ تعجزُ عن صرف تفكيرك عن أبسط الأشياء التي تُضايقك، كما أنَّه يجب عليك أن تجعلَ عقلك يتقولَبُ مع الأخطاء الخارجيّة ويتشكَّلُ مع التّغيّرات المحيطيّة؛ ليكون بعد ذلك مستعدًّا لما يحصل لاحقًا، فانتظر ولا تتعجَّل إذا كنت عاجزًا، فإنَّ في انتظارِكَ تدفُّقًا لحكمتك وفي صبرِكَ منحًا لقوّتك، لكن اعلم أنَّ تلك الحكمة لن تتدفَّق ما دمت راضيًا بواقعك وحالِكَ ولم تستشعر الخطأ في مجتمعك، ولم تدرك انتهاك الحقوق في حياتك، فهنالك فرق كبير بين عجزك الذي لا تستطيعُ تغييره لضعف قدرتك واستفحال خصومك، لكنَّكَ مستشعر في أعماقك حجمَ الخطأ ورافضٌ له بكُلِّ قوّتك وتتمنَّى بكلّ ما أوتيتَ من قوَّةٍ تغييرَهُ وتبديلَهُ، وبين ضعفك وخنوعك النّاتجينِ من عدم شعورك وخفوت ثورة غضبك، فإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تتألَّمَ من مشاهدة الأمور النّافعة للنّاس في الخارج فتنتقدَها وتستهزئَ بها وتستصغرَها، كما أنَّك يجب أن تحذر من حُبِّ نفسك لمشاهدةِ الأمور المضرَّة بالنّاس والمؤدّية إلى قتل تفكيرهم وانحلال أخلاقهم، فلا تمدحْها في أعماقِكَ مَعَ رفضِها بلسانِكَ.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ تحتاج إلى الشّعور المسؤول اتّجاه ما يجري في الخارج، فإنك لو تركتَ ذلك فقد انتهى أمرك بشعورك هذا إلى الأبد وغادرت حميَّتَكَ فلا تعود، واعلم أنَّه كُلَّما كان شعورُك

ذلك عميقًا في أثره واسعًا في مساحته صارت فرصةُ مشاركتِكَ في التّغيير من حولك أعظمَ واحتماليّةُ وقوعِهِ أكثر، فانتبه أيُّها الإنسان إلى عقلك إذا ما شاهدت الخطأ، وانتبه أكثرَ لشعورك اتّجاهه إذا ما علمت به؛ لأنَّ فعلك هذا مع عدم استطاعتك وعجز قدرتك هو المخلّص لك من عبء ذلك الخطأ في وجودك وهو المؤدِّي إلى الحفاظ على شخصيتك مع انقلابِ ما يدورُ حولَكَ.

فإذا علمت كُلَّ هذا فاعلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ جهلك بوجود الخطإِ من حولك سيمنع ظهور تغيير الخطأ في عالمك، فالجهل سُكْرٌ يعيش فيه النّاس في كُلِّ زمان، يمنع عقولهم من العلم وبالتّالي يقطع لغةَ تحاورهم مع الوجود وعندها ستموت حركتهم وستضعف همَّتهم وسيتبدَّلُ كُلُّ شيء فيهم، فافهم أيُّها الإنسان أنَّك لن تستطيع أن تغيِّرَ ما حولك أو تغيِّرَ واقعك حتّى تُغيِّرَ عقلك، وتجعل عقلَكَ يعلَمُ ويستشعر أخطاءَ الوجود من حولك، يقترب منها ويلمسها ويتفحَّصُها عن قرب حتَّى تستوليَ عليه مرارةُ الخطإِ ويكتويَ وجوده بنيران الظّمأ، فإذا فعل فعندها سيظهر التّغيير ظهورًا ساطعًا قويًّا كاشفًا يقلِبُ كُلَّ ما يحيط به ويُحيط بكُلِّ انقلابٍ حولَهُ.

نقل الكلام

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الذي يستحقُّ أن تستمع إليه من النّاس هو من حَرَّمَ على نفسه نقلَ الكلام بين اثنين دفعًا لاحتمال وقوع الضّرر بينهما، فيُمسِكُ لسانَهُ حتّى يسيطر عليه سيطرةً كاملةً يُحرِّكُهُ حيثما يشاء ويُطْلِقُهُ كيفما يريد، فلا يتكلَّمُ إظهارًا منه لقدرته على الكلام أو تشفّيًا له من خصومِهِ ومناوئيه بضغينة منه أو انتقام، لم يصلح بين اثنين إظهارًا منه لقدرته على الإصلاح أو انتظارًا منه لكلمات المديح أو إثباتًا لقدرته على النجاح، لا يجادِلُ أبدًا، ولكنَّه يكشفُ الحقائقَ إذا تطلَّبَ الحالُ منه الكشفَ عنها، ويميطُ اللِّثامُ عن بعض ما سُتر منها إذا كان في إماطتها القدرة على صونها، يصونها رفعًا منه لظلم المظلوم وسترًا لانتهاك عفَّة أو سترًا للعيوب أو تسكينًا منه لحال مضطرب أو تلبيةً لطالبِ شغوفٍ عَطِش، وإذا اضطُرَّ إلى نقل الكلام فلا ينقلُ الكلامَ بين اثنين إلَّا دفعًا لظلمٍ لحق به أو دفعًا لضرر يمكنُ أن يقع له، فهذا الصّنف من النّاس هو الصّنف الذي يستحقُّ منكَ أيُّها الإنسان أن تستمعَ له ويجبُ عليك أن تُنْصِتَ إليه، وأمَّا سواهُ من الأصناف فالاستماع لهم يكونُ مضيعةً لوقتك وهدرًا لطاقات فكرك وتشتيتًا لقدرة عملك.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان ما لمنع لسانك من نقل الكلام بين اثنين من صناعة فلسفة للسّيطرة على اللّسان والكلام بالكامل، وكُلّ فلسفة

للسّيطرة على قدرتك ولجم لسانك إنَّما تبدأ من هذه البداية، وهي منع نفسك من نقل الكلام أوَّلًا، فإذا منعته من النّقل فقد وضعت قدمَكَ على الطّريق المستقيمة، وسِرْتَ بخطوتك نحو الهدف المنشود بحركتك الصّحيحة المستديمة.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ عدمَ نقلِكَ الكلام لن ينحصرَ فقط بصيانة لسانك والسّيطرة على تحكّمك في كلامك بل سينقّي سلوكَكَ ويتوسَّعُ؛ ليشمل السّيطرةَ على أفكارك، فلا تفكِّرْ بعد منعِكَ نفسَكَ من نقلِ الكلام بالأمور السّيّئة إلَّا اضطرارًا وبنسبة نادرة جدًّا، وهذا بدوره سيُخفِتُ لهيبَ نارِ الغرائز السّيّئة في أعماقِك، فلا تفكّر في تلك الغرائز ما دمت غير ناقلٍ للكلام، ولا قاتلٍ بنقله بين النّاس للأمن والسّلام، حتَّى تتوسَّعَ المنفعةُ لتشملَ سلوكيّاتٍ أوسعَ كالدِّقَّة في العمل والانضباط في كسب المال، وما ذلك إلَّا بسبب ذلك المنع الدّقيق في نفسك من نقل الكلام بين اثنين، سواءٌ كان الاثنان شخصين أو مجموعتين أو فريقين أو عائلتين أو أيَّ شيء آخر.

فإذا علمت أيُّها الإنسانُ فائدةَ سيطرتك على لسانك ومنعِكَ نفسَكَ من نقل الكلام بين النّاس، فيجب أن تعلَمَ ما لِنقلِكَ من ضرر عليك، إضافةً لضرره على من تنقُلُ إليهم ذلك الكلام، فهو سِرٌّ من أسرار العذاب والألم الذي يُصيب النّاسَ وهم لا يعلمون والذي سيُرافق وجودَكَ وسيلحق بكيانِكَ إذا كنت لَمْ تعلم أو لم تلتزم بما تعلم، إذ إنَّ نقلَ الكلام كُلَّهُ ألم، وهو يُخفي خلفه ألوانًا من العذاب لا تراها، لكنَّك ستراها لو فعلته، وستكتوي بنيرانها لو اقترفته؛ إذ لا راحة مع الإيذاء ولا سعادة مع تبعيد المسافات بين الأشياء، وبعد

أن علمت كُلَّ هذا أيُّها الإنسان فإنَّك تستطيع أن تستفيدَ من قدرتك على نقل الكلام بين النّاس لإسعاد نفسِك وإراحةِ ضميرك، فأنت قادر على إخفاء عيوب الآخرين بنقلك وإظهار محاسنهم به، إذ إنَّكَ بمعرفتك بعض الأشياء التي لا يعرفُها سواك عن الآخرين ستكون أنت بمثابة الملك عليها والأمين على أسرارها معهم، فاكبح عندك رغبة إفشائها واحفظ لسانك من إطلاقها؛ لتكونَ من أسعدِ النّاس وأسكنِ النّاس، وما ذلك إلَّا بتغلُّبِكَ على لحظة إفشاء ما عرفتَهُ وكتمِكَ كُلِّيًّا ما أحطتَ بِهِ.

واعلم أنَّ تأثيرَ نقل الكلام يقع بين اثنين معيّنين وهذا واضحٌ، ويمكنُ أن يقع بين خبر معيَّن وبين من يؤثِّرُ فيه ذلك الخبر، فانتبه أيُّها الإنسان لما تنقله من أخبار بين النّاس، وتجنَّب قدر استطاعتك مُخيفات الأخبار ومُروِّعاتها، واحذر من نقلك للسّيِّئ منها؛ فإنَّك لو نقلتها إخافة لغيرك فإنَّك ستقع في خوفها أو خوف غيرها عاجلًا أم أجلًا، إذ إنَّكَ تتعامل مع كون منظّم ووجود دقيق، وإيَّاكَ أن تستهدفَ إنسانًا رفيعًا في قومه عظيمًا في مكانتِهِ بنقل كلام يسوؤه ويُحقِّرُهُ أو يُذِلُّهُ؛ لأنَّك ستتذوَّقُ ذلَّةَ كذلَّتِهِ، بل أشدَّ منها، وستُحتقَرُ احتقارًا كاحتقارِكَ إيَّاه، بل أقوى منه، فأنت بفعلك هذا قد أثبتَّ انعدامَ رشدِكَ وأكَّدتَ بقيامك هذا الشَّنيعَ من حماقتك.

إنفاق المال على العائلة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الإنفاق على عائلتك هو من أعظم الأعمال التي تفعلها في حياتك والتي تحفَظُ ذكرَكَ بينهم بعد مماتك، وأسوأُ شيء يفعله الرّجُلُ أنَّه لا يُنفق على عائلته ويُنفق على نفسه وعلى ملذّاته ومشتهياته حتّى يصيرَ إنفاقُهُ على ملذّاته سببًا لتضييعِهِ من يجب عليه أن ينفق عليهم، فيبتعدون عنه ويسقط في أعينهم ويصير وجوده مكروهًا بينهم ثقيلًا عليهم، وما ذلك إلّا بسبب تضييعه لهم بعدم الإنفاق عليهم والإنفاق على نفسه وملذّاته ومشتهياته.

فاحذر أيُّها الإنسان من خطواتك غير المدروسة في حياتك والتي تتطلَّبُ منك منع الإنفاق على عائلتك أو تقتيرَهُ إلى حدِّ إرباكهم واضطرابهم، كأن تُفكّر في السَّفرِ لغرض المتعة -الذي يستلزم إنفاقَ الأموال الكثيرة- أو أن تُفكِّرَ في الزّواج من فتاة شابَّة جميلة أعجبك منظرها واستهوت نفسَكَ ثقافتُها أو شَدَّكَ إليها عذوبةُ صوتِها، فتندفعَ بلا عقل منك ولا دراسةٍ، لتقترن بها راسمًا في حياتك معها أحلامًا خادعةً ووعودًا وهميَّةً بالعيش في جنّات عدن برفقتها تاركًا خلفك أطفالًا يحتاجون كُلَّ شيء منك، وجودَكَ، أموالَكَ، نظراتِكَ، نصائِحَكَ وإرشاداتِكَ، فانتبه لما تفعل بأموالك راشدًا ودقِّق في ما تُنفقُهُ مع عيالك جيّدًا، واعلم أنَّ كُلَّ نفقتِكَ عليهم ذاتُ أثرٍ كبيرٍ على ترابط أسرتك وتزويد المجتمع بأشخاص عقلاء

حكماء من ذرّيّتك، وما ذلك إلَّا بسبب إنفاقك عليهم بما يتّفق مع ما تتطلَّبُهُ حياتهم ويُشبعُ احتياجاتِهِمْ.

فإذا علمت هذا فاعلم أنَّ إنفاقك على عائلتك هو أوَّلُ ما يخلق التّوازنَ في حياتك، فلا تتوقَّع أن تتَّزِنَ حياتُكَ من دون أن تُتقِنَ أوَّلًا إنفاقَكَ على عائلتك أو قضاءَكَ وقتَكَ مع عيالك، وهذا الأمر لا ينتهي مع انتهاء حياتك، بل إنَّه سيتوسَّعُ حتّى بعد مماتك، فحاول قدر استطاعتك أن تترك لهم شيئًا يستقوون به على صعوبات الحياة بعد موتك بالمقدار الذي تستطيعه وبالحدِّ الذي تتمكَّنُ منهُ؛ حتَّى لا يُضطرُّوا إلى استعطاء النّاس بعد موتك، فلا يذكروكَ بخيرٍ أبدًا، وإنَّما يندبون حظَّهُمْ؛ لكونِكَ والِدهُمْ وكونِهِمْ صاروا أبناءَكَ وعائلتَك.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسان ما لنفقتك على عائلتك من آثار في حياتك ومن أثر على مجتمعك، فافهم أنَّ إنفاقَكَ الأموالَ على عائلتك لا يعني أنَّكَ تجعلُ لنفسك مُسوِّغًا لتضييع عمرك وتبديد طاقتك على جمع المال وكنزه بذريعة الإنفاق على عائلتك وضمان مستقبل أولادك؛ لتصيرَ بذلك محبًّا للمال جشعًا بخيلًا مقتِّرًا، فلا تأخُذُ النّاسُ من مالك شيئًا ولا ينتفع المحتاجون إليه منه بذرَّةٍ، فأنتَ -ما دمتَ صاحبَ أموال اكتسبتها بعملك أو اكتسبتَها ميراثًا من عائلتك أو اكتسبتها بصفقة حظٍّ حُزتها في غير حسابك- لا بُدَّ من أن تعتبرَ أنَّ ذلك المالَ ليس كُلَّهُ لك ولا لعائلتك، فاعلم هذا وافهمه جيّدًا، وإيَّاك أن تفهم خلافَ ذلك أبدًا أو تتَّخِذَ غيره منهجًا، فإن مالَكَ مقسَّمٌ إلى أقسام: قسمٌ تنفِقُهُ على ما يُديم حياة المساكين المحتاجين ويحفظ لهم كرامتهم ويُمسِكُ إراقةَ ماءِ وجوههم، فإنَّكَ

لو كنزت مالًا ويوجد من هو محتاج بشدّة إلى بعضِهِ فقد قتلت بفعلك هذا عقلَكَ وزعزعت مصدرَ مالِكَ وأهلكتَ بحرمانهم إيَّاهُ عائلتَكَ.

وقسمٌ تنفقه على تحرير النّاس من عبوديّة غيرهم وإذلالهم بحوائجهم كما يحصل الآن مع الأثرياء أو البنوك التي تُقْرِضُ النّاسَ الأموال؛ لتستعبدها وتُفنِيَ عمرها بتسديدِها، فأقرضهم المال ولا تأخذ منهم منفعة، واترك الحالة المستشرية في زمانك من إقراض المال مع نسبة للفائدة (فإنَّ هذا من ترقيعات الكفر)، فإنَّك بفعلك هذا تكون قد حَرَّرْتَ بعضَ المحتاجين للأموال من تلك البنوك الجشعة، وتحريرُكَ لهم يعني تحريرَكَ من كُلِّ شيءٍ سيِّئٍ قد يطالُكَ أو يطالُ عائلتَكَ، كما أنه يعطيكَ المجدَ والخلودَ لعشرات بل مئات السّنين.

وقسمٌ تُنفِقُهُ على عائلتك، وهو أفضل هذه الأقسام إنفاقًا وأهمُّها حصّةً؛ إذ ليس من الحكمة أن ترفع حاجة غيرك وعائلتُكَ محتاجة، وليس من التّدبير أن تحرِّرَ غيرَكَ وتتركَ عائلتَكَ مغلولةً، فأنت أولى بهم من غيرك، وهم أولى بك من غيرهم.

واعلم أنَّ الإيثارَ الذي ترغب في داخلك في فعلِهِ مع غيرك هو من أجمل الأشياء وأسمى الأفعال التي يمكن أن تُغْنِيَ خصالَكَ، ولكنَّ هذا مشروط بعدم التّضييق على أهلك والتّقتير على عائلتك من دون رضاهم أو موافقتهم. أمَّا مع موافقتهم ورضاهم بطيب نفوسهم واكتمال قناعاتهم فهو من أفضل الأعمال الأسريّة اتّجاه المجتمع، وهو من أجمل صور الإنفاق الجماعيّة اتّجاه المحتاج المنقطع.

وأمَّا إذا لم تكن تملكُ ما تستطيع بذلَهُ على عائلتك وكنتَ من الفقراء المحتاجين، فخفِّفْ فقرَهُمْ بأخلاقِكَ معهم وجمِّل حياتَهُمْ بانشراح صدرِكَ معهم وابتسامَتِكَ لهم، وتجاوز مَعَهُمْ صعابَ الحياة بحكمتك التي زوّدك بها فقرُ حالِكَ وكمالُ عقلِكَ الذي أعطاكَ إيَّاهُ دوامُ سكينتك واستقرارُ حالك، فهذا لَهُ أثرٌ كأثرِ إنفاق المال عليهم، بل هو أقوى من ذلك بكثير.

ذو الوجهين

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ تمتلك وجهًا واحدًا ومن جهة واحدة، فلا تغيّر طبيعتك ولا تبدِّل كينونتَكَ، فتجعلَ الوجه الواحد يصير وجهين وتستبدل النّظرة الواحدة بنظرتين، فإنَّك لو تحدَّثْتَ بحديث واحد فقط فقد حفظت وحدة وجهك وأكَّدت ثبات وجهتك، وأمَّا لو تحدَّثت بحديثين مختلفين وبطريقتين متغايرتين فقد غرست بذرة السّوء لنفسك وصرت أشَرَّ النّاسِ بقولك.

فإيَّاكَ أن تأتيَ إلى ناسٍ بوجه يتلاءم مع وجوههم ويتَّفِقَ مع طباعهم، فيضحكون معك ويقرِّبونك على أساس وجهك الذي أتيتهم به؛ لأنَّهم يجدونك منهم ولا تختلف عنهم؛ حتَّى إذا ما تركتهم وذهبت إلى غيرهم نزعت وجهك القديم ولبست وجهًا آخرَ يتّفق مع جديد أصحابك ويتجافى عن قديم طباعك، فإنَّك لو فعلت فقد سبَّبْتَ ضياعَ نفسك وقبَّحْتَ بفعلك محاسنَ وجهك، فإنَّ أوَّل ما يتغيَّرُ مع تغيُّرِ وجهك مع النّاس هو محاسِنُكَ، فالصّدق إذا كان ملازمًا لحسنِكَ وسكونِكَ وطمأنينتكَ فمَعَ ظهور تعدّد الوجوه منك ستُستبدل جميعُ محاسنك، ومع امتلاك الوجهين عندك سيقبح وجهُكَ وسيتعكَّرُ منظرُكَ، فصاحبُ الوجهين لا يُريحك منظرُهُ حتى لو امتلك جمالًا ظاهريًّا ولا يُريحُكَ مجلسُهُ حتَّى لو تألَّقَ حُسنًا، وما

ذلك إلَّا بسبب تعدُّدِ وجهِهِ وتبدُّلِ طباعه مع تنوعّات طباع النّاس واختلافات ألوانهم.

واعلم أنَّ تبدّلَ معالِمِ وجهِكَ بتبدُّل وجهِكَ ليس سوى البداية لخسارتك، وهو أولى علامات ضياعك، فأنت ستخسر ما هو أعظم منه وأكبر، إذ إنَّكَ ستخسر وجاهَتَكَ ومكانتكَ بين النّاس، فأنت ما دمت صاحبَ وجهين وتتكلَّمُ بلسانين، ستكون أقلَّ النّاس قدرًا وأضعفَهُمْ مكانةً وأثقلَهُمْ مجلسًا وأبعدَهُمْ من المجتمع تقييمًا وأقلَّهُمْ من الوجاهةِ قربًا واحترامًا.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك فاعلَمْ أنَّك ما دمْتَ ذا وجهين فلا تطمع أبدًا في أن يحمِّلَكَ الوجودُ أسرارَهُ ولا تتوقَّع أبدًا أنْ يُلْبِسَكَ العلمُ هيبتَهُ ووقارَهُ، فإنَّك بوجهك المتبدّل هذا قد خسرت أمانتَكَ وسبَّبْتَ إظهارَ خيانتك، فلا تنتظر أبدًا أن يأتمنَكَ أحدٌ على سِرِّهِ ولا تترقَّب أن يمنحَكَ أحدُهُمْ شيئًا من فوائِدِهِ، فهذا الأمر بعيدٌ عنكَ ولن يفعلَهُ معك عاقل رشيد، واعرف أيضًا أنَّك بتعدُّدِ وجهِكَ وتبدُّلِها مع اختلاف طباعك، فقد صار لسانُكَ لا يُطاق من شِدَّةِ قبحه ولا يُحتمَلُ من نتانة ألفاظه فلا يطيبُ مع ذي الوجهين حديثٌ أبدًا ولا يُستلَذُّ بمحاورته جليسًا، فكُلُّ كلمة تصدرُ منه فهي تفيضُ بانقباض النفس واعتصار الصّدر، وكُلُّ نصيحةٍ يقدِّمها أو فكرةٍ طيّبةٍ يحاول أن يتلفَّظَها فهي ستكون محفوفةً بألمٍ كألم الاكتواء بالنّار.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسان ما لتبدُّلِ وجهك وتلوُّنِ طباعك من آثار مروِّعة على شخصيّتك ومن تحطيم في المجتمع لمكانتك وكيانَك، فاعلم أنَّك محاط بالكثير من النّاس المتلوّنين، وبيئتك

تفيضُ بالمنافقين فلا يغرَّنَّكَ بعضُ كلمات المديح من هنا وهناك، ولا تسترخِ أمام الابتسامات والضّحكات أو الحرارة في إلقاء السّلام أو ردِّ التّحيَّة أو المبالغة بكلمات الاشتياق وتأنيق الألقاب، فكُلُّ هذا لا يعني شيئًا أبدًا.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ من صفات ذي الوجهين أنَّهُ متملِّق يبالغ في إطلاق كلماته ومديحه على من يريد منه التّزلُّفَ والتّقرُّبَ وعلى من يريد أن يتزلَّف إليه ويتقرَّب، ولكنَّك تجده بخيلًا في إطلاق تلك الكلمات إذا غاب أولئك النّاس واختفت عن ناظِرَيْهِ شخوصُهم، إذ إنَّ كلماتِهِ ليست حقيقيَّةً ومديحَهُ لهم في كنهه عباراتٌ وهميَّة، وهو لا يكتفي بإطلاق كلماته وحبسها، بل إنَّ تعدُّدَ وجوهه ينبت عندَهُ أقذرَ الصِّفات وأقبحها، فتجِدُهُ يكره الرِّجالَ الحقيقيين ويشمت بمصائب الخيّرين، إذ إنَّ تطبُّعَهُ على تغيير وجهه يجعلُهُ ينسى صفات نفسه، فهو منشغل بشدَّة بتجميل منظره أمام الناس، ومنشغل أكثرَ باقتناص رضاهم عنه، وبين هذا وذاك فقد ماتت نفسه واستفحل الشّرُّ في أعماقه وهو لا يدري، حتّى وصل الأمرُ إلى أن يكون من أشرِّ النّاس وهو لا يعلم، وما انعدام علمه إلَّا بسبب تعدُّد وجوهه، وما اندثار معرفته إلَّا بتغيّر وجهته، إذ إنَّ تعدُّدَ الوجوه يُعمي الإنسانَ عن عيوبه برضا النّاس عنه غالبًا ما دام وجهُهُ خاضعًا لما يريدون وطباعه منسجمة مع ما يتّفقون، فإذا ما عَمِيَ عن تلك العيوب بدأ علمه يموت ولن يتذوَّقَ طعمَ الحياة إلَّا بتفرُّدِ وجهه وثباتِ وجهتِهِ ولا ينفعُ بخلافهما شيءٌ أبدًا.

نفع النّاس

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّه ليس هنالك ما يفوق في قيمته العليا ودرجته الكبرى شعورٌ كشعورك بمسؤوليّتك اتّجاهَ الناس، وتسخيرِ حياتك لمنفعتهم، سواءٌ أكان أولئك النّاس أهلًا أم أقارب، جيرانًا أم أباعد، أصدقاء أم أعداء، خونةً أم أوفياء، فالنّفع لهم ثابت ما داموا محتاجين، وتسخير وقتك لهم غير ضائع ما داموا غير قاصرين، فلا إنسانَ يوصَفُ بالخير كالإنسان الذي ينفع النّاسَ ولا إنسانَ يمتازُ على غيره من النّاس إلّا بخدمته ونفعه لهم، فالتّمايز بين جميع النّاس ليس بألقابهم ولا بقوّة سلطانهم أو بريق مكانتهم، وإنّما التّمايز كُلُّ التّمايز بمقدار النّفع للنّاس وخدمتهم، فافهم أيُّها الإنسانُ ذلك جيّدًا ودَقِّق إدراكًا ووعيًا.

فإذا أدركت ذلك أيُّها الإنسان فانظر إلى نفسك الآن وراقبها، فهل فَعَلْتَ ذلك مع النّاس أم كُنْتَ لهم منافسًا ولقوّتهم محاربًا ولعملهم مقوِّضًا ولمكانتهم مُسقطًا لو وجدتهم منافسين لك؟ فإيّاك أيُّها الإنسان ألا تراقبَ نفسكَ في تعاملك مع المقرّبين منك وفي علاقاتك بإخوتِكَ، فاحذر أن تستغلَّهُمْ أو يغُرَّكَ سلبُ شيء من حيازتهم، كما يجب أن تحذر ممَّا يحصل في هذا الزّمن من ترك النّاس بعضهم بعضًا حتّى صاروا لا يُفرِّقون بين القريب والبعيد في الاستغلال والاكتساب، فإنَّكَ لو حاولت استغلالَ أخيك أو

صديقك أو زميلك أو أيّ إنسان آخر بربح يفوقُ حقَّكَ فقد بخستَهُ حقَّهُ وظلمت نفسك، كما أنَّكَ لا يحقُّ لك استغلالُ من هو بمثابة أخيك أو مَنْ ينظر لك على أنَّه كذلك معك، فإنَّ استغلالَهُ سَيُميت الخصال الحميدة عندك وسيذهب بأجمل الصّفات لديك، وما ذلك إلَّا بسبب استغلالِهِ أو محاولةِ اكتسابِكَ شيئًا كثيرًا منه، فإنَّ احترام الأخوّة يحفظ جميل الصّفات والتزوّدَ منها هو من أسمى الغايات.

واعلم أنَّ ما يفعله بعض من يدَّعي الأخوّة في ما بينهم هو من المضحكات المبكيات، فهم يتكلّمون بالمثاليّات حتّى إذا ما وصل الأمر إلى دفع المال زال كُلُّ شيء بلحظة، وحتّى إذا ما ظهرت قيمة لأحدهم عليهم اختفى كُلُّ شيء بومضة، فلا يبقى من الأُخوّة إلَّا لفظُها ولا من القُربى إلَّا هيكلُها، وعند هذه النقطة بالذّات سيكون الحديث عن نفع النّاس ومساعدتهم مع هؤلاء من المزحات الثّقيلة أو التّوهّمات الجميلة، فهؤلاء لا يتقبَّلون إلَّا استغلالَ الإخوان فكيف يتصرَّفونَ بالنسبة إلى غيرهم؟! وكيف تتوقَّعُ أن يصدر منهم للنّاس نفعٌ مع إساءتهم لأقربائهم؟! فإذا أدركت في حياتك أحدًا من هؤلاء المستأثرين المتسلّطين على أخوتهم، فابتعد عنه ما استطعت وأدر ظهرك له ما تمكَّنت، فأمثال هذا الإنسان لا يجلبون لك إلَّا التّعاسة.

واعْلَمْ أيُّها الإنسانَ أنَّ هنالك قانونًا يحكم المنفعة ويضبط علاقة المساعدة بين النّاس، فأنت بعدَما تنفع أحدًا ما فإنَّه سينفعك، وبعدَما تُقدِّمُ له يد المساعدة في زمن ضعفه فإنَّه سينفعك في زمن ضعفك، فهو يفعل ذلك طواعيةً، فمَنْ قابل إحسانك بالإساءة أو

قابل احترامك بالإهانة هو سينفعك بتزكية أخلاقك وسيقوّيك بإظهار قوّة انتصارك بسوء أخلاقه، فاستعن أيُّها الإنسان على نوائب دهرك بنفع النّاسِ، فإنَّكَ بعدما تنفَعُهُمْ ستشرق هنالك فضائلُ كثيرةٌ في أعماقك، وبركاتٌ طيِّبة ستظهر في صفاتك، وأهمُّ تلك الفضائل التي تُرافِقُ نفعَ النّاسِ فضيلةُ الصّبر والتّحمّل، فإنك إذا كنتَ قليلَ الصّبر سريعَ الجزع ضعيفَ التّحمّلِ ولا تعرف كيف تعالج كُلَّ هذه النّقائِصِ عندك، فأنا أدلُّكَ على أسرع الطّرق وأصوبها لك، ألا وهي منفعة النّاس، فانفعِ النّاسَ يزدادُ صبرُكَ وأعِنْهم على عجزِهِمْ يتجافى عنك عجزك.

فإذا علمت هذا فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّك يجب عليك أن تكون نافعًا وإيَّاك أن تكون منتفعًا، فلا تقترب من النّاس طمعًا بالانتفاع منهم ولا تجاملهم تحسّبًا منك لاحتمال نفعهم لك مستقبلًا، ولا تتملَّق لهم احتمالًا منك أن يرفعوا من شأنك بتقرُّبِكَ منهم؛ فإنَّكَ لو فعلتَ ذلك فهيَّئ نفسَك للذِّلَّة بأيديهم والخذلان بتخلّيهم، فلن تحصلَ على شيء ما دمت تنتظر منفعةَ النّاس وما دمتَ تترقَّب مساعدتَهُمْ، فاترك انتفاعك منهم احترامًا لنفسك وعاملهم على طبيعتك ومعاهدةً منك لصدقك، فإذا فعلت فاعلم أنَّهم لن يتخلَّوْا عنك وتأكَّدْ أنَّهم لن يُقَصِّرُوا معك، إذ إنَّ النّاسَ لا يُحبُّونَ من تملَّقَ لهم انتفاعًا ولا يرغبونَ في مَن تقرَّبَ إليهم تزلُّفًا، فإنَّ الحُبَّ كُلَّ الحبّ لكَ وحدَكَ لو نفعتَ النّاس ولم تنتفع منهم، بل لم تفكّر -ولو مجرد تفكير- في أن تنتفع منهم.

فإذا علمتَ كُلَّ هذا فما بقي سوى أن تعلم أن لا نافع للنّاسِ

كالحكماء، فهم أوسع النّاس نفعًا، فأنت إن جالسّت الحكيم انتفعت منه، وإن ماشيته انتفعت منه، وإن استشرته في أمرٍ ما انتفعت منه، وإن شاركته في عمل انتفعت منه؛ لأَنَّهُ كُلَّهُ منفعةٌ، بل هو منفعةٌ في منفعة.

النّصيحة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لن تستطيع أن تكون حكيمًا حتّى تكون قبل ذلك ناصحًا، فالحكمةُ كُلُّ الحكمة تبدأ من نصيحتِكَ غيرَكَ، فإذا كنت فقيرًا في المعرفة فانصح غيرك بما تعرفه أنت ولا يعرفه هو، فعندها ستتعلَّمُ ما لم تكن تعلمُهُ من الحكمة، وستنفتح في عقلك عينٌ على شيء من خفاياها لم تكن لتنالَهُ بقوّتك، كما أنَّك إذا كنت تدَّعي الحكمةَ ولم تكن ناصحًا فأنتَ تخدع نفسَكَ بادِّعائِكَ هذا، فلا بُدَّ من أن يكون الحكيم ناصحًا وإلَّا فإنَّه ليس حكيمًا، وإذا كنت حكيمًا حقيقةً لا ادِّعاءً وتركت النصيحة فقد وضعت أساس زوال حكمتِكَ وأنهيْتَ قوَّةَ تعليمِكَ، فالحكمةُ كُلُّها في النّصيحة ولادةً ونشوءًا وانبعاثًا ودوامًا، بل يمكن القول بأنَّ الحكمة هي وجهٌ آخرُ للنّصيحة، والنّصيحةَ هي وجهها الآخر، فأنتَ ما دمت ناصحًا غيرَك تكونُ حكيمًا، وما دمت حكيمًا في حياتك فلا بُدَّ من أن تكون ناصحًا غيرَكَ.

لكن اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ يجب ألَّا تخلط بين نصيحتك المؤدِّية إلى ولادة حكمتك وبين تهريجك الذي لا يقود سوى إلى تعظيم ذاتك، فالنّاس في النّصيحة أصناف: فصنفٌ ينصحُ حبًّا منه لذاتِهِ وتعظيمًا لاسمه وصفاته، فتجده يكشف عيوب غيره؛ ليُظهر عظمة ذاته بكشف تلك العيوب، إذ إنَّ المتكلِّم بشيءٍ يوحي للسّامع

أَنَّهُ متَّصِفٌ به متجاوزًا لمراتبه ودرجته، وهذا الأمر يُصاب به أعمُّ النّاصحين ولا يتخلَّص منه إلَّا العظماءُ المخلصون.

وصنفٌ ينصح تحقيرًا منه للمنصوح وتحجيمًا لمكانته وتجهيلًا لمعرفته، فتجده متربِّصًا لا يتكلَّمُ بشيء حتّى إذا ما رأى عيبًا عند أحد خصومه ومناوئيه انطلق لسانه مهلهلًا بتقديم أعظم النّصائح لأولئك الخصوم، موبِّخًا لهم بلسان العسل ومصغّرًا لهم بكشف دقائق العيوب بألفاظ الاحترام، فيتصرَّفُ أصحابُ هذا الصّنف بحذلقة وسذاجة في نصيحتهم، فتجدُهُ مثلًا يقدِّمُ نصائحَ لغويَّةً أو إملائيَّةً للمتكلّمين والخطباء وكأنَّه اكتشف ما عجز الفكر البشريّ عن اكتشافه وأمسكَ نجمًا بعيدًا بحبلٍ فَشِلَ غيرُهُ عن التقاطه، ويعرض هذا كُلَّهُ بصورة النّصيحة وهو نفسُهُ يزعمُ ويدَّعي أنَّه ناصحٌ، ويعتقد في داخله أَنَّهُ فوق الخطأ، وهذا كُلُّهُ يُثيرُ الضّحكَ والبكاءَ على أولئك النّاصحين المتورِّمين القساة؛ فهم يستغلّون أيَّ إخفاق أو سقوط نسيانيّ أو سهويّ لحدِّ السّكينِ وقطعِ عنقِ الضّحية التي لم يصدِّقوا أنَّها نسيت أو سهت، فاحذر أيُّها الإنسان أن تُعير اهتمامًا لهذا الصّنف بالذّات ولا أنصحُكَ إلَّا بتركه يضربُ أقدامَهُ بالأرض كالمحتضر المضطرب المهزوم أمام قوَّة العقل وتدفُّق الحكمة.

وصنفٌ يختلف عن كُلِّ الأصناف ويتباين في هُويَّته عن جميع تلك الأطياف، فهو ينصح؛ لأنَّه يجد أنَّ النّصيحة هي نتاج طبيعيّ لتدفّق الحكمة، وأنَّ الحكمة المتولّدة في الأعماق لا تستقرُّ إلَّا بالنّصيحة، وأهلُ النّصيحةِ أولئك تعرفهم أيُّها الإنسان من سلوكهم

وأفعالهم لا من نصائحهم، وكُلُّ واحد منهم يتحدَّثُ بما يجول في داخله وما يختلج في أعماقه.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّهُ ليس كُلُّ مُتكلِّمٍ بالعيوبِ يكونُ ناصحًا، وليس كُلُّ متحدّث بنقص في المجتمع سيكون مصلحًا، فإنَّ للنّفس البشريّة مع أصحابها صولاتٍ وجولاتٍ وكرًّا وفرًّا وانتصارًا وهزيمةً، ولمقاصدها أسرارًا ولأفعالها تأويلًا، وكُلّ هذا لا تراه النّاس ولا تعرفُهُ وكُلّ ما تراه هو تلقّي النّصائح، فافهم أيُّها الإنسان ذلك وتدبَّرْه جيّدًا، فإيَّاكَ أن تنصح بلسانك وغرائزك وإيَّاكَ أن توجِّهَ النّاسَ بأنانيَّتك واندفاعات نفسك، فلا تُكلِّمْهُمْ بتشفِّيك وتصفية حسابك، ولا تخاطبهم بانتقامك، بل انصحهم بحكمتك؛ ولكي تنصَحَهُمْ بحكمتك فعليك أن تنتظر جريانَ الحكمة منك، ولا تتخوَّف من احتمال عدم جريانها منك، فأنت ستكون مؤهَّلًا لتلك الحكمة بمقدار تجنُّبِكَ الخطأَ الذي قد وقع فيه غيرك، فإذا ما تجنَّبته ستجدُ نفسك ناصحًا ولغيرك معلِّمًا، لكن إيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تكون نظرتك للخطأ والصّواب مع الآخرين بما تشتهيه نفسك وبما ترغب به أنانيّتك، بل اجعل الخطأ والصّواب عندك بما تسالم عليه النّوع الإنسانيّ وتجاوَزَهُ بعقله الاتّفاقيّ، كما يجب عليكَ الحذرُ من أفكارك حين تقدِّمُ النّصيحةَ حتّى بعد جريان الحكمة منك؛ إذ إنَّ الأفكارَ السّيِّئةَ أقوى من الحكمة في تأثيرها وأعمقُ من نتائج النّصيحة في آثارها.

وإذا علمت ذلك أيُّها الإنسان فاعْلَمْ أنَّك إذا أردتَ أن تكون محبوبًا فانصح النّاس بحكمتك المتدفّقة ذاتيًّا من أعماقك، وإيَّاك

أن تنصحَهُمْ وأنتَ متصحِّرُ الحكمة في أعماقك فيتكلَّمَ بها لسانُكَ ويفتقدها عقلك وكيانك، فعندها ستكونُ من أكثرِ النّاس مبغوضيَّةً بين النّاس وأشدِّهم رفضًا منهم.

كما يجب عليك أن تعلَمَ أيُّها الإنسان بأنَّ نصيحتَكَ للنّاسِ ستجعلك قريبًا من الخير في هذا العالم، فالخيرُ لا يتفاعل مع شيء كتفاعله مع النّصيحة، ولا يُقرِّبُ أحدًا منه كتقريبه للنّاصح، فالخيرُ والنّصيحة وجودان متلازمان، فما ظهر الخير في مكان إلّا وكانت النّصيحةُ سابقةً له، وما سيطرت النّصيحة في مجتمع إلّا وكان الخير قد نبت في أبنائه وأينعت بين أهله ثماره، فاعرف أيُّها الإنسانُ ما لنصيحتك من تأثير على قوانين الشّرّ والخير في هذا العالَم، واعرف ما لنصيحتك من اختصار الطريق على حركتك كإنسان، وما لها من قوَّة في كشف زيف مدَّعي النّصيحة المستعبِدين للنّاس تحت سلطتهم والمسخِّرين لقوى الشّعوب بمرموقيّة مكانتهم.

النّصر

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لا تخلو في جميع حالات تعاملك مع غيرك من فرصة لترك النّصر أو فرصةٍ لتحقيقه دائمًا وفي كُلِّ الأحوال، فأنت منتصر برؤيتك لمظلوم منكسر، فمظلوميَّتُهُ هي فرصة متاحة أمامك لنصرته وتداركه فلا تتردَّدْ أبدًا في استحضار نصرته في عقلك واستشعارها في نفسك، وإذا كنتَ عاجزًا عن أدائها خارجًا فلا تتوقَّف عن دوام التّفكير فيها؛ لأنَّ استمرار التّفكير في هكذا أمور يُعدُّ نصرًا فلا تتركه أبدًا، وأنت كذلك منتصر بنصيحتِكَ المخطئَ منهم وتقديمك الاستشارة إليهم وتحسين وجهة نظرهم إلى الأشياء وتعليمهم شيئًا من خفايا نفوسهم، فإذا فعلت فقد نصرتهم ووقفت إلى جانب المخطئ منهم، فلا تعتقد أيُّها الإنسان أنَّك بموافقتك على مواقف الأصحاب والأصدقاء وتأييد الأهل والأحبّة والغضب لأجل الآباء والأبناء قد أحرزتَ نصرًا، فهو ليس كذلك حتمًا ولا لفلسفته متبنِّيًا، فبدّل نظرتك نحو النّصر ولا تكن أعمى فترى الخطأَ عند مقرّبيك فتعمى عيناك، وإذا سمعتَ عن قرب بظلم محبّيك غيرَهُمْ فلا تصُمَّ أُذُنيكَ، وما فعلك هذا إلَّا بسبب فهمك المنقوص لمفهوم النّصر ونظرتك الضّيّقة لبُعد الأفق وجبر المنكسر، فلا تكن أيُّها الإنسان كذلك وانصر من تُحِبُّهُ ومن ترغبُ بنصرته أو يروقُ لك رفعتُهُ أو ارتفاع مكانته بعقل جديد وفلسفة مختلفة من خلال

التصويب بعد الخطأ والتّذكير بعد النسيان والتّنبيه بعد الغفلة، ولا تكن مصفِّقًا لِكُلِّ ما يصدر من قادتك وأولياء نعمتك بعد بيان خطلهم وانكشاف الوضوح في خطئهم، فإنَّكَ لو صفّقت لهم فقد خذلتهم ولو أيَّدْتَهُمْ فقد قتلتَهُمْ.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ما حقيقة النّصر وتأمَّلْتَ عميقًا في معانيه، فاعلم أنَّ نوعَ الإنسان وثقافتَهُ ومكانتَهُ ومستوى تعليمه المدرسيّ والأكاديميّ وسعة ماله وكثرة ممتلكاته كُلَّ هذا ليس له علاقة وثيقة بتحقيق النّصر ولا يربطُهُ شيءٌ ببعض الأمور المرتبطة بما تنتصر له، فلا تربط بين نوع من ينتصر وبين الشّيء الذي يجبُ أن تنتصرَ له؛ لأنَّك يجب أن تعلم أيُّها الإنسان أنَّ النّصر هو أكبر من الإنسان نفسه، فهو يتحرَّكُ في النّفوس بمجرد حصول نقص في منطقة من مناطق الوجود أو بروز ظلم في النّفوس، فالنّصرُ هو موجود يتوسَّطُكَ أيُّها الإنسان ليظهرَ ويركبكَ عنوةً لينتشر، لكنَّ النّصرَ لا يُفَضِّلُ لأيِّ أحد أن يحمل اسمَهُ ولا يسمحُ لأيِّ كان بأن يمتطيَ جوادَهُ، إذ إنَّه لا يفضِّلُ نوعًا إنسانيًّا كتفضيله الضّعفاءَ والمساكين في تحقيق النّصر، فالضّعفاء هم يد النّصر الطّولى الحقيقيّة، وهي قوَّتُهُ الضّاربةُ الخفيّة، والضّعفاء يمثِّلون تجسيدًا لأسباب حركة النصر؛ لأنَّ النّصر إنَّما يتحرَّكُ بوجود النّقص والظّلم في الوجود، والضّعيف هو أشدُّ النّاسِ استشعارًا بهما وهو أقوى إغاثةً للنّاس عندَ حصولهما.

فإذا كُنْتَ أيُّها الإنسانُ ضعيفًا فاطمئنَّ فأنتَ ناصر للحقيقة المخفيَّة عن النّاس ومتدارِكٌ للنّقص غير الواضح في مجتمعهم، فضعفُكَ يزوِّدُكَ بعقلٍ خاصٍّ وطاقة خفيّة يمكن أن نسمِّيها (قُوَّة

الضّعف المستجلبة للنّصر)، أمّا إذا كنت قويًّا متمكّنًا مستطيعًا في الحياة فإنّكَ مهمٌّ للنّصر مادّة، لكنّك لستَ مهمًّا وجودًا وبقاءً، إذ إنَّ النّصرَ بيد الضّعفاء وقوّةَ وجودِهِ وبقائِهِ منحصرةٌ بالمساكين البؤساء، فهؤلاء هم من ينتصرون دائمًا وهُمْ من يصحّحون المسيرةَ من الأخطاء نهايةً، شريطة أن يقودَهُمْ حكيمٌ منهم يحمل ضعفَهُمْ ويكتوي بمظلوميّتهم ويتذوّق جشوبةَ عيشِهِمْ ويشربُ كدورةَ مياههم، فهذا هو من يصنع النّصر بالتّعاون مع الضّعفاء دون غيرهم، وأمّا مع عدم وجوده بينهم، فهؤلاء الضّعفاء سيكونون قُوّةً مشتّتةً تحت وطأة احتياجات الحياة، وتحت وطأة الجزع والتأوّه والمرض والكآبة وغيرها، فأنقِذِ الضّعفاءَ -يا أيُّها الإنسانُ- بتعليمهم الحكمة واستفد من قوّتهم الجبّارة بإيجاد حكيم بينهم يُحرِّكُهُمْ ويُفجِّرُ مكامنَ قدرتِهِمْ.

فإذا علمت هذا أيُّها الإنسان فقد حانَ الوقتُ لتعلم أنّكَ لن تنتصر أبدًا في أيِّ شيء حتّى تنتصر على حدود غايتك، وحتّى تتوسَّعَ ببُعد أفقك، وإنَّ النّصرَ يلازم في حقيقتِهِ قُوّةَ الغاية وبُعدَ الرّؤية وسعةَ الأفق، فالنّصرُ حليفٌ لكلِّ هذه الأمورِ النّفيسة وملازم لكُلِّ تلك المفاهيم الرفيعة، لكن إيّاكَ أيُّها الإنسان أن تجعلَ ما تريدُهُ ضيِّقًا منحصرًا كالنّصر الذي يتصوَّرُهُ بعضُ النّاس حين يتغلَّبُ على منافسٍ له في أيِّ مجال من مجالات الحياة، ويعتبر تغلُّبَهُ ذلك نصرًا ونيلَهُ منه هزيمةً، فهذا كُلُّهُ وهمٌ وخديعةٌ فاحذر منها، وما تحقُّقُ النّصرِ أيُّها الإنسان إلّا بالسّيطرة على إرادتك وما بقاؤه إلّا بتهذيب أحلامك وإطفائك غيظَ صدرك من خصومك ومنافسيك، فعندها لا تُخفِقُ أبدًا، ولا تبذلُ جهدَكَ في تحصيل نصرك حقيقةً إلّا بالوعي، فنصرُكَ

أيُّها الإنسان في عقلك وليس عندك طريقٌ آخر سوى عقلك، ولا تمتلكُ أداةً فعّالةً كأفكارك لاستجلاب نصرك، فنصرُكَ أيُّها الإنسان قريب، وهزيمتك بعيدة ما دمت مفكِّرًا وفي نفسك متأمِّلًا وعن محيطك مترفِّعًا وفي الوجود مستغرقًا ولضعفك موجدًا ولانكسار كبريائك مستحضرًا وفي أعماقك واثقًا، فعندها ستنتصر مطلقًا.

النّسيان

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ لعقلِكَ قوّةً لا نظير لها في أيِّ مكان في الوجود إلَّا جذورُها المستمدَّةُ منها، وهذه القوّةُ الجبَّارةُ للعقل مع تحقُّقِها هي متنوّعة ومتجسّدة بصور وكيفيّات مختلفة، فبعضها ذات طابع تأمّليّ وبعضها ذات طابع تحقيقيّ تعمّقيّ، وبعضها يفهم الأشياء من خلال المخطّطات الصّوريّة وبعضها يستشعر قُوَّةَ المكان، وبعضها يحاول صناعة حركة دقيقة من خلال انطلاقات أساسيّة أسماها البديهيّات الأوّليّة وهكذا، إلَّا أنَّه يبقى من بين كُلِّ تلك القوى العقليّة هنالك قوة متفرِّدة ذات حيّز خاصّ ومكانة مرموقة من بين جميع القوى المكنونة داخل العقل، تلك القوّة هي قوّة الحافظة (الذّاكرة)، فهي أهمُّ القوى العقليّة التي بضعفها الشديد أو فقدانها يموت الإنسان وجوديًّا وإن لم يمت جسديًّا؛ لأنَّه بفقدانها يعجز عن أداء أبسط الأشياء ويتوقّف عن القيام بكُلِّ الأعمال الجسديّة المُدركة ذات الغاية الواضحة فضلًا عن أداء الأعمال الفكريّة التّأمّليّة، فقوّة الحافظة هي أعظم قواك العقليّة، وهي أقوى أدواتِكَ الذّاتيّة التي يجب أن تُحافظَ عليها قدر إمكانك وبكُلِّ طاقتك وقوّتك.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان كيف تحفظُ قوّة ذاكرتِكَ وكيف تزيد من كفاءة حافظتِكَ؛ كي لا يُلازِمَكَ النّسيان ولا يرافِقَ فِكرَكَ الهذيانُ، وأولى طرق المحافظة على ذاكرتك هي السّكون النّفسيّ والطّمأنينة

الدّاخليّة، فكلما كنت أيُّها الإنسان ساكنًا نفسيًّا صارت ذاكرتُكَ أكثرَ كفاءةً وكانت قدرتُكَ على الاستذكار أقلّ رداءةً؛ إذ إنَّ أقوى أسباب ضعف ذاكرتك هو عدمُ استقرارك النّفسيّ وامتلاءُ داخلِك بصخب الأفكار والاضطراب الدّاخليّ، فاستقرَّ نفسيًّا تستقرَّ ذاكرتُكَ وتنشط حافظتُكَ، ثُمَّ اعلم بأنَّ لطعامك تأثيرًا على ذاكرتك، فكُلَّما كان الطعام عضويًّا وطبيعيًّا بعيدًا عن الإضافاتِ الكيميائيّة الخطرة غير المعلنة المؤدِّية إلى تحطيم البيئة الدّاخليّة لفسلجة الأعضاء الدّاخليّة للجسم صارت ذاكرتُكَ حينئذٍ أنشطَ وأقوى، إذ إنَّ زيادة كفاءة أنسجة تلك الأعضاء الدّاخليّة تزيد من ضمان وصول المواد النّافعة إلى مكان الذّاكرة البايلوجيّ، وبالتالي زيادة كفاءتها وقدرتها على العمل.

ثُمَّ اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ ذاكرتَكَ متوقِّفَةٌ على أسلوب استقبالك للمعلومات، الـذي بـدوره يعتمد على مقدار اهتمامك بنوع المعلومات التي تريد أن تحتفظَ بها، إذ إنَّ زيادة الاهتمام يعني زيادةَ قوَّةِ ذاكرتِكَ، فهل تستطيع أيُّها الإنسان أن تنسى الأشياءَ المهمَّةَ في حياتك كاسمك أو أسماء أولادك أو أحبّائك أو أيّ شيء آخر له أهمِّيّة عظمى في حياتك؟! فإذا كنت لا تنساه بل يستحيل عليك نسيانه فكذلك الأمر مع المعلومات التي تُعيرها نفسَ الدّرجة من الأهمِّيّة أو المقارِبَةَ لها، ثُمَّ إنَّك يجب أن تُحسن أساليب تلقّيك المعلومات من حيث زيادة قوّة الانتباه وتطوير القدرة على تحمّل التّكرار، بالإضافة إلى أساليب أخرى متعلّقة بطبيعة الحياة وعدد ساعات النّوم وغيرها.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسان كُلَّ هذا فيجب أن تعلمَ أنَّك مسؤولٌ عن كفاءة ذاكرتِكَ وقوَّة حافظتِكَ كما أنَّكَ مسؤول عن الحِفاظ على حياتك، فلا يصحُّ لك أن تهملَ ما يحفظُ قوَّتَها أو تفعلَ ما يؤدِّي إلى ضعفها؛ لأنَّك بفعلك هذا تكون قد عرَّضتَ شخصكَ للضّعف القسريّ والهوان الاجتماعيّ، وحرمت نفسك من تألُّق الإبداع الاختياريّ، فذاكرتَكَ ثُمَّ ذاكرتَكَ ثُمَّ باقيَ أجزاء بدنك.

فإذا استطعت أيُّها الإنسان أن تسيطرَ على ذاكرتك وتزيدَ من نشاطها فقد حفظت كرامتك واختصرت طريقَكَ عليك لبناء مستقبلك.

وأمَّا إذا أُصِبْتَ بضعف في الذّاكرة (النّسيان) أو فقدانها وعجز طبُّ اليوم عن علاجك -كما هي عادته- فقد صِرْتَ عندها عاجزًا وفي قدرتِكَ على الاستذكار قاصرًا، وستكون كالإنسان المكره على فعل بعض الأشياء مضطرًّا إلى ارتكاب غير ما تريد، وهذه المرحلة بالذّات تجعلك أيُّها الإنسان معذورًا في العديد من الأفعال، ولا يمكن أن تُساوِيَ غيركَ من سليمي الذّاكرة ونشيطي الحافظة، فيجب أن تختلفَ عنهم في كُلِّ ما تتطلَّبهُ الحياة، فالنّاس بمثابة الشّخص الذي فقد وعيه بمرض أو نوم، وأنتَ تعلم أنَّ المريض والنائم لا يُعامَلُ معاملةَ الصّحيح والمستيقظ.

فافهم أيُّها الإنسان ذلك، واعلَمْ بأنَّك بعد أيِّ حالة نسيان ستكون شخصيَّتُكَ في لحظة النّسيان غيرَها وستكون أدواتُكَ مختلفةً عنها، وعليك حينها أن تُسقِطَ عن نفسك الكثيرَ من الأمور بعد إدراكك ضعفَ ذاكرتِكَ وتضاؤل كفاءة حافظتك، فلا تُعامِلْ نفسك بعد

انتباهك لنسيانك إلَّا على أنَّك كنت شخصًا آخر فحرِّرْهُ من كُلِّ ما تمليه على نفسك -ويجب أن تُعامِلَ النّاس بطريقة مختلفة تمامًا- فجرِّدهُ عن الوجود في لحظة النسيان وأبعده عن كُلِّ قانون في لحظة التخيّل، فالوجود قد تعامل مع نسيانك ونسيان غيرك بوجه جديد مختلف بعد النسيان، فإيَّاكَ أن تجعلَ لَهُ وجهًا واحدًا مورِدَي الانتباه والنسيان؛ لأنَّكَ لو فعلت ذلك ستكون قد وقفت بوجه حركته العظيمة وعرقلت مسيرته المستقيمة، إذ إنَّ لذاكرتك علاقةً خاصّةً بالوجود، فكلاهما مؤتَمَنُ أسرارِ الآخر، فإذا خان أحدهما صاحبه ولم يُراعِ موقفه، فعندها وقع شرخٌ كبيرٌ بين الوجود وبين العقل لن يُرتقَ بسهولة.

النّدم

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّكَ لن تندمَ على شيء كندمك على وقتك، الذي أفنيته لأجل غيرك ثُمَّ لم تحصل على رجائك منه بعد تضحيتك، وأشدُّ من ذلك ندمُكَ لو لم تكتفِ بإضاعة وقتك في سبيله فحسب، بل ارتكبتَ الأخطاء وخالفت القضايا الصّحيحةَ لأجله، ثُمَّ تنكّرَ لك ولم يُعر لِكُلِّ ما قدّمتَهُ في سبيله أثرًا ولا قيمةً، فلا يوجد ندم تتلقّاه في حياتك كهذا النّدم ولا حسرة تتجرَّعُ مرارتَها كهذا الفعل، فإيَّاكَ أن تكونَ من أحدِ الصّنفين، حيث تبذلُ وقتكَ لغيرِكَ آملًا شيئًا منه ومترقِّبًا حيازةَ ما تريدُ من خيره، فإذا به يخذلك اضطرارًا بموته مثلًا فتبقى بعد موته نادمًا منكسرًا بشدّة بحيث لا تحتملُ صدمةَ فراقِهِ ولا حزنَ ابتعادِهِ أو يخذلُكَ اختيارًا بتنكُّرِهِ لك ونسيانه كُلَّ ما قدَّمتَهُ لأجله، ولا تكن من الصّنف الثّاني الذي ينسى فضل غيره عليه وهو ما يجعلُهُ نادمًا على ما فعله لك، بل إنَّكَ ستقوّض بفعلك هذا المعروف بين النّاس وستمنع انتشار الخير بينهم.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك فاحذر من التّسويف بأملك والتمتُّعِ بغدِكَ، فأنت تعيش في يومك دون غيره من سابق الأيّام، ولا أنت في قادمه كذلك، فكن في غدك كما أنت في يومك، فإن كان غدُكَ لك فقد كسبت غَدَكَ ويومَكَ وإن لم يكن لك، فلن تندمَ على يومك إذا ما فَرَّطْتَ في غَدِك.

واعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ طبيعتك كإنسان توجب عليك أن تكون نادمًا دائمًا وأبدًا ومتحسِّرًا ما بقيت حيًّا وإن حصلْتَ على كُلِّ ما تريد، إذ إنَّ ندمك إنَّما ينشأ من أمرين:

الأوّل: طبيعتك النّاقصة القاصرة الفاقدة للحكمة من جهة.

والثّاني : تفكيرك الشّديد في المستقبل من جهةٍ أخرى، وهذان الأمران هما المولِّدان للنّدم والمسبِّبان للسقم، فأنت أيُّها الإنسان نادم، وفي كلِّ أحوالك نادم، إن عشت في هذه الحياة فأنتَ نادم، وإن ادركت أنك ستفارقها فأنتَ نادم، وما سببُ ندمك إلَّا بسبب طبيعتك الخاصّة، فأنت إذا كنت نافعًا للناس ستكون نادمًا؛ لأنَّك لن تستطيع نفع الجميع وسترى أنَّكَ قدَّمت لَهُمُ القليل القليل، إذ إنَّ نفع الجميع فوق طاقتك وأكبر من قدرتك، وإذا كنت غير نافعٍ في بعض حياتك أو غير نافعٍ في طولها وعرضها، فأنتَ ستندم أيضًا؛ لأنَّك أضعت بعض السّنين أو كُلَّها بغير منفعةٍ لغيرك، فكن مستعدًّا أيُّها الإنسان إلى يوم من حياتك ستندم فيه لا محالةَ شئت أم أبيت، فإن كنت مستقيمًا في حياتك ستندم على تقصيركَ سابقًا وإن كنت خلاف ذلك ستندم أيضًا.

فإذا علمت أيُّها الإنسانُ ذلك فاحذر من الآن من إدخالِ نفسِكَ في أشياءَ ستندمُ عليها مستقبلًا، فاحذر من اضطراب خُلُقِكَ مع النّاس، وهو ما سيُذيقُكَ ندامةً مريرةً فيما لو تحرَّرْتَ من قبضته عليك، فإنَّ كُلَّ خُلُقٍ مضطرب مع النّاس سيولِّدُ ندامةً مريرة في داخلك، وليس الجميع يشعر بتلك المرارة، فلا يشعر بها بالدّقَّة إلَّا عظماءُ الأخلاق وحكماءُ العقول وأسيادُها؛ لأنَّها بالدّقَّة لا يُطيقها أيُّ أحد، واحذر

من الطّاعة العمياء لأشخاص في حياتك وقادةٍ في طريقك؛ لأنَّك إن أدركْتَ يومًا أنَّهم لم يستحقوا وضعَهُمْ بتلك المكانة العظيمة في داخلك، ستتقطَّعُ من شدَّةِ الندم؛ لأنَّك أطعتَهُمْ واستجبتَ لهم وضيَّعْتَ على نفسك الكثيرَ بتلكَ الطّاعةِ العمياء، فلا تتعجَّل في الانبهار بأيٍّ كان ولا تتأثَّر بأدنى كلمة يُطلِقُها لسانه، بل توقَّف وانظر بعيدًا وعاشر من تريدُ طاعتَهُ سنينَ قبل أن تتَّخِذَ ذلك القرارَ الأهمَّ في حياتك.

وبعد أن علمتَ ما يوجب ندامتَكَ أيُّها الإنسانُ فاعلم أنَّ النّدمَ الذي يقع في داخلك هو من أجمل الهدايا التي يقدِّمها الوجود لك بعد إهمالك، وألطفُ كلمة قد تسمعها في خيالك؛ لأنَّك إذا ندمت على أفعالك السّابقة فقد صفَّيْتَ عقلك من مشكلات الأفكار السّابقة وثقلها عليك، ونظّفت أعماقك من عبء الأفعال السّابقة التي أرهقتك فترةً طويلةً من حياتك بسبب ما جنتهُ يداكَ، فإنَّ قوَّةَ النّدم هي أعظم القوى التي وُجِـدَتْ مع الإنسان والتي وجدت لمساعدتِهِ وإعانتِهِ على أفكاره وأفعاله، فإنَّ ندامتَكَ مؤثِّرةٌ في وجودك الذي يحيط بك، إذ إنَّها بمجرَّدِ وجودها ستفعلُ ما يعجز عن فعله الكثيرون، فاستفد من ندمك، فإنَّه إنقاذ لك، لكن انتبه أيُّها الإنسان إلى أنَّ قوة ندامتك لا تسوِّغُ لك أن تفعلَ ما يؤدِّي إليها أو يقودك في نهاية المطاف إلى أن تشربَ من حياضها، فأنت قبلَ ندمك يُطلَبُ منك أن تتركَ كُلَّ شيء يقودك إليها؛ لأنَّ الاستقامةَ على الطّريق أسرع في الوصول من تصحيح جهة الطّريق بعد فترة من قطع مسافات طويلة منه ، فعليك بترك أفكارك المؤدّية إلى ندمك كترك التّفكير بالشّرّ، فإنَّ التّفكير بالشّرّ سيقودك إلى النّدم لا محالةَ وتركِ

التّنافسِ وتركِ تصفية الحساباتِ وتركِ التّفكير الزّائد في المستقبل، وعليك بترك أفعالك المؤدّية إليها كاللّجاجة والمجادلة والحديث الزّائف والتّهريج والتّشهير وغيرها من الأفعال التي ستنتهي بالنّدم أكيدًا، وكذلك عليك أن تعلم بأنَّه لا شيءَ يُقلِّلُ من وقوعك في النّدم مستقبلًا كاستشارة الحكماء، فإنَّ مشاورتهم ستُبْعِدُكَ عن النّدامة وستُقلِّلُ وجودَ النّدم في حياتك كثيرًا إذا لم يكن موجودًا بالمرّة، فلا تتردَّد في الاستشارة ولا تبخل على نفسك بالنّصيحة من الحكماء وافعل ذلك بتواضع منك، فإذا فعلت ذلك فلن تندمَ بعد فعلك هذا أبدًا.

المنَّة

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ بأنَّكَ لا تتوقَّعُ أن يبسطَ الوجودُ ذراعيه لكَ خدمةً وأنْ لا يسخِّرَ قوانينَهُ لك غايةً ما دمت منّانًا بفعلك ومذكِّرًا للمحتاج بفضلك، فاعلم ذلك أيُّها الإنسان وتذكَّرهُ جيّدًا، فمنَّتُكَ هي سبب لجفاء الوجود عنك، وتذكيرُكَ غيرَكَ بإحسانِكَ إليه هو سبب لاقتراب العدم منك؛ إذ لا شيء يسبّب كُدْرَةِ الوجود كنفسٍ متفضّلةٍ بإحسانها ومذكِّرةٍ للآخَرِ بحجم امتنانها.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ المنَّة -حينَ تولَدُ في داخلك- تكونُ دائمًا مسبوقةً بأفعال وملحوقة بغيرها، فالمنَّة لا تكونُ إلَّا في نفوس نسيت الفضل والإحسان الذي قدَّمَهُ غيرُها لها، وتجاهلت كُلَّ من كان سببًا لتكوينها ونشوئِها، فالنّفوس المنّانة لا تعرفُ قيمةَ الإحسان، ولا يوجد عندها مع غيرها مفردةُ الشّكر وقيمةُ الامتنان، وهذا الأمر مع تلك النفوس متحقِّقٌ في البعيد والقريب والصّغير والكبير.

فاحذر أيُّها الإنسان من نسيان إحسان غيرك إليك وتفضُّلِ غيرِكَ عليك، فأنت ما دمت ناسيًا للفضل ستُذكِّرُ به غيرَكَ لاحقًا وستُرْهِقُهُم به طغيانًا، وما دمتَ متجاهلًا إحسان غيرك إليك، فستكون -لا محالة- منّانًا، وإذا كان نسيان إحسان غيرك إليك يجعلُكَ منَّانًا فتستطيع أيُّها الإنسان أن تعرف ما لكونِ عقوقك لوالديك من سبب

عظيم لنشوء تفضُّلِكَ على النّاس، وولادة منّتك عليهم، فأنت ما دمتَ منكرًا إحسان والدَيك لك وناسيًا ما قدّماهُ من عظيم الفضل عليك، فلن تكونَ مع النّاس إلّا بالتفضُّلِ شاعرًا ولا بأفعالِكَ معهم إلّا منانًا، فأنت بفعلك الشّنيع مع والديك ستكون جاهلًا قيمةَ الإحسان العظيم إليك، فكيف ستُصغِّرُهُ في عقلك وتُحجِّمُهُ في تفكيرك مع الآخرين؟! إذ إنَّ نفسك غيرُ مستشعرة به إذا صدر منك وغير متأثّرة بوجوده إلّا إذا صدر منك اتّجاه غيرك.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ما لمنّتك من إساءة إلى عالمك، وما هي مناشئ ولادتها في نفسك فاعلم أنَّ منّتَكَ على غيرك لم تكتفِ بتشويه نفسك وتضييق أفقك، بل ستتوسَّعُ لتغيير حدود تفكيرك وستؤدي إلى جهلك بما يؤول إليه مصيرك، فإنكارك إحسانَ من أحسن إليك سيُميت فلسفتَكَ، ومنّتُكَ على غيركَ ستقضي على ما بقي من معرفتك، فأنت لا تعلَمُ أيُّها الإنسان بأنَّك حين تمنُّ على غيرك ستضطرب في عقلك خارطةُ رؤيتك لحركة الأشياء وسيضيقُ أفقُكَ بما تؤدِّي إليه الأمور في جميع الأنحاء؛ لأنَّ منّتَكَ تؤدِّي إلى تهييج تفكيرك وشدَّةِ تعظيمِكَ نفسَكَ، وبالتالي إلى نسيانك موقعَكَ الحقيقيَّ وتضييعك خطواتِ حركتك الفعّالة.

فاحذر أيُّها الإنسان من المنَّة وباعد نفسك عنها ما استطعت، وقيِّد لسانَكَ، فلا يتفوَّهْ بأيِّ كلام، فلا يُصْدِرْ ولو كلمةً واحدةً أو إشارةً أو إيماءةَ رأس أو أيَّ شيء آخر يوحي بمنّتك على غيرك وعظيم إحسانك إليه، فاجعل نفسك مهيَّئةً لذلك، ودرِّبها باستمرار على فعله وجنِّبْ نفسَكَ الأعمالَ والمهنَ التي تقودك إلى أن تكون

منّانًا، كالمهن المفرطة والمرهقة لعقلك وتفكيرك، وكلُّ همِّكَ منها هو جمعُ الثّروة وتلبية نداء الطمع في داخلك، فهذه الأعمال ستُنسيك نفسَكَ وستفسِدُ طباعَكَ وستُميت عقلَكَ وستقودُك إلى البحث عن إرضاء ذاتك من خلال التّفضّل على النّاس بأموالك ثُمَّ المنَّة عليهم بما تفضَّلت عليهم به، فتجنّب الأعمال التي تصنع المنَّةَ في داخلك؛ إذ إنَّك لن تتخلَّص من المنَّة ما دمت محكومًا بتلك الأعمال وذائبًا بأداء تلك الأفعال، كمهنة التاجر الذي لا يشبع من المال بتجارته، فلا يعرف ليلًا أو نهارًا ولا صبحًا ولا مساءً في سبيل جمع الأموال الطائلة، والمدرِّس الذي يستعمل علمه لكسب المال الطّائل من الطّلبة بغضِّ النّظر عن مستوياتهم المعاشيّة، والطّبيب الذي تتضاعف ثروتُهُ بزيادة عدد مرضاه بغضِّ النّظر عن وضعهم الذي يُرثى له، ورجلِ الدّين الذي يتلقّى أموالًا طائلةً من كلمات بسيطة أحيانًا لا قيمةَ لها يُلقيها في مجلس وعظ، والأستاذِ الجامعيّ الذي يتلقّى أموالًا على كُلِّ مؤتمر يعقده أو استشارة علميّة يقدِّمها أو محاضرة يُلقيها لا أكثر، والمهندس الذي يُفني عمره في الأعمال الهندسيّة والمشاريع (غير المتقنة غالبًا) لكسب الأموال... وكغيرِهم، وكُلُّ هؤلاء سينسون أنفسهم لو لم يتوقّفوا وسيقودهم جشعُهُمْ للبحث عن ذاتهم التي أضاعوها حين سيطرت عليهم مهنتُهُمْ ثُمَّ لا يستطيعون أن يجدوا تلك الذّاتَ إلَّا بالتفضّل على النّاس وانتظار كلمات المديح منهم والشّكر والتّعظيم لهم، وإذا ما بخل (المتفضَّلُ عليه) بها عليهم فعندها يُسمعونه ويُذكّرونه بما تفضّلوا به عليه سابقًا، وهذه هي المنَّة بعينها.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان بما لمهنتك من سِرٍّ خفيّ في صناعة منّتك،

إذ إنَّ كُلَّ مهنةٍ أنستك نفسَكَ وجعلتكَ عبدًا للمال ستخلقُ عندَكَ مستقبلًا صفةَ التّفضّل على الآخرين والتّمنّن عليهم بما قدَّمتَهُ لهم، فكن صبورًا قنوعًا شجاعًا، عندها تتمكَّنُ من اختيارِ مهنتك بدقَّة وتستطيعُ بعد اختيارك لها ألَّا تجعلَها تُسيطرُ عليك فتُنسيك نفسَكَ لتبدأ بالبحث عنها (أي نفسك) من خلال كلمات النّاس ومواقفهم معك، وتتوسَّلَ بتفضُّلِكَ عليهم لتحقيق غايتك وتتوسَّطَ بمنَّتِكَ عليهم للوصول إلى مآربك، وعندها لن ينفعَكَ أيُّ عمل بعدَ تفضُّلِكَ ومَنِّكَ، ولن تقوم في الوجود قائمتُكَ بعد إظهار منَّتك... فاحذر... احذر... ففي ذلك هلاكُك.

الحديث

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّكَ مهما أوتيت من مكانة، ومهما تعزَّزْتَ بقدرة علميّة عالِية أو حيازة ماليّة كبيرة فلن يعكس صورتَكَ عند النّاس غيرُ حديثك، ولن يرسم انطباعًا عنك في مخيّلَتِهِمْ إلَّا أدبُ كلامك، فإيَّاكَ أن تتَّكِئَ على ما نلته في حياتك من مكانة مرموقة أو حقَّقْتَهُ خلال سِنيِّ عمرِكَ من إنجازات غير مسبوقة لتسوِّغَ لنفسك أن تتحدَّثَ بما تريدُ أن تتحدَّثَ به، وتُطلِقَ لنفسك العِنان في أن تتصرَّفَ مع النّاس بما يتَّفق مع رغباتك المكنونة في أعماقك.

وبعد أن سمعت هذا فاعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّكَ يجب أن تكون أقلَّ من أن تسمحَ لنفسك أن تقطعَ حديثًا بين اثنين يتحدَّثان على انفراد ويتناجيان بهمس (من دونِكَ)، فتأتيَ أنت لتتدخَّلَ بينهما؛ لأنَّك قد انزعجت من تركك وحيدًا أو تثاقلت من اجتماعهما على اشتراكهما بالحديث وعزلِكَ فريدًا، فإيَّاك أن تفعل ذلك، فإنَّ دخولك بينهما وهما يتحدّثان فيه إساءةٌ لك وتصغيرٌ لمكانتك بينهما ومسوِّغٌ لتقليل شأنِكَ عندهما، فالتزم الصّبر واسكت حتّى يُشركاك إذا أرادا ذلك، ولا تُبْدِ انزعاجَكَ منهما إذا لم يُريداهُ واشغل تفكيرك بأمور أخرى، فأنت بمعزلٍ عنهما تمتلك عقلك، وفي عزلتك عنهما تُسيطرُ على تفكيرك، فتحدَّث مع نفسكَ بعمق، عندها ستنسى عزلَهُمُ إيَّاكَ، وتأمَّل في عوالِمِ عقلك تصبر على تستُّرِهِمْ عنك.

وأمَّا إذا كان الأمر معكوسًا وكُنْتَ أنتَ أيُّها الإنسان واحدًا من هؤلاء المتحدّثين وأنتَ أحدَ المنفردين، وكان هناك ثالث بينكما، فاقطع حديثَكَ مع مَنْ تتحدَّثُ إليه احترامًا له؛ لكونِهِ منفردًا وأشرِكْهُ بأيِّ طريقة في حديثكما إذا رأيته وحيدًا، فإنَّ فعلك هذا يزيدُ مكانتَكَ عند الجميع ويُعظِّمُ وجودَكَ بينهم.

وأمَّا إذا كنت متحدِّثًا وغيرك يستمع إليك فاحذر من استيلائك على أطراف الحديث برمَّته، فاستيلاؤكَ عليه سيُسقطك من عينِ غيرِكَ وسيُثقلُ ظِلَّكَ عليهم وسيُكثر أخطاءَكَ بكلامك الملقى لهم، وعندها ستتألَّمُ بعد إتمامِكَ إيَّاهُ، وستندم بعد انتهائك منه، وإيَّاكَ أن تُسهب في الكلام وتنسى نفسك، فَيَحسُنُ ويَرُوقُ عندك جميعُ كلامِكَ وتُكثِرُ من ذكر القصص والشواهد دعمًا لآرائك، فإنَّك عندها ستكون ذا خسارة كبيرة، فأنت بفعلك هذا ستتكلَّمُ بإمتاع نفسك وجلب الأنظار إليك وإخراج ما عندك من معلومات بلا موضوعيَّة ولا حاجة ماسة لذكر تلك المعلومات، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فأنت ستخسر فرصةَ استماعِكَ لغيرك الذي منعته بإسهابك من أن يبادِلَكَ الحديث، فكن أيُّها الإنسان مستمعًا أكثرَ من كونك مُسمِعًا، فإنَّكَ باستماعك لغيرك تكون قد ربحت أمورًا من مجالسّتك إيَّاهم لن تنالَها بسهولة ولن تحوزَها بيسر، فأنت بسكوتك واستماعك ستربحُ صحَّتَك، إذ إنَّ صحَّتَكَ أقرب إلى سكوتك من كثرة كلامك (لأنَّ كثرتَهُ تضربُ صوابَ التّفكير عندك) وأنت ستربحُ صفاءَ عقلك؛ إذ أنت بسكوتك أو قليلِ كلامِكَ ستجعل فكرَكَ أقلَّ اضطرابًا وعقلَكَ أكثرَ استقرارًا، وستربح أيضًا

زيادةَ معلوماتك، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فأنت ستُكثر من حكمتك، فمعلوماتُكَ ستزيد لو جالسْت من هو أعلى منك علمًا وأغزرُ ثقافةً.

وأمَّا حكمتك فتزيدُ لو جالست من هو أدنى منك عِلمًا أو هو أقربُ إلى سوءِ الأخلاق من حُسنِها في تعاملهم معك، فالحكمةُ تزيد بتعليم الجاهلين وتتفجَّرُ بالصّبر على مجالسّة ضعيفي الأخلاق أو إفهام الغافلين الضّائعين.

واعلم أيضًا أيُّها الإنسان بأنَّك مسؤول في حديثك عن جميع أجزاء بدنك، فكُلُّ شيء فيك يجب أن يكون تحت سيطرتِكَ، نظراتُكَ وحركاتُ رأسِكَ وحركةُ يديك وجلستُكَ وكُلُّ شيءٍ آخرَ، فهو يجبُ أن يكونَ مُتْقنًا، ولكيْ يكونَ متقنًا فعليك بأمرين:

الأوَّل: التّصرّف على طبيعتك تمامًا بلا تكلّفات أو إضافات أو تقليد للشّخصيات التي تأثّرت بها، فهذا يُظهرك كإنسان يتّكئ على غيره في الأخذ ولا يمتلك شيئًا يخصُّهُ، وهذا الموقف لن تُحسَدَ عليه.

وأمَّا الأمر الثّاني: ضرورةُ التّحدُّث بعقل ساكن هادئ، وهذا العقلُ لَنْ يتحقَّقَ عندك حتّى تكونَ المعرفةُ أحبَّ إليك من غيرها مطلقًا، لا حُبَّ نفسك ولا حُبَّ مدحك ولا حُبَّ ظهورك ولا حُبَّ الاستماع إليك ولا حُبَّ مدح ثقافتك، فإنَّ كُلَّ هذه الرّغبات الدّاخليّة ستدخلك أيُّها الإنسان بشخصيّة مصطنعة غير جذّابة إن لم نقل بأنَّها شخصيّة مضحكة ومثيرة للشّفقة.

وإذا علمت كُلَّ هذا أيُّها الإنسان فعليك أن تعلمَ بأنَّ الحديث

مع الآخرين لن يكون مؤثّرًا فيهم حتّى تصل إلى مرحلة التّحكّم بأفكارك التي تعرضُها أمامهم، وحتّى تصل إلى مرحلة سيطرتك على مقاصدك أثناء حديثِكَ إليهم، فبدّل طريقة تفكيرك في الحديث، سواءٌ كنتَ محاضرًا أو خطيبًا أو معلِّمًا أو مُنظِّرًا أو مرشدًا أو أستاذًا ومعلِّمًا أو رفيقًا لمجموعة أو رفيقَ سفر أو مربّيًا لعائلتك أو مربّيًا لمن يثقون بك، فكلامك ليس بنبرته ولا بترقيقه ولا بأنوثته أو رجولته أو نعومته أو خشونته، بل إنَّ كلامَكَ كُلَّ كلامِكَ ينحصر بين عقلك ومقاصدك، فتحكَّم بعقلك عندها سيدبُّ السّحرُ في حديثك، ويسيطرُ على مقاصدِكَ، عندها سيُهيمن على العقول كلامُكَ.

وأوصيك بالابتعاد عن البريق والأضواء ما أمكنك ذلك، فكلّما ابتعدت صار لكلامك وقعٌ يختلف عن كُلِّ ما تسمعه، وستحيطه هالة تختلف عن كلّ ما رأيتَهُ، فإذا ما أُجْبِرْتَ على الحديث لسبب أو لآخر فلا تنسَ أن تراجع حديثك مرارًا وتكرارًا بعد تحدُّثِكَ؛ لأنَّك بعد كُلِّ حديث سينهار جزءٌ من نفسك يحتاج منك، أن تُصْلِحَهُ بِكُلِّ قُوَّتِكَ.

معرفة قدر النّفس

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ بأنَّكَ لا تزال بخير وعافية ما دمتَ تعرفُ قدرَ نفسِكَ، وأنت في أمان ما دُمْتَ تعرفُ حدودَ قدرتِكَ وحجمَ ذاتك، فالأمان في الحياة يرافق معرفتَكَ بقدر نفسك، والضّياع فيها يلازم جهلَكَ بذلك القدر وجهلك بتحديد مساحة العمر، إذ إنَّ الهلاكَ كُلَّ الهلاك الذي يرافق النّاسَ أفرادًا أو مجموعاتٍ في حياتهم يختفي خلفه ذلك السِّرُّ الخفيُّ، وليس سوى ذلك الأمر العصيّ وهو جهلهم بقيمة أنفسهم وعدم معرفتهم بالحجم الحقيقيّ لجوهرهم، وإن كان هذا الأمر ظاهرًا للناس بأشكال مختلفة ومتصوَّرًا أمامهم بأبعاد متنوّعة، كالأمراض أو المجاعات أو الكوارث غير الطبيعيّة أو الفشل السّياسيّ أو الضّياع الاجتماعيّ، بل على مستوى الفرد كالفشل الدّراسيّ والإخفاق العمليّ أو الضّياع العائليّ والتّراجع التّربويّ والفقر العلميّ... وغيرها، وهذا كُلُّهُ يمكن تصنيفهُ بأصناف متفاوتة ومعرفة بعض خفاياه بعلل مختلفة، إلَّا أنَّه -بالإضافة إلى تلك الأسباب الخارجيّة الحسِّيّة القريبة- يبقى لمعرفة النّفس السِّرّ الخفيّ خلفَ كُلِّ نجاح أو فشل أهمِّيَّةٌ كبرى وهو الخيطُ غير المرئيّ لِكُلِّ حياة مفقودة أو هلاك غير محتمل.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسانُ ما لمعرفتك قدرَ نفسِكَ من أثرٍ في استقامةِ حياتك، وما لجهلك بها من قوَّة غير محسوسة تؤدِّي إلى انهيار

مستقبلك وتجرُّعِكَ مرارةَ هلاكك، فاسعَ جاهدًا إلى معرفة قدر نفسك وبالغ في كشف قدراتها ونقاط ضعفها؛ لأنَّك بتلك المعرفة وذلك الكشف تكون قد قطعت كُلَّ الطّريق النّفسيّ ولم يبقَ عليك سوى طريق التّجسيد الفكريّ والتّطبيق العمليّ لما عرفته عنها وأحطته بها، فاعرف قدر نفسك جيّدًا ودقِّق في تفاصيلها مليًّا، فإذا ما انكشف لك بعد معرفتك إيَّاها أنها ذاتُ وجود محدَّد في قدرته وذاتُ حجم ضئيل في معرفته، فعليكَ حينئذٍ أن تعامِلَها ضمنَ تلك الحدود وأن تقيِّدَها ببعض تلك القيود وإيَّاك أن تجعلَها تتجاوزُ حدودها بعد معرفتك، وتحطيمِ قيودِها بعد تقييدك، فإنَّك لو فعلت ذلك لكُنْتَ سببًا لتسريعِ تدهورها وعِلَّةً لتعجيل انهيارها، فحدِّدها بعد معرفتك لحدودها بمكانتك، وهذِّبها؛ لتحترمَ حدودَ قدرتِها بحكمتك، إذ إنَّ تحديدك إيَّاها إنقاذ لها ومعرفتَكَ قيودَها تحريرٌ لها منها، فلا تجعل نفسك تمتلك قوَّةَ الفأرة وفي الوقت نفسه تُحَمِّلُها قُوَّةَ الأسد، فأنت بفعلك هذا تجعل للوجود الواحد وجوداتٍ وتجسِّدُ للصّورة الواحدة عدَّة تصوّرات، فلا تفعل ذلك أبدًا، واحذر من إقحام نفسك بعوالم غير عوالمها مطلقًا، لكن مع ذلك فإنَّ حدود نفسك الموجودة قهرًا وقيودها المضروبة لمنع اختلاط غيرها بها لا تعني أن يسوغُ لك أن تتركَها على حالها وألَّا تسعى لتعديل المعوَجِّ من صفاتها؛ لأنَّك لو تركتها لساهمتَ حينئذٍ في صناعة حجم أصغر لها من حجمها الذي كانت عليه، وأكَّدت فعلًا عدمَ قدرتها على تبديلِها شكلَها الذي وُجِدت مسبقًا فيه، فأنت يُطْلَبُ منك التّغييرُ ويُحتَّمُ عليك بعد معرفَتِكَ إيَّاها لزومُ التّحرير، فلا تترك نفسك تمتلك تلك القوّة الضّعيفةَ وامنعها من أن تسكنَ ماكثةً على الأرض السّفلى القريبة.

واعلم -كي تفعل ذلك- بأنَّهُ يجب عليك أن تلتزم بأمرين عظيمين: الأوّل: أن ترى نفسَكَ الأفضلَ دائمًا ولو بشيء معيَّن صغير، وأن تعتبر وجودَكَ مرتفعًا غالبًا ولو بمقدار محدَّد يسير.

والثّاني: أن تعتقدَ أن ليس هنالك شيء اسمُهُ الضّعف في الوجود إلَّا بصور اعتباريّة وافتراضات ذهنيّة، فكُلُّ شيء يحمل في داخله قوّةً رهيبةً وطاقةً عظيمةً، كُلُّ ما في الأمر أنَّنا لا نعرف تلك القوى ولا ندرك حجم تلك الطاقة، وتستطيع أيُّها الإنسان أن ترى ذلك في الوجود كُلِّهِ من الذّرَّة إلى الفايروس إلى الهواء إلى الماء إلى النّار إلى الإنسان إلى المجرَّة والكَون، فكُلُّ هذه الأشياء هي ذات قوّة رهيبة وقدرة عجيبة، فلا تخدعنَّكَ مظاهرُ الضّعف التي تراها عيناك في الوجود فتعكِسُها على نفسك، فعيناك تخدعانك حين ترى أنَّ بعضَ الحيوانات يلتهمُ بعضًا آخر وأنَّ بعضَ النّاس يتسلَّطُ على بعضٍ آخَرَ، فترى المُلتهَمَ ضعيفًا وترى المغلوب على أمره مسكينًا، فهؤلاء ليسوا من الضعفاء أبدًا ولا المغلوبينَ مطلقًا، فالحيوان المفترس (الآكل) ضعيف كما الحيوان الفريسة (المأكول) ضعيف، وضعفه هو حاجته إلى الحيوان المأكول ليلتهمه وعدم حاجة الثّاني إليه ليلتهمه، وهذا هو عين الضّعف ومركز الحاجة والفقر، والمسكين المغلوب على أمره ليس ضعيفًا ولو كان ضعيفًا لما احتاج غيره (الذي يبدو ظاهرًا أنَّه قويّ) إلى أن يظلِمَهُ ويتسلَّطُ عليه، فظلمُهُ له تجسيد لضعفه العميق في داخله، فارفع هذه الفكرة من رأسك، فكُلُّ ما في الوجود هو قويّ بشكل من أشكال القوّة التي نعرفها أحيانًا ونجهلها أحيانًا أخرى.

وأمَّا الضّعيفُ فهو صورة ظاهريّة لموجودات معيَّنة جهلنا مواردَ قوّتها، هذا كُلُّهُ إذا كانت معرفتك بنفسك قد كشفت لك ضعفها وحدودَها.

وأمَّا إذا كشفت لك العكس وأنَّها ليست ضعيفة، بل هي متمكِّنة قويَّة أدركت قوَّتها ولمستَ عن قربٍ عظيمَ طاقتها، وأمسكتَ الحقيقة وقبضت على عروتها بقبضة حكيمة دقيقة، فانطلق بعد تلك المعرفة واندفع بعد تلك القبضة، وكُلُّ هذا مشروط بدقَّة معرفتك بنفسك وحدودِ قدرتِكَ؛ لأنَّ تلك القدرة قد تخدعُكَ فتكونُ نفسُك في حقيقتها ركيكةً هشَّةً، لكنَّكَ تراها أعظمَ من الجبل، فأنتَ بعد هذا تحتاج إلى معرفة كيفيّة تقدير نفسك، فاعلم أنَّك لن تستطيع بالدِّقَّة معرفتها ولن يعرفَها حقيقةً إلَّا الحكماء، فالحكماء المتمرِّسون هم وحدهم من يستطيع أن يعرّفكَ قدرَ نفسك أيُّها الإنسان، فاسمع منهم وأنصت إليهم ولا تعتمد على معرفتك بنفسك في انطلاقتك الأولى نحو عالم العقل وأسرار المعرفة، إذ إنَّ تلك الانطلاقةَ هي من اختصاص الحكماء، سواءٌ أكانوا الظّاهرين منهم أم المخفيّين، إلَّا أنَّها لن تحصل بصورتها الصّحيحة المنقذة لك إلَّا من الحكماء حصرًا، فاعرف ذلك جيّدًا.

المجنون

اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّكَ يجب أن تمتلك شيئًا من الجنون اتّجاهَ حالة معيّنة في الحياة وأن تُصاب بالإغماء اتّجاهَ أمرٍ محدَّدٍ في السّلوك، فأنت أيُّها الإنسان لن تكون شيئًا عظيمًا حتَّى تُصاب بالجنون في شيء ما من حياتك، وحتَّى تفقدَ بعضًا من طبيعة تفكيرك في خلواتك.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّ الجنون -وإن كان وصفًا مستهجنًا عند النّاس ولفظًا مشينًا لو أُطلِقَ على أحدهم أو نُعِتَ به عاقلُهُمْ- هو في حقيقته يمثِّلُ قوَّةً جبَّارة من قوى العقل المخفيّة، فالجنون ليس سوى فقدان الوعي الاعتياديّ والدّخول في مرحلة عميقة من الوعي الخاصّ لا نفهمها ويفهمها المجنون نفسه، ولكنَّنا لو فهمناها لاختلفت نظرتُنا إليها بطبيعة الحال، مَعَ العلمِ بأنَّ تفاوتَ المراحل وانعكاسَ السّلوك لِكُلِّ مرحلة على صاحبها يجعلانِ الأمر متعسرًا فهمُهُ وصعبًا قبولُهُ، فلا تحصر أيُّها الإنسان الجنون بأصحاب الأمراض العقليّة والعقد النفسيّة كما يسمّيها النّاسُ اليوم، بل وسِّعْهُ ليشملَ أيَّ حالة فقدان للوعي وسكر في الإدراك مع عوالم العقل عمومًا وتعمُّقِهِ الشّديد في حالات محدَّدة خصوصًا، ثُمَّ إفاقَتِهِ بعد جنونه؛ لعدم استحكامه في جميع عقله وسيطرته على مفاصل تفكيره.

ثُمَّ اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّ منشأَ جنونِكَ ولهُك، ومسَّكَ في بدايته عميقُ تأمُّلِكَ وشِدَّةُ سكرتِكَ، فأنت يجب أن تكون متولِّهًا بالأشياء وذائبًا في قليل من التّفاصيل وفي جميع الأنحاء، بحيث يستغرق ذلك التّولُّهُ وجودَكَ ويستوعبُ ذلك الذّوبانُ حدودَكَ، فلا تستطيع أن تفكِّرَ في شيءٍ آخرَ أبدًا إلَّا شيئًا محدَّدًا وأمرًا معينًا، فيرافِقَك في طعامك وشرابك ونومك ويقظتك وسكوتك، فلا يستولي عليك إلَّا نطقُكَ وحديثُكَ وهمسُكَ، بحيث إنَّك لن تستطيع أن تتخلَّص منه ولا يمكنُكَ الهروب والابتعادُ عنه، فهو فارض وجوده عليك وباسط نفسه بينَ يديك، فإذا وصلت إلى هذه المرحلة أيُّها الإنسان، فأنت مجنون بذلك الشّيء مهووس به فاقدٌ وعيَكَ بسببه ذائبٌ في سكرته، فلن تكونَ على صورتك السّابقة حتّى تتخلَّصَ منه ولن تعودَ إلى سابقِ عهدك حتّى تبتعدَ عنه، وعندها ستذهبُ عنك سكرتُكَ وسترجعُ إليك إفاقَتُك.

فاجعل أيُّها الإنسانُ نفسَكَ مجنونةً بشيء خاصٍّ جدًّا، وإيَّاكَ أن تذمَّ بلسانك المجانينَ من أمثالك من دون أن تعرفَهُمْ، فأنتَ ما دمت لست مجنونًا بشيء فلن تُبْدِعَ أبدًا، وما دمت غير مهووس بشيء فلن تُغيِّرَ حالَكَ حتمًا، فتأمَّل في أعماق نفسك؛ لتعرف أيَّ شيء أحبَبْتَ وأيَّ أسلوب اتَّخَذْتَ، فإذا عرفت ماذا تُحِبُّ وبأيِّ درجةٍ تُحبُّهُ فاجعل نفسَكَ متّبعةً له ومنقادةً إليه، واترك عقلك مستسلمًا بين يديه ومتحرِّكًا بما يمليه من حركات عليه، ولا تقاوم بعقلك ذلك الانقيادَ، ولا تَدَع نفسك تعامِلُهُ بأسلوب الزّجر والانسداد، ثُمَّ اعْلَمْ بأنَّك بعد ذوبانك هذا وانقيادك ستكون بادئًا بالدّخول في مرحلة فقدان وعيك وذائبًا في مرحلة تفرُّدِ همّك، فلا شغلَ يشغلُكَ إلَّا شغلًا واحدًا ولا

هَمَّ يسيطرُ عليك إلَّا همًّا متفرِّدًا، ثُمَّ ستجد نفسك قد تغيَّرت فلا يطيبُ لك طعام ولا يسوغُ لك شراب إذا كانا يشغلانك عن هيمنته أو يبعدانك عن سطوته، إذ إنَّ انشغال تفكيرك فيه سيكونُ أطيبَ عندك من كُلِّ طعام وشراب.

ثُمَّ اعْلَمْ أيُّها الإنسان بأنَّكَ ستنسى كُلَّ شيء وستفقد كُلَّ تركيز إلَّا التّركيز على ذلك الشيء، حتَّى تظهر منك بعضُ التّصرّفات غير المعتادة عند النّاس والغريبة على أبناء نوعك، وعندها وفي هذه المرحلة بالذّات يجب أن يعذرَكَ النّاسُ ولا يحملوكَ على فعل أيِّ شيء يعتقدون وجوب قيامك به أو تركِ شيءٍ يعتقدون وجوبَ تخلّيكَ؛ لأنَّك الآن -وبعد دخولك في تلك المرحلة العقليّة الخاصَّة- صِرْتَ في عالَمٍ آخَرَ يختلفُ عن عالمهم وحلَّقت في سماء تختلف عن سمائهم، فافهم أيُّها الإنسان ذلك وإيَّاك أن تكون واحدًا من النّاس الذين لا يعرفون كيف يتصرّفون مع المجانين النوادر ولا يعرفون كيف يستفيدون من الممسوسين الأكابر، فإذا عرفتهم فتمسَّكْ بهم إذ إنهم لا ينطقون إلَّا دررًا، ولا يتكلَّمون إلَّا حكمةً، فاغترف منهم، واترك النّاس لهذيانهم، فهم لا يعلمون.

الاحترام

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الاحترامَ لا يظهر بشيء كظهوره بالكرم، فلا احترامَ كالكرم ولا تقديرَ كحسن الاستقبال، ولا قُوَّةَ أدبٍ كمعرفة استحقاق الاحترام لمن يجب تمييزُ احترامِهِ وفصلُهُ عن بعض أبناء نوعه، فلا يصحُّ لك أيُّها الإنسانُ أن تُعامِلَ كبيرًا في مجتمعه وبين ناسه كمعاملتك بالمساواةِ لأيِّ أحد منهم، فما دام كبيرًا عليهم بتمام قناعاتهم وترأسَّهُمْ بكمال قبولهم وامتنانهم -لما تركَهُ فيهم من أثر وما رأَوْهُ فيه من عظيم الصّفات وندرتها- فيجب تمييز احترامه عن غيره، ولا يجوز مساواته لسواهُ، فاحترامُكَ لكبيرهم هو احترام بالاستعاضة لهم، ومساواة احترامه لهم هو تنزيلٌ لاحترامه بينهم، فميِّزْهُ بإكرامك لَهُ وارفعه بتفضيلك إيَّاهُ عليهم.

واعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ الكبير كبيران: كبير بالاستحقاق وكبير بالإرهاق، أمَّا كبير الاستحقاق فهو كبير الحكمة والعلم والمعرفة وحسن الخلق وطيب السّجايا ودقَّة الحديث وصدقه وعُلوِّ المنطق وهيمنته، هذا كُلُّهُ مع حياة الضّمير واستقامة المسيرة، ولا كبيرَ يعلو على هذا الكبيرِ مطلقًا بين البشر، وكُلُّ ما سواه يتصاغَرُ أمامه وكُلَّ من قبله يندثر خلفه، وهذا الكبير لا يصحُّ لك أبدًا مساواةُ احترامه لغيرِهِ فضلًا عن تقليله، وبعد أن علمت أيُّها الإنسان ذلك، فإيّاكَ أن توهنَ الكبيرَ بين قومه أو تحتقرَهُ بين أفراد نوعه، فإنَّكَ إذا فعلتَ

ذلك، فإنِّي أعهد إليك أن تكتبَ وصيَّتَكَ وتودِّعَ أهلَكَ وعيالَكَ؛ لأنك لن تعيش بعد تحقيرِكَ العظيمَ في هذه الحياة إلَّا جسدًا خاويًا بلا عقل أو روح، إذ إنَّكَ لن تكونَ بعد فعلك ذاك إلَّا إنسانًا ميّتًا ينتظرُ دفنه، هذا إذا لم نقل بأنَّك يتمُّ دفنُكَ فعلًا -لو فعلت- روحًا وعقلًا وجسدًا دفعةً واحدة، فإيَّاك أيُّها الإنسان ثُمَّ إيَّاك أن تفعل ذلك، فلا دواء لك بعد فعلتك تلك مطلقًا، ولا طريق لإرجاع حياتك بعد تحقيرك إيَّاهُ أبدًا، فابتعد عن تحقير هذا الصّنف، ولا تلعب بنيران لا تعرف حجمها ولا يسع عقلَكَ تصوُّرُ حدودِها؛ لأنَّك تمسُّ الوجودَ بسوءٍ في جوهره وتُحاولُ أن تخلَعَهُ من حقيق درجته بعد تشويه صورته وتحقير منظره.

كما أنَّك أيُّها الإنسان يجب أن تعلمَ أنَّك بعد فعلك هذا لن تعرف طريقًا للخير تسلُكُه ولا دهليزًا للشَّرِّ تجتنبه فتختلطُ عندك الأمور وينقلبُ الأبيضُ في عينيكَ أسودَ والأسودُ أبيضَ والمنحرفُ مستقيمًا والمستقيمُ منحرفًا، وأنتَ غير شاعرٍ بهذا كُلِّهِ وغير منتبهٍ لجميع ما يجري حولَكَ أبدًا.

وبعد أن عرفتَ أيُّها الإنسان بعضَ ما يبيِّنُ لزومَ احترامك لكبير الاستحقاق، فلا بُدَّ من أن تعلم بعض صفات كبير الإرهاق وتتأدَّبَ ببعض آداب التّعامل معه، فكبيرُ الإرهاق هو الذي يُرْهِقُ أتباعه باتّباعه ويُتعبهم بمجاراته، إذ إنَّه لا يستحقُّ أن يكون كبيرًا أبدًا ولا رئيسًا لهم مطلقًا، لكنَّه تقمَّصَ هذا الأمر عنوةً وسعى إليه بكُلِّ قوَّته سعيًا حتّى إذا ما استتبَّ له الأمر وثُنِيَتْ له الوسادة صار يتفنَّنُ في خلط الأوراق، فلا يفوقُهُ أحدٌ في تقريب البعيد وإبعاد القريب ولا

يتجاوزُهُ متجاوز في توهين الخصوم من أبناء نوعه، ولا ينفكُّ عن إطلاق كلمات الثّناء على من يجده تابعًا مخلصًا له منقادًا لمنهجه، لا تجد عنده حكمةً إلَّا عجلةً واندفاعًا، ولا ترى عنده علمًا إلَّا مصطلحاتٍ محفوظةً مملَّةً يتلفَّظُها بلذَّةٍ واصطناع، فلا أخلاقَ له مع من يُحاوِرُهُ أو يناقشُهُ إلَّا كلماتٍ جارحةً وردودًا انفعاليّةً متسرِّعَةً.

وأمَّا دقَّةُ الحديث فحدِّث ولا حرج في انعدامها وتركِها، وتكلَّم وليس عليك جناحٌ في ثقلِها على سامعها وعدم استساغتها على مستطعمها، واستقامة المسيرة متحقّقة بما يحفَظُ الصّورة الظّاهريّة أمام النّاس وبما يُبقي دوام التّسلّط على رقابهم واستمراريَّة التّرؤُسِ عليهم.

وأمَّا باطنُهُ فخيرٌ لك ألَّا تطَّلِعَ عليه، فأنت لا تستطيعُ أن تتحمَّلَ رؤيةَ قبحِ منظره أو تتحمَّلَ شمَّ عفونةِ رائحته، وهذا الصّنف يجب ألَّا تخضعَ نفسُكَ له، وإيَّاكَ أن تشجِّعَهُ على التّسلّط على غيره، بل يجب أن تقف بوجه أمثال هؤلاء وأن تغيِّرَ حياتك جذريًّا لو وجدت نفسك محاربًا من قبلهم ومخنوقًا من عنقك في معارضتك لهم، فأنت بانقيادك لهم تقتلُ نفسك ولا تعلم، وتشوِّهُ فلسفةَ احترامك في عقلك ولا تدري، فاعرف النّاس تعرف كيف تُحترَمُ، وافهم نظرتهم إليك لتعرفَ من تلتزم باحترامه منهم.

وبعد أن عرفت هذا كُلَّهُ، لَمْ يبقَ عليك سوى أن تعرف بلا لفٍّ ولا دوران من ستحترم، فالذي صغرت في نفسه حقيقةُ نفسِهِ وقدّرك لما تحملَه من حقيقة الوجود عندك فبالغ في احترامه لتلك الصّفات، ومن كبرت نفسه عنده وصغّر حقيقة الأمور العظيمة عندَكَ فلا تخسر

عليه سوى إلقاء التّحيّة والسّلام؛ ولا داعيَ لتعظيمه واحترامه، فهذا إنسان جاهل بنفسه، وبما أنَّه الجاهلُ بنفسه والمتكبِّرُ بطغيانه والرّاسم لإبقاء مجده، فالتّحيّة له فضل زائد وكرم كبير لا يستحقُّهُما منك لولا أدبُكَ ورفعةُ أخلاقِكَ.

الأجير

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّكَ يجب أن تُعامِلَ من تستأجِرُهُ لخدمتك معاملةً عادلةً، فيجب عليك أن تنظرَ إليه بنظرة مميَّزة، فأجيرُكَ يُحبُّ أن يطمئنَّ إلى دفع الأجرة والعدالة منك أوَّلًا وأنْ يستقرَّ حالُهُ من مجازاته بخدمتك ثانيًا، فيجب عليك إعلامُهُ بمقدار المال الذي يتلقَّاه جزاءَ خدمته، ويجبُ أن تكرمه بمال ولو كان قليلًا مع تطييب خاطرِهِ، فقليلُ المال لا يؤثِّرُ مطلقًا على ممتلكاتك، لكنَّهُ يؤثِّر كثيرًا على عقلِ أجيرك وعلى كفاءة عمله، ولا تجعل علمك بأحوال النّاس السّيِّئة واضطرابات الزّمان المنحدرة تؤثِّرُ في تعاملك مع أجيرك، ويقودُكَ سوءُ الظّنِّ وانتشار الشّرّ بين النّاس إلى جعل قلبك متثاقلًا عليه ومتحاملًا عليه، فربّما استأجرت أنتَ كريمًا في قومه (مِمَّن يعرفونه) واستخدمت عظيمًا في أعماقه مستورًا عمَّن يجهلونه، فكن صاحبَ بدايةٍ طيِّبةٍ معه ما دام لم يظهر منه شيءٌ يضرُّكَ ولم يُبادرك بسوء يُكدِّرُكَ، حتَّى إذا ما ظهر منه ذلك فاصبر عليه ولا تجزع لأدنى تقصير يصدر منه أو زلل يظهر عليه، ولا تتعجَّل بالمحاسبة بعد المراقبة، حتَّى إذا ما استمرَّ في تقصيره معك وتطاول في تعمد عدم إتمامه لخدمتك، عندها لا تعاتبه بعتاب شديد قاسٍ، ويكفي أن تستغنيَ عن خدماته وتتركَهُ بعد النّصيحة لنفسه ومشتهياته.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ أجيرك ضيفٌ عليك، فعليكَ أن تتحمَّلَ

منه ما تتحمَّلُهُ من ضيفك ولا تُحمِّلُهُ أكثرَ من قدرته، وأن تُحسن ضيافتَهُ ولا تستعبدهُ، فالأجيرُ بجملته رجلٌ شريفُ القدر عظيمُ القيمة ما دام جادًّا في استرزاقه ولا يستعطي بمذلّةٍ مالَ غيره ولا يُريق بسهولةٍ ماءَ وجهه، وكُلُّ هذه الصّفات تستوجبُ منك أيُّها الإنسان ما يفوقُ احترامَهُ والتّواضعَ له، بل تشجيعَهُ والثّناءَ عليه وإكرامَهُ فوق استحقاقه، حتّى إذا ما رأيت منه حسنَ العمل ووفاءَ الخدمة، فلا تجعله ينظر إلى يديك متى تضعُهُما في جيبك؛ ليُعطِيَهُ أجرتَهُ، ولا تجعله يَعُدُّ السّاعات لإنهاءِ عمله وقبض ماله وغسلِ وجهه ويديه بعد انتهاء العمل، ثُمَّ لا يعرفُ ماذا يفعل، أيقول لك: أعطني أجرتي (التي أنتظرَها بفارغ الصّبر) أم ينتظر كالسّائل المستجدي؟.

فبادره بأجرته أثناء عَمَلِهِ وضَعْها في جيبه أثناءَ خدمته وفي ذروة انشغاله، ومعها مالٌ فوقَ المال الذي اتّفقتما عليه ولو بمقدار قليل، فإنَّكَ بفعلك هذا قد وضعت بذرة صناعةِ إنسان في نفسك وصناعةِ إنسان آخر في مجتمعك، إذ إنَّكَ بتعاملك مع الأجير بهذه الصّورة ستُحيي بداخله ما طمره المجتمع من إنسانيّته وما اختزله من أخلاقه.

وإذا كنت أيُّها الإنسان أجيرًا يومًا فلا تحتقِرَنَّ نفسَكَ لما آل إليه زمنك وما قادك إليه دهرك، فتتحاملَ على النّاس الذين لم يوضعوا في مثل موقفك أو تحسدَهم على نجاحهم في الحياة وفشلِكَ.

ثُمَّ إنَّك أيُّها الإنسان يجب أن تكون في أثناء أدائك عملَكَ كأجير حافظًا لكرامتك من دون تكبّر، فلا تجعل صعوبةَ الحياةِ تضعُكَ في موضع الذّلّة وجشوبةَ العيش تُرديك في موقف المهانة، فاصبر على من استأجرك ولا تسعَ لذلك إلّا بمقدار حفظِ كرامتك ودوام

عِزَّتِكَ والحفاظ على نقاء جوهرك، فإذا ما تَمَّ استئجارُكَ فابتسم في وجه مستأجرِكِ وأسْمِعْهُ كلماتٍ تجعلُهُ مطمئنًّا إلى ما استأجرك له واستخدمك فيه، فإذا ما بدأت العمل فشمِّر عن ساعِدَيْكَ وابذل قصارى جهدك ولا تجعل نهايةَ العمل غايتَكَ ولا انقضاءَ السّاعات طلبتَكَ، بل اجعل إتمامَ العملِ وإتقانَهُ المطلوبَ عندَكَ والمرغوبَ لديك، وحاول قدر استطاعتك أن تكون أمينًا على جميع ممتلكات مستأجِرِكَ، فلا تثقل على مستأجرِكَ ولا تخنْهُ، ولا تتطاول على ما بحوزته من مال ولا تمدَّ عينك إلى كُلِّ ما يخصّه، فإنَّ أمانتك أعظمُ من إتمام عملك ووفاءَكَ أبلغُ من إتقانه، فإذا أتممت العملَ في وقته أو ما هو أطوَلُ من وقتِهِ بمدَّة محتسبة ومناسبة لنوع العمل، فلا تطلب أجرتك بلسانك ولا تطلبها بلغة عينيك مطلقًا، فإنَّ حفاظك على قوة عقلِكَ أهمُّ من أجرتك واستماعَكَ لحديثِ نفسِكَ الرّفيعِ أشرفُ من كسبِكَ مالَك.

الحاجة

اعْلَمْ أَيُّها الإنسان أَنَّكَ لن تمرَّ بشيء قاسٍ في حياتك ومريرٍ في معيشتك كحاجتك إلى ما عند النّاس اللّئيمين، وكطلبك حاجةً من الأغنياء المتمكّنين المتكبّرين، فهذا جرحُهُ عميقٌ ووقعُهُ شديدٌ لن تستطيع بحدود ثقافتك تجاوزَهُ ولن تُمكِّنْكَ قوّةُ أحاسيسِكَ من احتوائه.

فإذا كنتَ أَيُّها الإنسان محتاجًا إلى غيرك، فتأكَّد أَنَّكَ ستحصل على حاجَتِكَ ولَوْ كنتَ تعتقدُ أنَّها وإن كانت لا تحصل ممَّن تعتقد أنَّ حاجتك عنده، فإنَّها في النّهاية ستتحقَّق؛ إذ الوجود له قوانينه التي لا ينكشف لك دائمًا سِرُّها ولا تعرفُ باستمرار ما يختفي خلفَها، فالوجودُ هو صورة لعقلك، وحاجتُك ليست ببعيدة عنه، وهو غير بعيد عن حاجتك، فكن أَيُّها الإنسان بعد معرفتك بهذه الحقيقة الوجوديّة صبورًا متماسكًا، فأنت تحتاجُ إلى تحقيق أمور بدلًا من انتظار تحقيق حاجتك، وأنتَ محتاج إلى أن تعرف بعضًا من خفايا عقلك ومعرفةٍ أكثرَ بخفايا الوجود، وأنتَ محتاج كذلك إلى أن تعرف أنَّ عقلك والوجود لا ينفكّان يتحدَّثان كثيرًا ويتسامران معًا، فعليك أن تمتلكَ سمعًا مميَّزًا؛ لتسمع ذلك الحديثَ الذي من الضّروريِّ لك أن تستمع له وأن تُنصت جيّدًا إليه، وأنت محتاج كذلك بالتأكيد إلى معرفة أنَّ طلبَكَ وحاجتَكَ سيتحقَّقانِ قطعًا،

ويجب عليك أن تجزم بذلك ولا تَشُكَّ فيه مطلقًا، فإن لم يتحقَّقْ فأنت لم تطلبه وطلبت غيره وإن ظهر لك أنَّكَ تطلبه، وأنت محتاج أيضًا إلى أن تصبر على حاجتك فلا تنتظر تحقيقها؛ لأنَّك بانتظارك هذا تُعقِّدُ الأمورَ وتزيدُها تعسرًا، فالانتظار بذاته لا يؤدِّي إلى صناعة لغة جيّدة وواضحة بين العقل والوجود؛ إذ إنَّه (أي الانتظار) غالبًا ما يختلط بنوازع النّفس والمفاهيم غير الصحيحة للفكر، وهذا بحدِّ ذاته سببٌ لاضطراب جميع اللّغة وتدهور كُلِّ الخطاب بين عقلك والوجود.

وبعد أن علمت هذا، فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ ما تطلبه يُمثِّلُ بالدّقَّة مقدار حاجتك، ولا بُدَّ من أنَّك ستحصل على حاجتك بدقّتها ومقدارها، فافهم علم المقادير من خلال تلك الحاجة واعرف حجم المكاييل من مقدار الفراغ الذي وضعك الوجود فيه، فأنت في أعماقك تمتلك وجودًا حقيقيًّا يتأثَّرُ باحتياجك وينفعل بحجم طلباتك، فإذا جاءت الحاجة نفد ذلك الوجود من أعماقك وخلّف خلفَهُ فراغًا بقدرها وعدمًا بمقدارها، فزال معها شيءٌ من قدرتك ونفد معها كيلٌ من قوّتك، فإذا حصل هذا معك فاعلم أنَّ ذلك الفراغ المتحقّق في أعماقك يلازمُهُ وجودٌ في الوجود يكافِئُهُ ويملَؤُهُ حقيقةٌ تلازمُهُ، ففي أثناءِ وقوعك في ذلك العجز وأثناء دخولك في عالم العدم، فإنَّ الوجود سيصنع صبرًا يتَّفقُ بالدّقَّة مع ذلك الوجود المستقطعَ وسيمنحُك تحمُّلًا بقدر ذلك الفراغ المصطنع، فاطمئنَّ فأنت ستكونُ على قدر كبير من الدّقَّة في تحمُّلِ ذلك العجز، وعلى كفاية كاملة في تجرُّعِ مرارة الحاجة، فلا تتكلَّم بعد معرفتك بهذه الفلسفة بأيِّ كلمة، ولا يظهرْ منكَ أيُّ انفعال ولا تتمنَّ حصول

الأشياء بسرعة وتترجَّ تحقيقَها بلهفة، فأنت أكبرُ من ذلك وأعظمُ من أن تملأه باستعداداتك، وبما أنَّك جاهل بعقلك وأعماقك، وجاهلٌ أكثرَ بالوجود فأنتَ لن تحصلَ على حاجتِكَ غالبًا، ولن تنالَها إلَّا نادرًا.

الاستئثار

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لا يمكنك أن تستأثرَ بشيء في حياتك مطلقًا وأنْ تحتكِرَ ملكًا لك بصورة خاصَّة إلَّا ونظرت ما للناس فيه من حقّ وما لغيرك فيه من حاجة، فالعالِم الذي يستأثر بعلمِهِ لنفسه ولا يُعطيه غيره إلَّا لمصلحة يستفيد منها أو كسب يناله منها لن يُدخِلَهُ علمُهُ بعد الاستئثار إلَّا طريقًا غيرَ طريقه ولا يُذيقه إلَّا فسادًا في عقله ولو كان ما عندَهُ حقيقةً.

فإيَّاك أيُّها الإنسان أن تستأثرَ بالعلم؛ لأنَّك لو فعلت فقد فسدَ عقلُكَ وانهارت قُوَّةُ تفكيرك، وكما الحال مع العالم يكون التاجر، فهو الذي يستأثر بالأرباح لنفسه وينسى أبناء جلدته وأفراد نوعه، فيحتكر ويمنع عنهم البضائع من الأطعمة والألبسة والحاجات الضّروريّة والكماليّة، ليستأثر بجميع الربح لنفسه، فإيَّاكَ أن تضع نفسَكَ أيُّها الإنسان في هذا الموقف، وإيَّاك أن ترى تاجرًا يفعل هذا فتبتسمَ في وجهه أو تجامِلَهُ في فعله أو تُسَخِّفَ منطقَكَ لإرضاء جشعه، فلا تفعل ذلك أبدًا. كما أنَّك يجب أن تعلَمَ، أنَّ معاداتك للتّجّار المحتكرين يجب ألَّا تقلَّ عداءً عن العلماء المستأثرين، فهما صنف واحد، كُلٌّ يقتلُ على طريقته وينتزع حياة النّاسِ على كيفيّته، فهؤلاء الذين يحتكرون العلم لأنفسهم في أيِّ مجال من مجالات الحياة هم سبب مهمٌّ في حرمان النّاس من الحركة نحو

أهدافهم، وهم سببٌ أهمُّ في تراجع مجتمعاتِهم وتدهور أحوالِهم.

واعلَمْ أنَّ الاستئثار بالعلم لا ينحصر فقط بمنعه ولا ينحصر في حرمان الآخرين منه، بل هو يتوسَّع إلى استعماله كوسيلة لتحقير الآخرين واستعبادهم، واستعماله أداةً لِكَمِّ الأفواه والتّرويض الفكريّ التدريجيّ للمجتمعات والشعوب، كُلُّ هذا يحصل تحت شعارات التّعظيم والتّقديس، وحقيقةُ الأمر أنَّهُ ليس هنالك سوى استئثار للعلم لاَ أكثر ولا أقَلَّ، فهم والتّجّار المحتكرون سواءٌ، بل هم أشَدُّ فتكًا وأعظم ضررًا.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ مشاعِرَكَ مهمَّةٌ في تحصيل استئثارك، فأنت ما دمت متحكِّمًا في مشاعرك من ناحية الاستئثار، لا تكونُ مستأثرًا، ومن غيرِ الممكنِ أن تكون محتكرًا، وأنتَ لا تفرح لو رأيت الجهلَ مستشريًا والخطأَ على العقول مستحكمًا، بخلاف ما لو فرحت بانتشار الجهل وارتاحت نفسك من غلاء الأسعار، فإنَّكَ ستكون إنسانًا بائسًا وشخصًا سيّئًا وإن لم تفعل شيئًا مطلقًا، فإنَّ شعورك بحرمان غيرك وتجويع سواك هو بحدِّ ذاته من أسوأ الأشياء وأقبح الأمور.

فلا تنسَ مراقبتَكَ نفسَكَ وإيَّاك أن تتركَ ذاتَكَ تتحكَّمُ بمشاعرك، فكن أيُّها الإنسان رابحًا بالبحث عن رزقك، وفاعلًا بإيجاد أسباب نتائجك، ولا تكن شيطانًا باستئثارك بالأشياء لنفسك، فكن طالبًا لرزقك بالطّريق الاعتياديّ للطلب، ولا تكن طالبًا له بالطريق غير الاعتياديّ من خلال الاستئثار بالمصادر العلميّة كما يحصل في الجامعات وأندية البحث العلميّ لتحصيل الغلبة والتنافس، فإنَّكَ

لو فعلت قد تحصل على الغلبة، لكن تذكر أنَّكَ قتلت عقلك كُلِّيًّا وعمَّقْتَ السّيّئ من تفكيرك، كذلك لا تطلبه من خلال المراهنة على ارتفاع الأسعار والمراهنة على حصول الأزمات والحروب أو المساعدة أو العمل على حصول الأزمات السّياسيّة وتسهيل تدهور الأحوال الماليّة، فإنَّكَ إذا فعلت ذلك فلن تحصل على شيء وستذوقُ وبالَ فعلتِكَ وعواقبَ جرأتِك على إنسانيّتك، فقُمْ بدلَ كُلِّ هذا أيُّها الإنسان ببذل الجهد في تحصيل رزقك وأنفق طاقتك في سبيل تحرير نفسك من قوة استئثارك، وتذكَّر دائمًا أنَّك لو فعلت واستأثرت بالعلمِ والمال فلن تحصل سوى على فساد العقل بسبب استئثاركَ بالعلم وفساد السّلوك بسبب استئثاركَ بالمال.

وبعد أن علمت هذا أيُّها الإنسان، فاعلم أنَّكَ ما دمتَ مستأثرًا فلا بُدَّ من أن تكون خاطئًا، واعلَمْ أنَّ استئثارك هو معيار جيّد لمعرفة خطئك ومعرفة صوابك، فأنت إذا كنت مستأثرًا بعلمك أو مالك أو أيِّ شيء آخر فاعلم أنَّكَ مخطئٌ لا محالة، بل اعلَمْ أنَّ لديكَ في الحياة سلوكًا خاطئًا أوصلَكَ حتمًا إلى أن تكون مستأثرًا ومحتكرًا في نهاية أمرك وفي آخر مطافك، فتمسَّك بهذا المقياس لاكتشاف ذاتك ومعرفة أخطائك، فهو مقياس دقيق لا يخونك ولا يُزيِّفُ لك الأمور ولا يخدعُك بخلط الأوراق النفسيّة عندك. وأمَّا إذا نسيت نفسك واستمررت باستئثارك -رغم اكتشافِكَ خطأَكَ ومعرفتِكَ بعدم صحَّة سبيلك الذي سلكته في حياتك- فاعلَمْ أنَّك باستئثارك ستحرمُ وجودَك من قوَّة هائلة كان يمكن للوجود أن يزوِّدَ وجودَكَ بها أو يرفدَكَ ببعض طاقته، إذ إنَّ الوجودَ يتحرَّكُ بقيمة وجودك ويتحرَّك نَحْوَهُ كُلَّما تجسدت فيه قُوَّتُكَ، فإذا حُرمت من قوة الوجود

فاعلم بعدها بأنك لن تستمرَّ طويلًا في كُلِّ شيء بعد علمك، إذ إنَّ للاستئثار ضربةً موجعةً وطعنةً مميتةً، فافهم ذلك وإيَّاك أن تنساه، وإيَّاك أن تتصرَّف بغير فهمك؛ لأنَّك لن تتدارَك فعلَكَ ولن تستطيع إنقاذَ نفسِك.

التّجربة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ -مهما أوتيتَ من علم- لن تحصلَ على الحكمة إلَّا من خلال التّجربة، فلا تتوهَّمْ أنَّ قراءةَ الكتب ونيلَ الدّرجات العلميّة سيؤهِّلك لتحصيل الحكمة المطلقة، فهذا لن يحصلَ أبدًا ولن تنالَهُ مطلقًا إلَّا إذا كانت تلك الكتب وتلك الدرجات توقظ في أعماقك القدرة على صناعة تجربة خاصَّةٍ بك.

فكتبُ تعليم الحكمة إنَّما هي كتب عرض لتجارب خاصّة وتهذيب لتعليمات محدَّدة، وعلى القارئ لتلك الكتب أن يفهمَ التّجارب التي فيها ويكتشفَ العلاقات بين متناثرات مفاهيمها ومعلوماتِها، فيُدرِّبَ عقلَهُ على التقاط الأفكار والجمع بين المعقولات، ثُمَّ ينطلق في حياته لصناعة تجربته الخاصّة به، والتي لا يمتلكها أحدٌ سواه ولا يمكن استنساخها بالدّقَّة من قِبَلِ غَيْرِهِ وإن اشتركت مع غيرها في بعض موارد الاشتراك، فهي تبقى خاصَّةً جدًّا.

وبعد أن علمتَ هذا، فاعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّكَ يجبُ أن تفرِّق بين التّجربة المؤدِّية إلى صناعة العلم والتّجربة المؤدِّية إلى صناعة المعرفة، فالأولى: نتاجها الاكتشاف العلميّ والسّبق البحثيّ، والثانية: نتاجها تدفّق الحكمة والاستبصار والإضاءة، والعالَم اليومَ يهتمُّ كثيرًا بالنّوع الأوّل من التّجارب ولا يهتمُّ بالنّوع الثّاني منها.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ تلكَ التّجاربَ المتعلّقة بالمعرفة والحكمة قد تَمَّ تقويضُها ومحاربتُها بشدَّة فاعتبروها تجاربَ غير علميَّة ولا تخضع لمعايير بحثيّة، وثُقِّفَ العالَم بهذه الثّقافة سنينَ طويلةً، حتّى أضحت التّجربةُ العلميّةُ البحثيّةُ هي التّجربة الوحيدة التي تُعتبر طريقًا للمعرفة، وهذا التّثقيف سرى في المجتمعات العلميّة كالنّار في الهشيم حتّى باتت التّجربة المختبريّة والنتائج البحثيّة في العلوم الطّبيعيّة هي النّتائج الوحيدة لعكس القيمة المعرفيّة للعلوم، وهي اللسان النّاطق المتفرّد لصحّة الأشياء أو خطئها، فاختفى تحت هذا كُلِّهِ ذلك النّوع الرّفيع من التّجارب المعرفيّة ذات الجذور العقليّة، والتي تحصل لصنف متفرّد من البشر وتقع لعقول مميّزة من النّوع الإنسانيّ، وتولّدت حالة رهيبة من الشّكّ والرّيبة اتّجاه أيّ تجربة معرفيّة فاختلط الغثُّ بالسّمين وذاب الحقُّ في الباطل، وبما أنَّ الحكمةَ هي نتاج تلك التّجارب فلم يبقَ لها وجود معتبر سوى أطلالٍ، ولم تعد سلعةً مطلوبةً إلّا لأفراد قلائل، وسببُ هذا كُلِّهِ الجهلُ بالتّجربة وعدم قدرة العقول -بعد معرفتها- على إعادة تصنيفها وصياغتها من جديد، فالأمرُ قد استفحل في زماننا المعاصر حتّى صار من الصّعب تداركُهُ.

التّحقير

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أن أقبحَ أفعالِكَ التي لا تُغتفر لك لو قمت بها أو استعملتها هي تحقيرُكَ غيرك ممَّن لا يُسمح لك بتحقيره أو توهين سواك ممَّن لا يحقّ لك مطلقًا توهينُهُ، فإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تحتقرَ الشّيخَ الكبيرَ ذا الفهم السّليم والسّلوك القويم، فلا يُسمَحُ لك بتحقيره أبدًا تحت أيِّ مُبرِّرٍ ولا يصحُّ لك توهينُهُ بأيِّ عذر، كما لا يحقُّ أيضًا توهين أيِّ إنسان يحمل علمًا شريطة أن يكون حاملًا للعلم ذائبًا فيه، وليس بالضّرورة أن يكون شيخًا كبيرًا، فصاحب العلم يُحترم ولو كان طفلًا، ولا يُسمح لكَ بإضعافه أو إهانته ولو بكلمة أو موقف أو حركة أو نظرة أو أيِّ شيء آخر، فالعلم إذا وُجِدَ في عقل فقد مُنع عليك أيُّها الإنسان تحقيرهُ مطلقًا وما عليك سوى احترام ذلك العقل أبدًا، وما مهمَّتُكَ سوى التّعامل معه بتأمّل عميق أو مناقشة موضوعيّة أو رؤية علميّة مقارنة، فهذه حدودك أيُّها الإنسان مع أهل العلم، فامنع نفسَكَ واكبحْها بشدَّة لو أرادت أن تُحقِّر عالمًا أو توهنَ طالبًا له، وكذلك لا يصحّ لك أن توهن الكبير على قومه والعظيم في سربه، فإنَّك بفعلك هذا تهين القوم جميعًا وتُسرعُ في توهينك لنفسِكَ قريبًا.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّكَ لو كنتَ إنسانًا سويًّا ومستقيمًا في الحياة وليس عندك ظلم ولا تَتَّصِفُ بأيِّ شائبة ثمّ احتقرتَ من عميت

عينك عن وجوب احترامه وأضعفت من طال بعمقه ارتفاعه، فأنت قد سلَبْتَ عنك الخير وأَلصَقْتَ بِكَ وصمةً من الشرّ، فلا تقل: «إنّي إنسان خيّر» أو «محبّ للخير» حتّى تتركَ التّحقير، ولا تقل: «إنّي إنسان قويّ» حتّى تترك التّضعيف، فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك فاعلم أنّك ما دمت مُحقِّرًا فستكون متكبّرًا، فكلّ مُحقِّر هو متكبّر، وكُلُّ متكبر في بدايته كان مُحقّرًا، فتخلَّص من كبركِ بترك تحقيرِكَ وترفَّع عن كبريائك باحترام الآخرين وتحقير نفسك، فإنَّ التّحقير إذا كان شرًّا فتحقيرُكَ شيئًا من نفسك هو بدايةُ الخير لك، فلا تترك نفسك تتمرَّدُ في تحقير الآخرين مع نسيان تحقيرِكَ نفسك، واعلم أنَّ تحقيرك نفسَك لن يكون إلَّا بترك البطر أوّلًا وتغيير طبيعة عملك ثانيًا، والاستمرار هكذا في التغيير حتّى تبدأ بتحقير جزء نفسك السّيّئ، فاعلم عندئذٍ أنّك من تحقيرِكَ تخلَّصْتَ ولغايتك قد وَصَلْت.

الإخلاص

اعْلَمْ أيُّها الإنسانُ أنَّ العافيةَ كُلَّها في الإخلاص، فلا عافيةَ من دون الإخلاص، ولا راحة من دون الإخلاص. فالإخلاص -كما أنَّه يعطيك النتائج الملازمة له- لا محالةَ هو يعطيك بالقدر نفسه قوَّةَ العافية، فافهم ذلك أيُّها الإنسان واحفظه جيّدًا، فلا تطلب العافية في شيء كطلبك إيَّاها من خلال إخلاصك في عملك وفي صفائك العامّ في حياتك، فأنت في عافية ما دمتَ مخلصًا وأنت في صِحَّةٍ ما بقيتَ غيرَ مشتَّتٍ في غايتك وما بقيت مُركِّزًا في هدفك، ولا يغُرَّنَّكَ أيُّها الإنسان ما يفعله النّاسَ اليومَ من وسائل مادِّيّة متفرّدة لإدامة صحّتها وإطالة أعمارها، فلا صحَّةَ بدنيَّة ولا عافيةَ عقليّة ولا راحةَ نفسيّة كالإخلاص، فأخلص في عملك أيُّها الإنسان تبقَ معافًى وتخلّص من تذبذب هدَفِكَ ترشد في عقلك أبدًا، وإيَّاكَ أن تُفرِّطَ بهذه الجوهرة الثّمينة واللّؤلؤة النّفيسة.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسان ما لعلاقة الإخلاص بالعافية، فاعلم أنَّ الإخلاص لا يجتمع إلَّا مع قليل عملك، فكُلَّما كان العمل قليلًا صار أقربَ إلى الإخلاص، وكُلَّما كان مختصرًا كان أسرع في الخلاص، فلا تُكثر عملك في الحياة تكن مخلصًا، إذ إنَّ كثرةَ العمل تُطيلُ الطّريق وتوسِّعُ المدى وتُباعد الزّمن فيضعفُ التّركيز على الهدف ويقلُّ التّصميم على الغاية، وبين هذا وذاك تضعفُ قدرةُ

العقلُ ويضعفُ الإخلاصُ، فاحفظ قوَّةَ عقلِكَ بقِلَّةِ عملِكَ وحقِّقْ إخلاصَهُ بتقريبِ هدفك.

وبعد أن علمت ما يجب عليكَ فعلُهُ لتحقيق إخلاصك في حياتك، فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الوجودَ لن ينظرَ إلى شيءٍ كنظرتِهِ إلى الإخلاص ولن يُصافحَ عقلًا كمصافحته للعقل الذي هذَّبَ أفكاره وصوَّبَ حركتَهُ حتَّى ارتقى إلى التّحرّر والخلاص، فالوجود حين يتعامل مع أفكارك أيُّها الإنسان تجدُ أنَّ الأفكار لا تجدُ كُلُّها منفذًا في الوجود، فأفكار الإخلاص هي وحدَها التي تعرف تلك المنافذ وهي وحدها التي تتجاوز العوالم، أمَّا غيرها فلا تعرفُ إليه طريقًا ولا تتلَمَّسُ فيه منفذًا، فافهم ذلك أيُّها الإنسان وتذكَّرْهُ دائمًا، فإذا أردت لعقلك أن يتناغمَ مع قوانين الوجود فأخلِصِ الأفكارَ وأخلِصِ العملَ، وإذا أردت أن تكون فردًا يتّفِقُ في وجوده وحركته مع الوجود ولا يتعرَّض لقوانينه الخفيَّة العكسيَّة القاسية فأخلص وتذكَّرْ أنَّك لن تُدرِكَ الإخلاصَ فيه حتى تُقلِّلَ عملَكَ بمستوًى يجعلُكَ متَّصلًا بعقلك مع العمل، ومنفصلًا بأفكارك عن عدمه بقوَّةِ الأمل.

الاستعلاء

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ ما دُمْتَ تمتلكُ شهوةً خفيَّةً غيرَ معلنة لم يطَّلع عليها أحدٌ سواك، ونزوةً مستترةً لم يُظْهِرْها المعلَنُ من نواياك، فأنت شخصٌ له جانب مظلم من الكبرياء، وأنت صورةٌ مجسَّدةٌ للاستعلاء، فغريزتك الخفيَّة من الأمور التي تجعل عقلَكَ أيُّها الإنسان يعيش في عالَمين ويتفكَّكُ إلى جزءَين: جزء تظهر به أمامَ النّاس بلباس النّسك والقداسة، وجزء ضعيف مهزوز لا تعيشُهُ إلَّا مع نفسك وبين خفاياك وهو مصدر الشّقاء والتّعاسة، وعندها سيكون عقلُكَ متطبِّعًا ومتدرِّبًا على التّناقض والتّنافي.

وهذا التّنافي سيكون هو بذرةَ الكبرياء وهو القوّة الخفيّة لظهور الاستعلاء، فالاستعلاء هو تناقضاتُ عقلِكَ وهو ازدواجيّةُ معاييرك، فإذا رأيت أيُّها الإنسان من يعيش بشخصيَّتَين ويترنَّحُ بين طريقين فاعْلَمْ أنَّكَ أمام متكبّر متعصّب مستعلٍ لا يلين أمام حكمة ولا يُحرِّكُهُ أمرٌ ولا يردعُهُ نهي، ولا تتوقَّعْ منه أنْ يكون متواضعًا في شخصه وعن خطئه منزجرًا وفي اعتذاره منكسرًا أبدًا، فهذا عنه بعيد، وتحصيلُهُ عليه عسير شديد، فأمسك أيُّها الإنسان شهوتك الخفيّة وعندها ستكون بعيدًا عن الاستعلاء وستستتبُّ لكَ مركَّبات الأشياء، واترك تظاهرك بالنّسك والقداسة مطلقًا، فتركُكَ هذا التّظاهرَ هو علاجك من كُلِّ صور التّكبّر والاستعلاء.

فإذا علمت أيُّها الإنسان ذلك، فاعلم أنَّهُ لا يوجد ما يطعنُ أعماق الإنسان ويُشوِّهُ أحوالَهُ العقليّة ويُسبِّبُ له إحداث اضطرابات سلوكيّة كطلبه القيمة العليا أمام النّاس والمكانةَ الرفيعةَ أمام المجتمع. واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ كُلَّ إنسان في داخله يطلب أن يكون شيئًا كبيرًا وأن يشارَ إليه بالبنان وأن يُعظَّم وأن تُكتَبَ فيه الكلمات وتُقالَ فيه قصائدُ المدح والثّناء، وهذه رغبةٌ دفينةٌ ترجع إلى قيمته الوجوديّة ومكانته التّسلسليّة، إلَّا أنَّها يجب أن تكون في موضع المراقبة المشدَّدة، فهي كسكّين أو آلةٍ قاطعةٍ بيد سفّاح يترقَّب الفرصةَ ليجزِّرَ ويقطعَ أعناق ضحاياه ويحيلُها إلى أشلاء، وما عليك سوى أن تحذر أيُّها الإنسان من تلك السّكّين أشدَّ الحذرِ فلا تجعل عقلَكَ يطلبُ المالَ؛ ليرتفع بين أهله وناسه ولا تجعل من عقلك يطلب المناصبَ العلميَّة والشّهاداتِ المرموقةَ؛ ليزيد من احترامك بين الناس، فهذه الأفعال لو فعلتها فأبشر بالاستعلاء لك قاتلًا دائمًا، والتّكبُّرِ لكَ سمةً موصولةً، فاحذر أيُّها الإنسان من طبيعة الوجود المتنفّرة من الاستعلاء والمخنوقة بتعدُّد كبرياء الأشياء، فإنَّكَ ما دمت مستعليًا فقد حرَّكْتَ الوجود بالانخفاض وما دمت تاركًا الاستعلاءَ فقد حرَّكْتَهُ بالارتفاع، فإذا تحرَّكَ بالانخفاض فقد تحطَّمَ كُلُّ شيءٍ في أعماقك، وإذا تحرَّكَ بالارتفاع فقد اكتمل كُلُّ شيءٍ في أعماقك.

الاستقامة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّهُ لا يوجَدُ شيءٌ يُحسِّنُ أخلاقَ النّاسِ ويجعلُهُمْ يقفون على رأس الطّريق السّويّ ومنهج الصّواب العقليّ كاستقامتك أوّلًا قبل استقامتهم، وانضباطك قبل انضباطهم، فلا تُتعب نفسك بالنّصيحة أو الإصلاح أو التّغيير أبدًا، واصرف تلك الطاقات كُلَّها على تقويم نفسك وعلى تثبيت فلسفة عقلك، فإذا حسّنت شيئًا منها فاعلم أنَّه قد تحسَّنَ بقدرها عددٌ من النّاس واستقامَ باستقامتها جزءٌ من المجتمع.

واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّه لا ينفعُكَ أن تكونَ منضبطَ السّيرةِ بمقدار محدَّد أو أن تكونَ ملتزمًا بالقواعد بدرجة معيّنة، فهذا لا يُسمَّى استقامةً، ولا يمكن نعتُهُ بذلك أبدًا، فالاستقامة هي عدم الانحراف عن منهج العقل مطلقًا ولو بمقدار قليل، إذ إنَّ أيَّ انحراف عنه لا يُسمَّى استقامةً وإن كان يُسمَّى بتسمياتٍ أخرى، فالاستقامةُ لا تتحقَّقُ إلَّا بانعدام الانحراف العقليّ، ومع وجوده لا تتحقَّق.

وبعد أن علمت أيُّها الإنسان ما لقيمة استقامتك في إصلاح حياتك وفي تغيير مصير النّاس حولك، فاعلم أنَّ استقامتَكَ تبدأُ من أعماقك، فلو لم تكن في أعماقك مستقيمًا فلن تكون مستقيمًا أبدًا، فانظر أيُّها الإنسان إلى أعماقك تعرف مقدار استقامتك وحدودَ دقَّةِ

انضباطِك، وإيَّاك أن تعتبرَ ظاهر سلوكِكَ صورةً لاستقامتك، فهذا سيجعلك تتوهَّمُ حقيقةَ شخصيّتك وتخطئ في تحديد مسارك، فإذا علمت هذا فاعلم أنَّك لا يمكن أن تُسيطرَ على أعماقك ما لم تسيطر على لسانك، فلسانك هو السِّرُّ الخفيُّ لبداية استقامتك، فإذا أردت أن تكون أيُّها الإنسان مستقيمًا فعليك بلسانِكَ، فإذا ضبطت كلماتِك انضبط كُلُّ شيء فيك تلقائيًّا، وكلماتك أيُّها الإنسان لها تأثير عظيم عليك، لكنَّك لا تعلم، فأتقنْها بسكينتك وعدم انفعالك ولا تحاول أن تتقِنَها بتكلُّفِكَ وشدَّةِ حرصك على إخراجها، فهذا الفعل يُتعبُ أعماقَكَ ويشوِّشُ عقلَكَ بتعدُّد احتمالات مساراتك وتعدُّد منافذ تفكيرك، فإذا استقامت كلماتُكَ فقد استقام جوهرُكَ وأعماقُكَ، وإذا حصل هذا فاطمئِنَّ أيُّها الإنسان، فقد أمسكتَ عقلًا عظيمًا وحُزت علمًا غزيرًا.

وبعد أنْ علمت كُلَّ هذا أيُّها الإنسان، فاعلَمْ أنَّ منهجَكَ في الحياة تحدِّدُهُ استقامتُك، وأنَّ فلسفتك تصنعُها دقَّةُ انضباطك، فإذا أردت أن تكونَ ذا فلسفة عظيمة متفرّدة فكن مستقيمًا، فالفلسفة الوجوديّة المتفرّدة إنَّما تنشأ من استقامتك، وبخلافها ستكون منعدم الفلسفة، بل إنَّكَ ستكون شديد الوطأة على الفلاسفة والحكماء، فإذا كنتَ أيُّها الإنسان مبتعدًا نفسيًّا عن الحكمة ومتهجّمًا على من يُحبُّها ويبحث عنها في خفايا الوجود (وهم الفلاسفة المتفرِّدون) فراجع استقامتك وأعِدِ النَّظرَ في منهجك العلميّ على طول حياتك، وأنصحك أيُّها الإنسان لو كنت كذلك أن تُكرِّرَ طَرْقَكَ أبوابَ الحكمة التي أوصِدَتْ في وجهك، فلعلَّها بكثرة طَرْقِكَ تفتحُ بعضَ أبوابِها المؤصدة في وجهك.

الاستغاثة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ لا تزالُ مستغيثًا ما دمتَ في هذه الحياة، فأنت مستغيثُ ما دمتَ إنسانًا، فاسمع استغاثتك في أعماقك وأسمِعها غيرَكَ بصدق أفعالك، وإيَّاك أن ترى نفسك فوقَ الاستغاثة، فإنَّكَ باعتقادك هذا مخدوعٌ واهم، فنومُكَ استغاثةٌ وطعامك استغاثة ونظراتك استغاثة وضعفك استغاثة وقوّتك استغاثة وجهلُكَ استغاثة وكُلُّ شيء فيك استغاثة.

فإذا علمت هذا أيُّها الإنسان فتعلَّمْ علمَ الاستغاثة، وتعلَّم كيف تطبِّقُ ذلك العلمَ في حياتك، وإليك بعضَ الأمور التي تنفعك لإظهار ذلك العلم، فاعلم أنَّ أُولى خطوات استغاثتك هي تركك لِكُلِّ شيء غير صحيح عند الناس، واترك أفعالهم وأقوالهم كُلَّها التي لا تراها تتَّفق مع عقلك، ولا تَخَفْ منهم ولا يُضايقْكَ ابتعادُكَ عنهم، وثانيًا: حُبُّكَ وحدتَكَ وعدم اختناقك من عزلتك، وثالثًا: تغيير وجهة عقلك؛ لتشمل الوجود كُلَّهُ بجواهره المتنوّعة وأفعاله المتعدِّدة، ورابعًا: تأثُّرُكَ الشّديدُ بانحسار الزّمن وانقضاء الحياة عندك واقتراب الموت منك، فإذا فعلت فعندها ظهرَ صوتك الخفيّ وتحرَّكَ عِرْقُكَ الوفيّ، وبين هذا وذاك ظهرت استغاثتك، وأنصَحُكَ أن تصبرَ على ظهور استغاثتك؛ لأنَّها قد تستغرق العمرَ كُلَّهُ كي تظهرَ، فاصبر.

المقاصد

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ أرفعَ السّلوك الذي تقوم به في حياتك يعتمدُ على كيفيَّته من جهة، وعلى كَمِّهِ من جهة أخرى. أمَّا اعتمادُهُ على كيفيَّته -وإن ظهر لك أيُّها الإنسان أنَّه أمرٌ ميسور التّحقّق سهل المنال يمكنك تحصيلُهُ من خلال إتقان عملك وانضباط ظاهر صفاتك أو تحسين كلماتك أو رفع اسمك بعظيم إنجازاتك وكثرة محبّيك وأتباعك- فهو ليس كذلك، فهذه الأشياءُ بجزئِها أو كُلِّها تعكسُ صورة مثاليّةً يتمنّى الجميعُ تحصيلَها أو التلبُّسَ ببعضها، إلَّا أنَّ هذه الأشياء كُلَّها لا تمثِّلُ صورةً مثاليَّةً للعمل، وليست درجةً رفيعةً للسّلوك، فالسّلوك الرفيع -كُلُّهُ- ينحصر بالمقاصد من وراء كُلِّ تلك الأعمال والإرادة من خلف تلك الخصال، وتلك المقاصد -وإن كانت لا تظهر للعلن- فهي علّة غيرها، وإن كانت خاليةً من بريق الأضواء ولفت النظر، فهي تبقى المنبع الخفيّ لإضفاء البريق على سواها.

فاعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ أعظم إنجازاتكَ هي مقاصدك، وأرفعَ سلوكك هو صدقُ المخفيِّ من إرادتك، فأنتَ ما دمت صادقًا في إرادتك لا تحتاجُ إلى أيِّ عمل كبير، ولا تحتاج في تضخيم عملك إلى أن تخوضَ في الصّعب والعسير، فقط اضبط حركتك وانظر بدقّة إلى تسلسل أفكارك، عندها ستفهم معنى قوّة مقاصدك

وستُدرِكُ عمقَها مع ضآلة أفعالِكَ مهما كانت كبيرةً، وستعرفُ دقَّتها مهما كانت مستترةً صغيرةً، وعندها ستعلم أنَّ أعمالك كُلَّها في كفَّة ومقاصدَك في كفَّة، فإذا وصلت إلى هذه النّتيجة المهمّة وأدركت بَعْدَ عمقَ التّأمّل في ما لمقصدك من التّأثير على علوِّ الهمَّة فعندها تكونُ قد حصلتَ على سِرِّ العمل وأدركت في أعماقك ضعفَ الأمل، وفي هذه اللحظة ستنقلب عندك فلسفةُ الأشياء، فترى الكبير صغيرًا وترى الصّغير كبيرًا، وستعرفُ أنَّ كلَّ شيءٍ منقضٍ وأنَّ كُلَّ عملٍ مصطنَع، وسترى أنَّ دورَ الزّمن في العمل أهمُّ من العمل، وأنَّ انحسارَ الحجم وتضاؤلَ المساحة أهمُّ من تضخُّم الحجم وتمدُّد المساحة، وسينكشف لك أن العمل القليلَ يُمثِّلُ سِرَّ الخلود للعقل، وأنَّ ضآلة الحركة تمثِّلُ قوَّتها وأنَّ كُلَّ كثرة في عقلك هي السّبب لعظيم خوفك وأنَّ كُلَّ تقليلٍ للكمّ وعدم تزيين للكيف هو مفتاح السّيطرة على دورِ ومكانة الزّمن، وكُلّ هذا يحدث أيُّها الإنسان من دون أن تتحرَّكَ من مكانك ومن دون أن تُغيِّرَ من هيئتك، إذ إنَّكَ لا تحتاجُ إلَّا إلى ضبط إرادتِكَ والسّيطرةِ العاليةِ على قُوَّة مقاصدِك.

الإسـراف

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ تُمارِسُ الإسرافَ طويلًا، لكنَّكَ لا تعلم، وتُبذِّرُ كثيرًا، لكنَّكَ لا تدري، فأنت أيُّها الإنسان ما دُمْتَ تلبِّي لنفسِكَ كُلَّ ما تشتهيه وتمنحُها كُلَّ ما ترغبُ فيه، فأنتَ مسرفٌ صاحبُ عقلٍ يميلُ إلى التّبذير ووجودُكَ ينفُرُ من الاقتصاد والتّقتير، فإسرافُكَ هو صورةُ شهوتك، وكثرةُ إنفاقِكَ هي ترجمان لرغبتك، فليس الإسراف هو المبالغة في صرف الأموال أو تلوين الموائد بلذائذ المأكولات وما تستطيبُهُ النّفسُ فيها من المتعة والجمال؛ بل إنَّ الإسرافَ هو استجابةٌ للرّغبات رغبةً بعد رغبةٍ وشهوةً بعد شهوةٍ، بغضِّ النّظر عن حجمها ومقدارها، قليلةً كانت أو كثيرةً، من تبذير صدرت أم من بخل، من فقر كانت أو من غنى، فالمهمُّ أن تكون فشلًا منك أيُّها الإنسان اتّجاه رغبتك واندحارًا فظيعًا أمام شهوتك، فإذا حصلت حصل الإسراف، وإذا وقعت أصابَ استقامتك -لا محالة- شيءٌ من الانحراف.

فإذا علمت هذا أيُّها الإنسان، فاعلم أنَّ كلَّ ما تحتاجُ إليه يُباحُ لك فعلُهُ، وكُلَّ ما يُكملُ إنسانيَّتَكَ لا يمتنعُ عليك قوله، فكُل كلَّ ما تريد أن تأكل واشرب ما تريد أن تشرب والبس ما تريد أن تلبسَ، لكن تذكَّر أمورًا واستحضر في عقلك موانع، فعليك ألَّا تأكل إلَّا ما يحفظ لك صحَّتَكَ ويُقوِّمُ في أعماقك قُوَّةَ إنسانيّتك، وعليك

ألَّا تشرب إلَّا ما يحفظُ السّكينة في عقلك والارتواءَ في عروقك والرّاحةَ لمعدتك، وعليك ألَّا تلبس إلَّا ملابسَ أكثر النّاسِ بساطةً وأقسطِهِمْ دَخْلًا وأوسطِهِمْ تعقّلًا، ولكنَّ كُلّ هذه الأشياء لا تُمثِّل إلَّا خطوتَكَ الأُوْلى وانطلاقتَكَ الأَوْلى، فأنتَ تحتاج بعدها إلى خطوات، فعليك أن تجعلَ الحذرَ من الإسراف حاضرًا في خطوات أكلك ومشربك وملبسك؛ لأنَّ الإسراف قد يُباغتك وأنت لا تعلم ويستفحلُ في عقلك وأنت لا تدري، ولكي تكتشفَ مباغتته وتمنعَ استفحاله في عقلك، فإليكَ هذه الأداة الكاشفةَ عن دبيبِ الإسرافِ إليك ومحاولةِ سيطرتِهِ عليك.

فإذا ظهر عندك رؤية للنفس وتكبُّرٌ مرافقٌ لفشلك المتكرّر أمام رغبتك، فاعلم حينها أنَّ الإسراف قد استحكم بقبضته على أعماقك وقتل بتعاليه قوَّةَ اقتصادك، فإذا صِرْتَ أيُّها الإنسان مسرفًا بهذا الإسراف الخفيّ وأضحيت مبذِّرًا بهكذا تبذير شقيّ فانتظر عندها هزيمتَكَ وترقَّبْ عاجلًا أم آجلًا زوالَ ممتلكاتِكَ وحصولَ حرمانِكَ؛ لأنَّك أيُّها الإنسان لا بُدَّ لك من أن تعلم أنَّ الوجودَ غنيٌّ بكلِّ ما فيه، ومتعالٍ على كُلِّ من يتعالى عليه ويُدنيه، فتخلَّص من فقرك باقتصادك واهرب من فقرك المستقبليّ بتجنّب التّبذير في حياتك، وارتفع في أعماقك بعظمة تواضعك، وتجنّب الضّرباتِ المفاجئةَ من الزّمن بالتّخلّص مطلقًا من خفاء إسرافك.

البصيرة

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ الذي يُصيبُ نظرَكَ أحيانًا في فترة من حياتك لمرض معيَّن أو حادث خارجيّ أو سبب نفسيّ صادم لا يمكن اعتباره عمًى، ولا نستطيع أن نتَّخِذَ منه صورةً للأذى إذا ما قارنّاهُ بعمًى من نوع آخر، عمًى يأبى الخَطُّ العامُّ للمثقّفين والأكاديميِّين وعلماءِ الطّبيعةِ الاعترافَ به والإيمانَ بإمكانيّة حدوثه؛ لأنَّه في نظرهم عمًى غير ملموس في وجوده وتحقّقه، فضلًا عن إمكانيّة حدوثه وفقًا لحالات محدَّدة أو نظام معيَّن، لكن بين هذا وذاك عليك أيُّها الإنسان أن تؤمنَ به وجودًا وعدمًا وأن تشعرَ به حدوثًا وبقاءً، فالعمى الدّاخليّ المتجسِّدُ في أعماقنا سيتحقَّقُ بمجرَّد انعدام العلم، والعلمُ والمعرفةُ إذا حصلا رافق وجودَهُما بصرٌ ذاتيٌّ ولازمَهُما رؤيةٌ داخليّة، وإذا زالا حلَّ العمى الدّاخليُّ والظّلامُ العقليّ. لكن، لا تتوهَّمْ أيُّها الإنسان، أنَّ أيّ علم يمكنُهُ أن يُعْطِيكَ البصيرةَ وأنَّ أيَّ معرفة يمكن أن ترفع عنك العمى، فإنَّك لو اعتقدْتَ ذلك ستبقى أعمى ما بقيتَ وستظلُّ متخبّطًا ما حييت، فإنَّ أولى علامات عماك هي اعتقادُكَ بعلوم اليوم وثقتُكَ المفرطةُ في نتاجاتها وسعيُك الحثيثُ لأن تكونَ أحد مؤسِّسيها وجزءًا مهمًّا من كيانها ومنظومتها، فإنَّكَ باعتقادك هذا قد تحصل على علم، لكنَّك ستفقد معه علمًا، وستنالُ زخمًا معلوماتيًّا كبيرًا، لكنَّك ستخسرُ برفقته بصرًا داخليًّا

ورؤيةً واسعةً للوجود، فإيَّاكَ أيُّها الإنسان أن تُكْبِرَ علمًا في نفسك أو تُعظِّمَ تخصُّصًا في عقلك، فإنَّك لو فعلت خسِرتَ بصيرتَكَ واستجلبت عماك وأحييْت كثرةَ مفرداتك، لكنَّك في الوقت نفسه أضعفْتَ حقيقةَ علمِكَ.

وبعد علمك أيُّها الإنسان بكُلِّ هذا حانَ لك أن تعلمَ أنَّك لن تحصل على البصيرة إلَّا بعد أن تتركَ الزّيادة في ما تحتاجه من حياتك، وتتخلَّى عن كُلِّ ما تترجّاه من أمنيّاتك، وأن تكتفيَ بأمور عامَّة بسيطة، فلا تبالغ في تكثير المال تحت أيِّ ذريعة، ولا تبالغ في كسب الشهادات والألقاب تحت أيِّ مسوِّغ، ولا تسعَ للخوض في مترفات الأمور ومشتّتاتها، ولا تحاول أن تُخلِّدَ اسمَكَ بمخطَّطات خيالك، ولا تبحث عن تعظيم ذاتك وتمجيد نفسك، ولا تنسَ مع كلّ هذا أفكارَكَ، فلا فائدة من كُلِّ ما تفعله مع بقاء أفكارِكَ ضائعةً مشتّتةً طامحة لما فوقها على دناءته ومحقِّرَةً لما دونها على رفعته وسموّه.

فإذا فعلت كُلَّ هذا فأبشر بعلمٍ لا ينالُهُ أحدٌ سواك ولا يهبُهُ مُعلِّمٌ لك ولا يُمنهجُهُ كتاب تبعًا لمستواك، علم عينُهُ أعماقُكَ ولسانُهُ أفعالُكَ وسمعه صوتُكَ الخفيُّ ومدرسته عوالمُكَ وطلّابُهُ جميع الموجودات حولك، فإذا صِرْتَ أيُّها الإنسان منتميًا لتلك العوالم كُلِّها، فاعلم أنَّكَ قد اكتسبت ما عجز غيرك عن اكتسابه، فقد اكتسبتَ عمقَ النّظر وقوَّةَ البصيرة.

الاضّطرار

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ ما دمت مضطرًّا فأنت إنسان مقيَّدٌ بإكراهك، وأنت إنسان مسجونٌ باضطرارك، فالاضطرارُ قوَّةٌ قاهرةٌ يمكن أن تبرزَ لك في كُلِّ حين وتظهرُ لكَ على أيِّ حال. واعْلَمْ أيُّها الإنسان، أنَّ قوَّةَ الاضطرارِ تكون دائمًا في تزامن مع قوَّة المنع والارتفاع، فهي بحصولهما تمنع قوانين الوجود من التحقّق، وهي في الوقت نفسه تجعل الآثار عن النتائج تفترق، فالاضطرار هو قوَّةٌ عليا جبّارة تجسَّدت بضعف العقل وضعة النّفس وحرمان المؤونة؛ لكنَّها مع كُلِّ هذا ذات أثر تسامحيّ ووجود تذبذبيّ.

واعلم كذلك أيُّها الإنسان أنَّك ما دمت مضطرًّا في تلك اللحظة بالذات (أي لحظة الاضطرار) تكون مؤهَّلًا لأمرَين:

الأوّل: أنَّكَ ستكون مؤهَّلًا لحلِّ عقدة اللّسان وانطلاقه، والتعبير عن مختلجات نفسك كُلِّها من دون أيِّ مؤونة في التّعبير أو استنفاد للأفكار أو تكلُّف في الألفاظ أو استجداء للمصطلحات، إذ إنَّ اضطرارَكَ سيتكفَّلُ كُلَّ ذلك وسيُغنيك عن كُلِّ إحراج في الموقف أو ارتباك في السّلوك شريطة أن تكون مضطرًّا صلبًا متماسكًا كريمًا عنيدًا أبيًّا.

والثّاني: أنَّكَ ستمتلك باضطرارك قوَّةَ التّأثير، فلا يستطيع أحدٌ

أن يتجاهلَ كلماتِ اضطرارِكَ أو يغضَّ النّظرَ عن قُوَّةِ تحيّرك وانعدام قرارك، وإن تصرَّفوا خلافَ ذلك ظاهرًا، فإنَّك يجب أن تكون مطمئنًّا، فأنت ما دمت مضطرًا تكونُ مسموع، وما دمت منعدمَ القرار فأنت عن غيرك لست ممنوعًا، فإذا حصل عندك هذان الأمران وتحقَّقت فيك هاتان القوّتان فاعلم أنَّكَ ستكون في سعادةٍ عارمةٍ بسبب اضطرارِكَ وقوَّة انكشاف كبيرةٍ بسبب فقدانِكَ إرادتِكَ وتجرُّعِكَ مرارةَ إكراهِكَ، إذ إنَّ نفسَ اضطرارِكَ سيكون هو السّبب في منحك قوَّةَ القبض على قوانين الوجود بعد أن منحك القُوَّةَ الخفيَّةَ على منع تأثيرها عليك.

فإذا علمتَ أيُّها الإنسان ذلك فاسعَ إلى اضطرارك، ولا تخَفْ من إقحام نفسِكَ في أمور ستكون مستقبلًا سببًا في ارتقاء معرفتك وتعميق قوّة اكتشافك، فاصنع اضطرارك بعقلك ويدك ولا تنتظر أن يهبَهُ لك أحدٌ باختيارك؛ لأنَّك لن تجد من يهبُهُ لك، فلا يمنحُهُ لذاتِكَ إلَّا قُوَّةُ ذاتك، ولا يصرف عنك انعدامَهُ إلَّا قوَّةُ صبرِكَ الممزوج بتقلّبات اضطرارك.

المنع

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ أحيانًا تتحرَّكُ في قوانين هي قوانين المنع، وتخضع لقوَّة هي قوَّة الإمساك، لكنَّكَ لا تعلم، ومسيطِرٌ على جزء من أفعالك بنظام مصدرُهُ أفعالُكَ، لكنَّك لا تدري، فأنت إذا ما امتلكت قوَّةً كبيرةً في جانب من حياتك كقوَّة المال أو قوَّة العلم أو قوَّة السّيطرة أو قوَّة النفوذ والمكانة، فعندها ستكون فرصتُكَ كبيرةً في التّعامل مع النّاس وواسعةً في تسهيل أمورهم وقضاء حوائجهم، وهذه الفرصةُ والسّعةُ لا تتحقّقان لك إلّا بما امتلكته من إمكانيّات، وما حزته من قدرات لم يحصل عليها غيرك، وحصلْتَ عليها أنتَ دونَ سواكَ، فاعرف كيف تستفيد أيُّها الإنسان من تلك القوى، وأتقن كيف تجيد استعمال تلك القدرات، فابذل علمك في خدمة النّاس، وأنفق مالَكَ لحفظ كرامتهم، ووسِّع حركتك لتجعل من نفوذك مفتاحًا لفتح الأقفال المغلقة في وجوههم، وإيَّاك ألّا تستفيد من تلك القوى وألّا تسخِّرَ تلك الإمكانيّات لخدمة الناس، واحذر من الاحتفاظ بها لنفسك إذا كان غيرك يحتاجُها طلبًا منك لحفظ كرامتك أو الإبقاء على هالة شخصيّتك من الخدش أو التّراجع النّسبيّ، فإنَّك إذا فَكَّرْتَ بهذه الكيفيّة ستُضعِفُ هالةَ شخصيّتك، فهالتُها إنَّما تحصل من إضعافها في سبيل النّاس وتنعدم لو حاولْتَ صناعتَها لأجل ذاتك، كما أنَّ كرامتك ليس مصدرها إلّا قوَّةَ بَذْلِك

كرامتَكَ في سبيل الآخرين وتنعدمُ لو حاولت حفظَها لنفسك وفي سبيل تعظيم كبريائك، هذا كُلُّهُ يحصل إذا ما فكَّرْتَ في شخصيَّتِكَ وما يُحيطها من كرامة وما يلازمها من هالة.

وأمَّا لو منعت قوّتَكَ المكنونةَ في أعماقك من هبةِ شيءٍ من قدرتها لغيرك، فستكون حينئذٍ قد دخلت دخولًا حقيقيًّا في قوانين المنع واستحكمت عليك قوّةُ الإمساك، فتصبح بعد قرارك هذا إنسانًا آخَرَ ووجودًا مختلفًا، وجودًا يمتلك قُوَّةً كبيرةً بأيِّ هيئة من هيئاتها وبأيِّ كيفيّة من كيفيّاتها، لكنّها مع ذلك قُوَّةٌ تسيرُ باتّجاه معاكس لحركة الوجود ومغيِّرة لاتجاهات أشيائه، ثمّ يبدأ ذلك الأمر بالارتفاع وجوديًّا إلى مستويات أعلى من سابقه حيث تبدأ تلك القدرات المكنونة بأيِّ اتّجاه وبأيِّ درجة بالانكماش تدريجيًّا والتّراجع ذاتيًّا حتّى تبدأ تلك القدرات بالاندثار تمامًا، وما سببُ اندثارها إلَّا قوَّةُ منعِها واستحكام إمساكها، وكُلُّ هذا كان بسببِكَ أيُّها الإنسان من دون علم منك، فأنت عبثت بنفسك وأضعفت قدرتَكَ حين سرت باتّجاه منعك، وحين قبضت يدَكَ مع تحقُّقَ قدرتك، فاستحققت بذلك منعَكَ وقضيت على قدرتك بقوة الإمساك عليك، فهو إمساكٌ لن تستطيعَ أن تتخلَّص منه إلَّا بالرّجوع إلى بذل نفسك من أجل من حَرَمْتَهُ قدرتَك.

التّربية

اعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّكَ إذا أنفقت عمرَكَ كُلَّهُ في سبيل غاية واحدة، وبذلتَهُ لتحقيق هدف محدَّد وهو تربية أحد الأشخاص تربيةً تتَّفق مع مباني الحكمة وفلسفة الوجود، فذلك يعني أنَّك قد أنفقتَ عمرَكَ حقيقةً في ما يجب أن يُنْفَقَ فيه، ووصلت إلى غايتكَ في ما يجبُ أن تصلَ إليه، بل إنَّك تكون بذلك الفعل قد ربحت عمرًا إضافيًّا وضاعفتَ سنين حياتك لا إراديًّا قد تصل مضاعفتُها إلى عشرات السّنين، بل مئاتها. وهذا الأمر على قدر وضوحه يُمثِّلُ أخفى وأعظمَ فلسفة للخلود، بل إنَّ جميع الفلسفات تتصاغَرُ أمام تلك الفلسفة وجميعَ الأساليب تضمحلُّ أمام ذلك الأسلوب، فكُلُّ طريقة يتَّبعها النّاس اليومَ في صناعة مجدهم وخلودهم خادعةٌ منقوصةٌ لا ترقى في أحسن حالاتها إلى أن تُبقيَ الإنسان خالدًا في ذاكرة جيل واحد أو أجيال، بخلاف تربية أفراد على مبانٍ حكميّة وفتح منافذ ثاقبة على فلسفة الوجود المعرفيّة، فهذا أمر مختلف واتّجاه فريد لا ينصرف، إذ إنَّكَ لو قمتَ بهذه التّربية الخاصّة والإعداد الممنهج فإنَّكَ ستصنع مشروعًا يستمرُّ قرونًا، بل هو مشروع لا نهايةَ زمنيَّةَ لانقطاعه، ولا يوجَدُ سَدٌّ منيعٌ يقفُ في وجه حركته.

فافهم ذلك أيُّها الإنسان واستوعب عظمةَ مهمَّتِكَ كثيرًا ودقِّق فيها طويلًا، فلا تتهاون أو تتردَّد في بذل قصارى جهدِكَ في تربية أيِّ

إنسان، وخصوصًا إذا كان ذلك الإنسان طفلًا صغيرًا، فلا تُقدِّمْ أيَّ مشروع على مشروع تربية الطّفل ولا تجعله زائلًا مضمحلًّا، حتّى مشروعُ تربيةِ الشّباب وإعدادِهم لا يرقى إلى مشروع تربية الأطفال وتهذيبهم، فإنَّ الأطفال يمتازون بعنصر البداية البكر للمعرفة وعنصر التّعلّم الأوّليّ للأشياء، وهذا بذاته سيصنع إنسانًا فريدًا لا يمكن تحصيله إلّا بتربية الطفل، فإنَّ من يبدأ صغيرًا لا بُدَّ من أن يكون في النهاية كبيرًا.

وإيّاك أيُّها الإنسان أنْ تُعَلِّمَ الطّفلَ ما يجري اليوم في التّعليم المدرسيّ، وتعمِّقَ عندَهُ ذلك الأسلوب التّعليميَّ الفاشلَ الممنهج لإعداد جيل قليل التّفكير ضعيف التّحليل يعتمد في معرفته على الطّريقة الاستذكاريّة للمعرفة لا الطريقة التّأمّليّة الفلسفيّة، تلك الطريقة التي تجعله يغوص في أعماق النّفس والوجود، وكلّ هذا أيُّها الإنسان يحتاج منك إلى جهد متفرّد مع الأطفال، فيجب تعليمهم الفلسفة والحكمة منذ نعومة أظفارهم، ومنذ اللحظات الأولى لظهور باكورة التّعقّل عندهم، ولا تحرمهم من الفلسفة والحكمة أبدًا؛ بل حاول أن تُعمِّقَ حُبَّ الحكمة في نفوسهم منذ البداية، كما عليك -إضافة إلى ذلك- بمنعِ ما يُعرقِلُ نشوءَ الحكمة في أعماقهم كالتّسطيح الفكريّ والإفراط الحسّيّ (السّمعيّ والمرئيّ)، والأعظم من ذلك عدم إلزام الطّفل بالتّفوّق المدرسيّ السّاذج، فإنَّ إلزامَهُ بِهِ قتلٌ مبكّرٌ لإبداعه وإنهاءٌ لنمُوِّ ذكائه وعبقريَّته، وكُلُّ هذا أيُّها الإنسان يتطلَّبَ منكَ إعدادًا مسبَقًا للطفل.

فإذا كان الطفل ابنَكَ، فيجب أن تساهم في صناعة عقله قبل

ولادته، وتحسَّنَ تفكيرَهُ قبل نور إبصاره، ولا يتمُّ ذلك إلَّا بالابتعاد عن إنجاب أطفال هم وليدة الشّهوة المؤقّتة والعابرة، فهؤلاء الأطفال سيكونون -إذا كبروا- أشدَّ الأعداء للفلسفة والحكمة، وهم أشَدُّ وطأةً عليها من غيرهم، إذ إنَّ الحكمة لا تجتمع مع الشّهوة لا حدوثًا ولا بقاءً، ولا تتَّفق مع اللّذّة لا تحقّقًا ولا وجودًا، هذا إذا كان من تُربِّيهِ أيُّها الإنسان طفلًا صغيرًا لا يزال في سِنِيِّ عمره الأولى.

أمَّا الشّبابُ فلا تُربِّهِمْ تربيةَ الأطفال، واعْلَمْ أنَّ ما عليك في تربيتهم هو تعليمُهُمُ الحكمةَ من دون تعليمِهُمُ الفلسفة ابتداءً، فإنَّ اجتماع الفلسفة مع غرائز الشّباب المشتعلة سيُحدِثُ حريقًا داخليًّا كبيرًا لا يمكن إطفاؤه؛ لذا فاكتفِ مع الشباب بتعليمِهُمُ الحكمة ولا تعلِّمْهُمُ الفلسفة إلَّا بمقدارٍ أقَلَّ من تَعَلُّمِهِمْ الحكمةَ، فإذا سيطروا على غرائزهم فيجبُ حينها تعليمهُمُ الفلسفةَ ولا تؤخِّرها أبدًا.

أمَّا الكبار فلا تعلِّمهُمُ الحكمةَ بالطريقة التّقليديّة؛ لأنَّها لن تُجديَ نفعًا معهم وعلِّمهُمْ إيَّاها بطريقة خاصّة رفيعة المستوى، وأمَّا تعليم الكبارِ الفلسفةَ فهو أمرٌ مفروغ منه ولا جدالَ فيه، فالإنسان بلا فلسفةٍ صفرٌ فكريًّا مهما كان مستواه.

فإذا علمت هذا كُلَّهُ، فاعْلَمْ أيُّها الإنسان أنَّ التربيةَ جميعَها تدورُ مدارَ تعليم الحكمة وإحياء الفلسفة المثمرة في العقول، وما المشاريع الأخرى على علوِّها إلَّا مشاريع من ورق مقارنةً بجبالِ الحكمة الشّامخة وبحور الفلسفة المتلاطمة، فانفض يديك ممَّا تشتغل به وتعلَّم الحكمة وانطلق في تخليص العالَم من مشاريع البرمجة العقليّة الرّهيبة، التي لا يمكنُ التّخلُّص منها إلَّا بالغوص

في بحور الفلسفة والاغتسال من ينابيع الحكمة، غوصًا لا قاع فيه واغتسالًا لا تنتهي تفاصيلُ دقائقه.

الخاتمة

في حقيقة الأمر لا يمكن كتابة خاتمة لهذا الكتاب بالمعنى الاصطلاحي للخاتمة وإن كان لا بأس بكتابتها بالمعنى الفني التنظيمي لها، إذ ان الكتاب هو كتاب تعليمي لمفاهيم حكمية حياتية وما أكثرها وما أوسعها بحيث ان القارئ لا يستطيع حتى أن يتخيل حدودها فضلاً عن إحصائها أو استقرائها فكيف يمكن أن نختم تلك المفاهيم وكيف يمكن إنهاؤها ، لذا - وكما ذكرت في المقدمة - فإن هذا الكتاب بحاجة إلى أجزاء أخرى إذا لم نقل بحاجته إلى موسوعة مفاهيمية عملاقة، لا أجد نفسي قادراً على كتابتها حالياً كونها بحاجة إلى تفرغ كبير ولازمها ترك أي مشاريع علمية أخرى.

فإن كان لا بد من خاتمة بحسب ما مكتوب حالياً بهذه السطور المتواضعة فهذه دعوة لقراءة ما تم عرضه ومحاولة شرحه وإعادة ثمراته إلى جذوره ونتائجه إلى مقدماته وفتح الغامض من عباراته والالتفات إلى لطائف الحكمة بين طيات كلماته فليس الحكمة كلها فيما يتبادر بداية وانقدح إنطلاقاً لكن جمال الحكمة يكمن في استخراج مكنوناتها الخفية واكتشاف عالمها الجديد نحو غد مشرق لأن سائره قد فرد الحكمة وتعلمها فكان حقاً عليه أن يصل...

بعيـدًا عـن المصطلحـات الفلسـفية ذات التعقيـد المفـرط أحيانـا وبعيـدًا عـن التأسيسـات النظريـة التـي تجعـل القـارئ لا يأخـذ سـوى قواعـد ومفاهيـم تجعلـه محتـارًا كيـف ومتـى يطبقهـا وبعيـدًا عـن لغـة السـرد الزائـد، وبعيـدًا عـن جمـود التعبيـر، وبعيـدًا عـن لغـة التعليـم الضاغطـة، وبعيـدًا عـن كل هـذا تـم التوجـه إلـى صناعـة محتـوى حكمـي يكـون تعليمـه مباشـرًا وسـريعًا ويدخـل مـع القـارئ فـي المفيـد فـي حياته بلا إطناب زائد ولا تنظير فارغ.

ISBN 978-614-420-832-8
9 786144 208328
eight
00961 3 017565
دار الولاء
لصناعة النشر
بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com